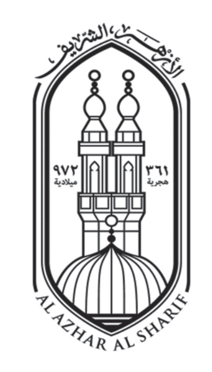


الأزهر الشريف
قطاع المعاهد الأزهرية

البلاغة العربية

للصف الثالث الثانوي

لجنة إعداد وتطوير المناهج بالأزهر الشريف

١٤٤٢هـ
٢٠٢٠ - ٢٠٢١م

المقدمة

الحمـد لله، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على سيد الفصحاء، وإمام البلغاء، وعلى صحابته الغر الميامين.

وبعد،،،

فهذا هو الكتاب الثالث في البلاغة العربية المقرر على طلاب السنة الثالثة من الثانوية الأزهرية.

وغني عن البيان أننا اتبعنا في تأليف هذا الكتاب، وعرض مسائله المختلفة المنهج ذاته الذي سرنا عليه في تأليف كتابي الفرقة الأولى والثانية، من حيث كثرة الأمثلة، وتنوع الشواهد التي تكشف عن القواعد البلاغية محل الدراسة بجلاء.

وقد توخينا عرض القواعد البلاغية في هذا الكتاب بأسلوب سهل التناول، قريب النفع يتلاءم مع مدارك الطلاب في هذه المرحلة، بحيث لا يمله المتخصص، ولا يسأم منه الدارس؛ لنحبب أبناءنا الطلاب هذا الفن العظيم من فنون علوم العربية الغراء.

ومعلوم أن البلاغة العربية لها ثلاث وظائف:

الأولى: الإبانة عما يجيش في الصدور، ويختمر في العقول بأسلوب مطابق لمقتضى الحال.

الثانية: القدرةُ على استكناه الكلام البليغ، والكشف عن محاسنه، والوقوف على مساوئه بتوظيف هذه القواعد البلاغية في الحكم على القول بالاستحسان أو الاستهجان، وإذا بلغتْ هذه الدراسة هذه الغاية، فسيكون، بفضل هذه الطريقة التطبيقية التي اتبعناها.

الثالثة: إدراك بعض أسرار الإعجاز البلاغى فى القرآن الكريم وخصوصياته وطاقاته الإعجازية المستكنة فيه، وكشف دقائق البيان النبوى ولطائفه الكثيرة المتزاحمة.

❊ ❊ ❊

الأهداف العامة للكتاب

في نهاية دراسة الكتاب يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أن:

١ـ يتعرف المفاهيم البلاغية : الحقيقة، والمجاز، والاستعارة، والكناية.

٢ـ يقف على الفروق الدقيقة بين المفاهيم السالف ذكرها ؛ لبيان قيمتها البلاغية.

٣ـ يقارن بين أقسام (أنواع) الاستعارة.

٤ـ يستنتج الأسرار والقيم البلاغية للمجاز، والاستعارة، والكناية.

٥ـ يتذوق بلاغةَ القرآن الكريم، والوقوف على أسراره.

٦ـ يتذوق بلاغة الرسول ﷺ واقتفاء أثره فيها .

٧ـ يقف على تعريف علم البديع، وبيان أقسامه، والتعرف على بعض ألوان المحسنات المعنوية.

٨ـ الوقوف على ما بين مفاهيم (الطباق، والمقابلة، والمشاكلة، والجناس، والتورية، والمبالغة وحسن التعليل، ومراعاة النظير) من الفروق الدقيقة؛ لبيان قيمتها البلاغية.

٩ـ يأتي بأمثلة من محيطه الاجتماعي والثقافي للمفاهيم البلاغية التي درسها من خلال محتوى هذا الكتاب.

١٠ـ يحلل نصوص الموضوعات التي يدرسها، واستخراج الأسرار البلاغية التي بها.

١١ـ يدرك مواطن الجمال في الأمثلة والنصوص التي يدرسها.

❋ ❋ ❋

الوحدة الأولى المجاز اللغوي

الدرس الأول

(الحقيقة والمجاز اللغويان تعريفهما، أقسامهما، المجاز المرسل)

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالبُ قادرًا على أنْ:

- يفرق بين: المجاز اللغوي، والحقيقة اللغوية.
- يذكر تعريفًا للمجاز المرسل المفرد.
- يذكر تعريفًا للمجاز المرسل المركب مع التمثيل.
- يفرق بين: المجاز المرسل، والاستعارة.
- يوازن بين: علاقات المجاز المرسل.
- يذكر أمثلة لعلاقات المجاز المرسل.
- يذكر الأسرار التي تتمثل في بلاغة المجاز المرسل.

وصف الدرس: يتناول هذا الدرس: مفهوم الحقيقة والمجاز اللغويين، وأنواع المجاز اللغوي، ومفهوم المجاز المرسل المفرد، وعلاقاته المتعددة ، وأسراره البلاغية، ومفهوم المجاز المرسل المركب.

شرح الدرس

تمهيد:

كل لفظ في لغتنا الجميلة له معنى موضوع له، كدلالة لفظ "القلم" على الأداة التي نكتب بها، ودلالة لفظ "الكتاب" على كل ما بين دفتين من أوراق مكتوبة في موضوعات شتى، ودلالة ألفاظ "البذرة والثمرة، والشجر والحجر، والخير والشر، والحق والباطل" على معانيها الموضوعة لها في اللغة.

فحينما نقول: «أمسكتُ القلمَ، وقرأتُ الكتابَ، وغرستُ بذرةً، وَقَطَفْتُ ثمرةً، وَسَقَيْتُ شجرةً، وانْزَلَقْتُ على حجر، وسعيتُ في الخيرِ، ونبذتُ الشرَّ، وأحببتُ الحقَّ، وَكَرِهْتُ الباطلَ»، فإنني أكون قد استخدمت هذه الألفاظ في معانيها الموضوعة لها في اللغة، أو في دلالتها الحقيقية الأصلية.

أما إذا قلتُ: «عَصَرْتُ خمرًا، وشَرِبْتُ ماءَ النيلِ، ورأيتُ بحرًا في المعهدِ، وشاهدتُ بدرًا يسير في الطريق»، فإن لفظة الخمر لم تستعمل في معناها الحقيقي؛ بقرينة أن الخمر سائل معصور، والمعصور لا يعصر بطبيعته، والمراد: عصرتُ العنبَ الذي سيكون خمرا.

وكذلك الحال في كلمة ماء؛ لأنه لا يعقل أن أشربَ كُلَّ ماء النيل، والمراد : شربت بعضه لا كله.

وكذلك كلمة بحر لم تستخدم في معناها الحقيقي؛ لأنه من المستحيل أن ينتقل البحر الحقيقي من مكانه، ويأتي إلى المعهد، والمراد بالبحر هنا: عالم واسع العلم.

وكذلك لم نستخدم لفظة بدر في معناها الموضوع لها في اللغة؛ والمراد بها: فتاة رائعة الجمال؛ لأن البدر الحقيقي مكانه في السماء، ولا يسير على الأرض ألبتة.

وما يقال في الكلمة الواحدة كما مضى يقال في الأساليب، فحينما نشاهد شخصا من بعيد يقدم رجلا ويؤخر أخرى نقول: فلان حضر يقدم رجلا، ويؤخر أخرى، فتكون دلالة الأسلوب دلالة حقيقية، وحينما نرى شخصًا متذبذبا مترددًا في رأيه، فنقول له: «أنت تقدم رجلا، وتؤخر أخرى» فتكون دلالة هذا الأسلوب دلالة مجازية.

لكن استعمال الكلمة، أو الكلام في غير معناه الحقيقي له شروط وضوابط، فلا يجوز استعمال الكلمة، أو الكلام في غير معناه إلا بوجود ما يأتي:

١ـ قرينة تمنع من معناه الأصلي.

٢ـ علاقة بين المعنى الأصلي، والمعنى المجازي تسوغ هذا الاستعمال.

٣ـ سر بلاغي يدفع المتكلم إلى العدول عن الحقيقة إلى المجاز.

وسوف نرصد لأبنائنا الطلاب والطالبات الآن كل هذا تفصيلا بعد أن ذكرناه في هذا التمهيد إجمالا.

تعريف الحقيقة اللغوية[١].

الحقيقة اللغوية: هي استعمال اللفظ أو الألفاظ في معانيها الموضوعة لها في اصطلاح التخاطب.

تعريف المجاز اللغوي[٢]:

المجاز في اللغة: على وزن مفعل مأخوذ من جاز فلان المكانَ يجوزه إذا تعداه، ثم نُقِل إلى الكلمة الجائزة ، أي: المتعدية مكانَها الأصلى.

وفي اصطلاح البلاغيين: هو اللفظ المستعمل في غير معناه الموضوع له في اللغة؛ لعلاقة وقرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.

أنواع المجاز اللغوي:

المجاز اللغوي نوعان :

١ـ المجاز المرسل.　　　　٢ـ الاستعارة.

والتفريق بينهما يكون عن طريق العلاقة، فإن كانت العلاقة غير المشابهة، فهو مجاز مرسل، وإن كانت العلاقة المشابهة، فهو استعارة ، والقَرينَةُ فيهما قد تكونُ لفظيةً وقد تكونُ حَالِيَّةً كما سنبين.

ونشرع هنا في إلقاء الضوء تفصيلا على المجاز المرسل من ناحية تعريفه، وسر تسميته بذلك، وعلاقاته، وسره البلاغي.

واعلم أن المجاز المرسل قسمان:

١ـ مجاز مرسل مفرد.　　　　٢ـ مجاز مرسل مركب.

أولاً: المجاز المرسل المفرد

المجاز المرسل المفرد: هو الكلمة المستعملة في غير معناها الحقيقي؛ لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

(١) قيدتُ الحقيقة هنا باللغوية حتى تخرج الحقيقة العقلية التي سبقَ لك دراستها في علم المعاني.

(٢) قيدتُ المجاز هنا باللغوي حتى يخرجَ المجازُ العقلي الذي سبق لك دراسته في السنة الأولى، وينبغي أن يعلم أن المجاز إذا أطلق، فإنه ينصرف إلى المجاز اللغوي لا العقلي.

مثل: «قبضتِ الشرطةُ على عين من عيون الأعداء»، فكلمة "عين" هنا ليس المقصود منها العين الحقيقية، وإنما المقصود منها الجاسوس، والقرينة التي تمنع المعنى الأصلي للفظ أنه لا يمكن القبض على عضو العين فقط دون بقية جسد الجاسوس.

والعلاقة التي سوغت إطلاق العين على الجاسوس أن العين جزء، والجاسوس كُلٌّ، وأن العين هي أخص جزء في الجاسوس، ولا يصلح أن يكون جاسوسا بغيرها ألبتة، فلما كانت بهذه الأهمية في عالم الجاسوسية ساغ إطلاقُ هذا العضو على الجاسوس إيماء إلى هذه الخصوصية الشديدة، والأهمية القصوى لها في هذا المجال.

سبب تسميته بالمجاز المرسل.

سمي هذا المجاز بالمجاز المرسل؛ لأنه أُطلق ولم يقيد بعلاقة واحدة ، بل له علاقات كثيرة، بخلاف الاستعارة المقيدة بعلاقة المشابهة فقط .

علاقات المجاز المرسل

تمهيد: للمجاز المرسل علاقات كثيرة تجاوزت الثلاثين، والمشهور منها تسع علاقات سنكتفي بذكرها هنا؛ لأن بقيتها تندرج في هذه التسعة، كما ذكر ثقات البلاغيين.

وكيفية تسمية هذه العلاقة، وتحديدها بدقة شديدة يكون عن طريق اللفظ المذكور، فإن كان اللفظ المذكور في الكلام هو السبب، والمراد المسبب سميت العلاقة السببية، وإن كان اللفظ المذكور في الكلام هو الكل، والمراد الجزء سميت العلاقة الكلية ، وهكذا دَوَالَيْكَ ، وإليكَ علاقات المجاز المرسل مفصلة.

١ـ السببية: وهي إطلاق السبب، وإرادة المسبب : مثل «رعت الماشيةُ الغيثَ»، فالغيث مجاز مرسل، والقرينة هنا لفظية في لفظة «رعت» ؛ لأن الغيث مطر، والمطر يُسقى به ولا يُرعَى، ولو ذكرنا الحقيقة لقلنا : «رعت الماشيةُ النباتَ»، والعلاقة بين النبات والغيث أن الغيثَ سببٌ، والنباتَ مسبب، فعبرنا عن المسبب وهو النبات بالغيث وهو السبب، والمذكور في الكلام هو السبب، فالعلاقة إذن السببية.

ومن ذلك قول المتنبيّ:

لَـــهُ أيَــادٍ عَــلَيَّ سَــابِغَةٌ *** أُعَــدُّ مِنْهَــا وَلا أُعَدِّدُهَــا[١].

(١) يقول: إن للممدوح علي نعما شاملة، فوجودي يعد من نعمه، ولا أستطيع أن أحصر هذه النعم.

فلفظة «أيادٍ» في بيت المتنبي مجاز مرسل؛ لأنه لا يريد بها الأيادي الحقيقية، بل يريد بها النِّعم والعطايا، والعلاقة بين الأيادي والنعم السببية؛ لأَنَّ اليد الحقيقية هي التي تمنح النعم، وتعطي العطايا فهي سببٌ فيها.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى:٤٠]، فلفظة (سيئة) الثانية مجاز، بمعنى عقوبة، أما الأولى، فدلالتها حقيقية، وأصل الكلام في غير القرآن: وجزاء سيئةٍ عقوبةٌ مثلها، لكنه عبر عن المسبب العقوبة بلفظ السبب؛ لأن السيئة سبب في العقوبة، والقرينة هنا عقلية؛ لأن العقل يجعل من المستحيل أن تكون العقوبة سيئة.

٢ـ المسببية: وهي أن يذكر لفظ المسبب، والمراد السبب: مثل: «أمطرتْ السماءُ نباتًا»، فالنبات مجاز مرسل؛ لأن السماء تمطر ماء، ولا تمطر نباتا، ولو جاء الكلام على الحقيقة لقلنا: «أمطرت السماءُ ماءً»، والعلاقة بين الماء والنبات أن الماء سبب، والنبات مسبب، واللفظ المذكور في الكلام هو المسبب، فالعلاقة المسببية ، حيث عبر بالمسبب وأراد السبب.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗا﴾[غافر:١٣]، فموطن المجاز هنا في كلمة (رزقا)، والرزق مسبب عن المطر، فعبر الذكر الحكيم بالمسبب وهو الرزق، عن السبب وهو المطر الذي هو سببٌ في الرزق.

ومنه ـ أيضا ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء:١٠]، فالمجاز في كلمة (نار) لأن النار لا تؤكل، فالقرينة عقلية، ولو جاء الكلام على الحقيقة في غير القرآن لقال: «إنما يأكلون في بطونهم طعامًا حراما»، فالطعام الحرام، هو سبب، والمسبب عنه دخول النار يوم القيامة، والمذكور في الكلام هو المسبب، فالعلاقة المسببية.

والسُّر البلاغي في هذا العدول عن الحقيقة إلى المجاز هو المبالغة في الزجر والردع والتخويف مع الإيجاز في العبارة ، والتأكيد على هذا المعنى.

٣ـ الجزئية : وهي إطلاق الجزء، وإرادة الكل.

من أمثلة ذلك قول الشاعر:

كَـــمْ بَعَثْنَـــا الـجَيْـــشَ ** جـــرَّارًا وَأَرْسَـــلْنا الْعُيُونَـــا[١].

(١) الجيش الجرار: الثقيل السير لكثرته.

فالمجاز في كلمة «العيون»؛ لأن العيون الحقيقية يستحيل أن تُرْسَلَ بمفردها، فالقرينة عقلية، والمراد بها الجواسيسُ، والعلاقة بين العيون والجواسيس: أن العيون جزءٌ مهم جدا من الجواسيس لا يمكن بأي حال من الأحوال الاستغناء عنها، فالعلاقة الجزئية، والسر البلاغي في إيثارها: التأكيد على أهميتها القصوى، وشأنها الكبير، والمبالغة في خصوصيتها الشديدة في هذا المجال.

ومثله قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [المزمل:١، ٢]، حيث أطلق الجزء وهو القيام؛ لأنه ركن من أركان الصلاة، وأراد الكل وهو الصلاة، والعلاقة بين القيام والصلاة: أن القيامَ جزء مهم في قيام الليل، والصلاةَ كُلٌّ، والمذكور هنا هو الجزء، فالعلاقة الجزئية، والسر في تسمية الكل بالجزء: الدلالة على أهمية هذا الجزء؛ ولذلك سميت به هذه الصلاة فقيل: «قيام الليل».

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ [النساء:٩٢]، فالمجاز في كلمة رقبة، والقرينة عقلية؛ لأن الذي يُحَرَّرُ من ربقةِ الاستعباد هو العبدُ كله، وليست الرقبةُ وحدها؛ لعدم إمكانية ذلك، والعلاقة بين الرقبةِ والعبدِ المؤمن: أن الرقبةَ جزءٌ والعبدَ كُلٌّ، والمذكور في الكلام هو الجزء، فالعلاقة الجزئية.

ويلاحظ أن الجزء المعبر به عن الكل هنا، وهو الرقبة لا يمكن الاستغناء عنه بخلاف اليد أو الرجل أو العين مثلا.

وبذلك يتبينُ لأبنائنا الطلاب أن الجزء المذكور في علاقة الجزئية يجب أن يكون أصلح الأجزاء للتعبير به عن الكل، وليسَ أي جزء صالحا لكي يعبر به عن الكل، بل لذلك شرطان:

أ ـ أن يكون الجزء المذكور له زيادة اختصاص بالمعنى المراد من الكلام، كإطلاق الأذن على الشخص الذي يَتَسَمَّعُ للآخرين، وكإطلاق العين على الجاسوس، ومن ثم لا يجوز في هذا المقام إطلاق اليد أو الإصبع على الجاسوس؛ لما ليس لهما من زيادة اختصاص.

ب ـ أن يكون الجزء المذكور لا يتحقق الكل إلا به، كإطلاق الرقبة على العبد.

٤ـ الكلية: وهي إطلاق الكل، وإرادة الجزء.

من ذلك قولنا: «شربتُ ماءَ زمزم»، فـ(ماء زمزم) مجاز مرسل علاقته الكلية؛ حيث عبر بالكل وهو ماء زمزم، وأراد الجزء وهو بعضٌ منه، والقرينة عقلية ؛ لأنه يستحيل أن يشرب الإنسانُ الواحدُ ماء زمزم كلها.

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ [نوح:٧]، حيث عبر بالكل وهي الأصابع، وأراد الجزء وهي أطراف الأنامل، والمذكور في الكلام هو الكل، وهي الأصابع، فالعلاقة الكلية، والقرينة عقلية؛ لأنه يستحيل أن يضع الإنسان إصبعه كاملا في أذنه.

والسرُّ البلاغي في العدول عن الحقيقة إلى المجاز: هو التأكيد على مبلغ جحود قوم نوح، وصلابة عنادهم، وشدة استكبارهم عن سماع أية كلمة تصدر عن نبي الله نوح عليه السلام؛ ولذلك حاولوا بكل ما أوتوا من قوة أن يُوصدوا آذانهم بأصابعهم كلها؛ ليدللوا على شدة نفورهم منه ، وإعراضهم عنه.

٥ـ اعتبار ما كان عليه: وهي ذكر الشيء باسم ما كان عليه.

مثل: «شربت بُنًّا»، فالمجاز في كلمة «بن»؛ لأن البن وهو مسحوق لا يشرب، فالقرينة عقلية، والمراد شربت قهوةً، والعلاقة هي اعتبار ما كان؛ لأن القهوة قبل أن تُعَدَّ كانت بُنًّا.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ﴾ [النساء:٢]، فالمجاز هنا في كلمة اليتامى، والقرينة لفظية في قوله: «آتوا»؛ لأنه لا يعقل أن يؤمر الوصي بإعطاء المال لليتيم، وهو الصغير الذي مات أبوه ، ولم يبلغ سن الرشد.

فالأمر بدفع الأموال إلى الأولاد الذين مات آباؤهم هو دليل على أنهم صاروا راشدين، وزالت عنهم صفة اليتم، والذي سَوَّغَ إطلاق لفظ اليتامى عليهم أنهم كانوا يتامى، فاستعملت كلمة يتامى وأريد بها الذين كانوا يتامى، بالنظر إلى حالتهم السابقة؛ ولذلك كانت العلاقة هنا اعتبار ما كان في الزمن الماضي وليس الآن.

والسر في إيثار المجاز على الحقيقة: هو الحث من طرف خفي على إعطائهم حقوقهم كاملة؛ لأنهم ـ وإن بلغوا سن الرشد ـ ما زالوا في حاجة ماسة إلى العطف والشفقة؛ والإنصاف، علاوة على ما في المجاز من الإيجاز والتوكيد والمبالغة.

٦ـ اعتبار ما سيكون: وهي ذكر الشيء باسم ما يؤول إليه.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ [يوسف:٣٦]، فالمجاز في كلمة (خمرًا)، والقرينة لفظية؛ لأن الخمر لا تعصر؛ إذ هي معصورة بطبيعتها، ويستحيل عصر المعصور، والمراد : أعصر عنبا، وسماه خمرا؛ لأن العنب سيصير بعد عصره خمرًا، فالعلاقة هي اعتبار ما سيكون.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾[الذاريات:٢٨]، فالطفل لا يوصف بأنه غلام، ولاعليم، وإنما عبر بما سيؤول إليه حاله، فالعلاقة: اعتبار ما سيكون؛ لأن ذلك ما سيكون عليه حال المُبَشَّرِ به في مستقبل أيامه، وفي إيثار المجاز على الحقيقة تعظيم للبشارة، وإعلاءٌ من شأن المُبَشَّرِ به.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[الزمر:٣٠]، فالمجاز في كلمة «ميتٌ»، والقرينة عقلية؛ لأن المخاطب بهذه الآية هو النبي ـ ﷺ ـ وقد خوطب بلفظ ميت وهو لا يزال حيًّا، والعلاقة هي اعتبار ما سيكون، أي: ما سيصير إليه حاله؛ إذ لا يوجد في هذه الدنيا من هو مخلد فيها.

٧ـ الحاليَّة: وهي إطلاق لفظ الحالِّ وإرادة المحلِّ .

كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[آل عمران:١٠٧]، فالمجاز في كلمة «رحمة»، والقرينة عقلية؛ لأن الرحمة أمر معنوي لا يصلح وعاء يكون فيه الذين ابيضت وجوههم، ولو عبر بالحقيقة لقال: «ففي جنة الله»، والعلاقة بين الجنة والرحمة أن الجنة محل، والرحمة حالَّةٌ فيها، والمذكور هو الحال فالعلاقة الحالية ، وفي ذلك إشارة إلى المكانة العظمى لهذه النعمة الجليلة نعمة الرحمة التي ستغمر هؤلاء في جنان الخلد، وأثرها عليهم فيها.

ومن ذلك ـ أيضـًا ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾[الانفطار:١٣]، فالمراد بالنعيم مكانه، وهو الجنة، والقرينة عقلية؛ لأن النعيم لا يَحُلُّ فيه الإنسان ؛ إذ هو معنًى من المعاني، والأصل في غير القرآن أن يقال: إن الأبرار لفي جنة فيها النعيم، فعبر بالحال والمراد المحل، والمذكور في الكلام هو الحال ، فالعلاقة الحالية.

٨ ـ المحلِّيَّة: وهي إطلاق لفظ المحلِّ، وإرادة الحالِّ .

من ذلك قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾[العلق:١٧، ١٨]، فالمجاز في قوله: «ناديه»، والقرينة عقلية؛ لأن النادي وهو مكان الاجتماع لا يصح دعوته، ولا يتأتى منه تلبية الدعوة، فهو مجاز أُطلق فيه المحلُّ، وأريدَ الحالُّ مِنْ عشيرتِهِ وأهله ونُصرائه، فالعلاقة المحليةُ؛ لأنها المذكورة في الكلام كما قررناه، وأكدنا لأبنائنا الطلاب عليه مرارا.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[الأعراف:٢]، فالمجاز في كلمة «صدرك» والأصل في غير القرآن: «فلا يكن في قلبك الذي في صدرك حرج» ، فذكر المحل وهو الصدر، وأراد الحال فيه، وهو القلب، وفي ذلك إيجاز ومبالغة وتوكيد.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [يوسف:٨٢]، فالمجاز في كلمة (القرية)، والقرينة عقلية؛ لأن القرية وهي مبانٍ ومساكن غير عاقلة لا تسأل؛ فأطلق المحل وأراد الحال وهم قاطنوها، ولأن المذكور في الكلام هو المحل، فالعلاقة المحلّية، والسر في ذلك: هو الدلالة على شيوع الخبر وانتشاره في كل بيوت القرية حتى كاد يعلمه الحجر والشجر.

٩ـ الآلية : وهي ذكر اسم الآلة، وإرادة أثرها.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ [الشعراء:٨٤]، فقد ذكر الآلة (اللسان)، وأراد أثرها، وهو الذكر الطيب، والثناء الحسن، واللسان هو آلة هذا الذكر، وفي إيثار المجاز على الحقيقة ما فيه من الإيجاز والمبالغة والتوكيد.

سر بلاغة المجاز المرسل

إذا تأملتَ الشواهدَ والأمثلة الكثيرة السابقة التي سقناها لكَ في علاقات المجاز المرسل، وجدت أنها غالبا تؤدي لك المعنَى المقصود بإيجاز، فإذا قلت: «هزمَ القائدُ الأعداء»، أو«اجتمع النادي» كان ذلك أكثر إيجازًا من أنْ تقول: «هزمَ جنودُ القائد الأعداء»، أو«اجتمع أعضاء النادي»، والإيجاز كما هو معلوم ركن ركين من أركان البلاغة، بل البلاغة الإيجاز.

وإذا أنعمتَ النظر في أمثلة أخرى للمجاز المرسل، رأيتَ أنَّ أغلبها لا يخلو من مبالغة ، فإطلاقُ الكلِّ على الجزء مبالغة في نحو: « شربتُ ماء زمزم»، ومثله إطلاق الجزء وإرادة الكل، نحو: «فلان فَمٌ» تريد أنه شَرِهٌ يلتقم كلَّ شيء، أو«فلانٌ أَنْفٌ» تريد أن تصفه بعظم الأنف فتبالغ فتجعله كله أنفا، وهذا ـ أيضا ـ يفيد التأكيد على المعنى المقصود، ويقرره في النفس بقوة ، ويمكنه فيها بشدة.

ومن هنا يتأكد لك أن سر بلاغة المجاز المرسل تتمثل في ثلاثة أشياء:

١ـ الإيجاز. ٢ـ المبالغة. ٣ ـ التأكيد.

وهذه الأسرار الثلاثة لا يخلو منها، أو من بعضها أي مثال، فضلا عن أسرار أخرى يستمدها الحصيف الفطن من سياقات الأمثلة المتعددة كما بينا لكَ سلفا فيما مضى.

ثانيـًا: المجاز المرسل المركب

تمهيد: مر بنا أن اللفظ الواحد قد يستعمل في حقيقته، وقد يستعمل مجازا، كما مر بنا أن التركيب الواحد قد يستعمل في حقيقته ، وقد يستعمل مجازا ، والتراكيب المستعملة مجازا إن كانت العلاقة فيها المشابهة، فهي استعارة تمثيلية كما سيأتي ، وإن كانت غير المشابهة، فهي من المجاز المرسل المركب.

تعريف المجاز المرسل المركب هو:

كل تركيب استعمل في غير ما وضع له؛ لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي.

وهذا النوع من المجاز يتأتى في الجمل الخبرية المستعملة في الإنشاء للتحسر وإظهار الحزن والتحذير والتهكم وغير ذلك، كما في قول ابن الرومي:

بَـانَ شَـبَابِي فَعَـزَّ مَطْلَبُـهُ ❁ وَانْبَـتَّ بَيْنِـي وَبَيْنَـهُ نَسَـبُهْ

فالجمل الخبرية في هذا البيت ليست على حقيقتها من إفادة المخاطب حكما لم يكن على علم به من قبل، بل خرجت عن الخبرية إلى الإنشائية لغرض التحسر وإظهار الحزن والألم على فراقه لحالة الشباب البهيج ، فتراكيب هذا البيت مجاز مرسل مركب علاقته السببية ، والقرينة حالية؛ لأن ابن الرومى لا يريد الإخبار المجرد، ولكنه يشير إلى ما استحوذ عليه من الهم والحزن بسبب فراق الشباب.

ومثله قول جَعْفَر بن عُلْبَةَ الْحَارِثِي :

هَوَايَ مَعَ الرَّكْبِ الْيَمَانِينَ مُصْعِدٌ ❁ جَنِيـبٌ وجُثْـمَانِي بِمَكَّـةَ مُوثَـقُ

فهو يشير إلى الأسف والحزنِ الذي ألَمَّ به من فراق الأحبة، ويتحسَّرُ على ما آل إليه أمره، وليس الغرض منه حقيقة الخبر.

ومثله قول ابن المعتز:

أَخَـذَتْ مِـنْ شَـبَابِي الأَيَّـامُ ❁ وَتَـوَلَّى الصِّبَـا عَلَيْـهِ السَّـلامُ

فإنه وإن كان خبرا في أصل وضعه، لكنَّه في هذا المقَام مستعملٌ في إنشاء التَّحَسُّرِ والتحزنِ على ما فات من الشباب.

فكل من هذه الجمل الخبرية خرجت عن معانيها الحقيقية؛ لعلاقة غير المشابهة لأغراض تستمد من سياقاتها، ولهذا فهي من المجاز المرسل المركب.

ملخص الدرس

الحقيقة: هي استعمال الكلمة في معناها الموضوع له في اصطلاح التخاطب.

المجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

أنواع المجاز اللغوي: نوعان: ١ـ المجاز المرسل. ٢ـ الاستعارة.

المجاز المرسل: هو الكلمة المستعملة في غير معناها الأصلي ؛ لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

الفرق بين المجاز المرسل والاستعارة: الاستعارة لها علاقة واحدة هي المشابهة؛ لأنها مبنية على التشبيه كما سيأتي، أما المجاز المرسل، فتتعدد علاقاته.

علاقات المجاز المرسل:

١ـ السببية : وهي إطلاق السبب، وإرادة المسبب.

٢ـ المسببية: وهي أن يذكر لفظ المسبب، والمراد السبب.

٣ـ الجزئية : وهي إطلاق الجزء، وإرادة الكل.

٤ـ الكلية : وهي إطلاق الكل، وإرادة الجزء.

٥ـ اعتبار ما كان عليه: وهى ذكر الشيء باسم ما كان عليه.

٦ـ اعتبار ما سيكون : وهي ذكر الشيء باسم ما يؤول إليه.

٧ـ الحالِّيَّة : وهي إطلاق لفظ الحالِّ وإرادة المحلِّ.

٨ ـ المحلِّيَّة : وهي إطلاق لفظ المحلِّ، وإرادة الحالِّ.

٩ـ الآلية : وهي ذكر اسم الآلة، وإرادة أثرها.

بلاغة المجاز المرسل تتمثل إجمالا في ثلاثة أمور: ١ـ التأكيد. ٢ـ الإيجاز. ٣ـ المبالغة.

المجاز المرسل المركب: هو كل تركيب استعمل في غير ما وضع له؛ لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي.

وهذا النوع من المجاز يتأتى في الجمل الخبرية المستعملة في الإنشاء؛ للتحسر وإظهار الضعف، وغير ذلك.

إثراءات

لاحظ أن: كل مجاز لغوي لا بد فيه من شرطين أساسيين:

١ـ علاقة بين المعنى الحقيقي، والمعنى المجازي .

٢ـ قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.

لاحظ أن: علاقات المجاز المرسل تجاوزت الثلاثين والمشهور منها: العلاقات التسعة التى درستها.

انتبه إلى: أن تسمية علاقة المجاز المرسل، وتحديدها بدقة يكون عن طريق اللفظ المذكور، فإن كان المذكور في الكلام هو السبب، والمراد المسبب، سميت السببية، وإن كان المذكور في الكلام هو الكل، والمراد الجزء سميت الكلية، وهكذا دواليك.

انتبه إلى: أن الجزء المذكور في علاقة الجزئية يجب أن يكون أصلح الأجزاء للتعبير به عن الكل، أي : بأن يكون له زيادة اختصاص بالمعنى المراد من الكلام، أو بأن يكون الجزء المذكور لا يتحقق الكل إلا به.

مفاهيم :

١ـ الحقيقة : هي استعمال الكلمة في المعنى الموضوع لها في اللغة.

٢ـ المجاز: هو الكلمة المستعملة في غير معناها الموضوع لها في اللغة؛ لعلاقة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

٣ـ المجاز المرسل المفرد: هو اللفظ المستعمل في غير معناه الموضوع له في اللغة؛ لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي.

٤ـ المجاز المرسل المركب: هو التركيب المستعمل في غير معناه الموضوع له في اللغة؛ لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي.

❊ ❊ ❊

التدريبات

التدريب الأول: أشر بعلامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة(×) أمام العبارة الخطأ، مع التعليل فيما يأتي:

١ـ المجاز: هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له. ( )

٢ـ الجزئية من علاقات المجاز المرسل، ويصح التعبير فيها بأي جزء دون شروط ( )

٣ـ الفرق بين المجاز المرسل، والاستعارة أساسه العلاقة. ( )

٤ـ تسمية العلاقة مبنية على المذكور، لا المحذوف. ( )

٥ـ القرينة ليست ضرورية في المجاز. ( )

٦ـ لكل مجاز علاقة وقرينة وسر بلاغي. ( )

٧ـ القرينة تكون لفظية أوعقلية. ( )

٨ـ المجاز المرسل يقع في المفردات ولا يأتى في المركبات. ( )

٩ـ علاقات المجاز المرسل كثيرة أشهرها تسع علاقات. ( )

١٠ـ بلاغة المجاز المرسل الإيجاز والتوكيد والمبالغة. ( )

إجابة التدريب الأول:

١ـ (√). ٢ـ (×). ٣ـ (√). ٤ـ (√). ٥ـ (×).

٦ـ (√). ٧ـ (√). ٨ـ (×). ٩ـ (√). ١٠ـ (√).

التدريب الثاني: حدد موطن المجاز، وعلاقته، وقرينته فيما يأتي:

١ـ قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ﴾ [الروم:٢٢].

٢ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم:٧٣].

٣ـ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة:٢٣٤] .

٤ـ قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى:٣٠].

٥ـ قال تعالى : ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ [الحج:٦٠].

٦ ـ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٧].

٧ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠] .

٨ ـ قال ﷺ : «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلَبُهُ».

٩ ـ قال الشاعر:

بِلادِي وَإِنْ جَارَتْ عَلَيَّ عَزِيزَةٌ ** وَقَوْمِي وَإِنْ ضَنُّوا عَلَيَّ كِرَامُ

١٠ ـ ألقَى الخطيبُ كلمةً كانَ لها كبيرُ الأَثَر.

١١ ـ يَلْبَسُ المصريونَ القطنَ الذي تُنتِجُهُ بلادُهم.

إجابة التدريب الثانى

م	موطن المجاز	علاقته	قرينته	بلاغته
١	ألسنتكم	الآلية	عقلية	التأكيد والإيجاز والمبالغة
٢	نديا	المحلية	عقلية	التأكيد والإيجاز والمبالغة
٣	أزواجا	اعتبار ما كان	عقلية	التأكيد والإيجاز والمبالغة
٤	أيديكم	الجزئية	عقلية	التأكيد والإيجاز والمبالغة
٥	عُوْقِب	المسببية	عقلية	التأكيد والإيجاز والمبالغة
٦	رحمة الله	الحالية	عقلية	التأكيد والإيجاز والمبالغة
٧	يد الله	السببية	عقلية	التأكيد والإيجاز والمبالغة
٨	قتيلا	اعتبار ما سيكون	عقلية	التأكيد والإيجاز والمبالغة
٩	بلادي	المحلية	لفظية	التأكيد والإيجاز والمبالغة
١٠	كلمة	الجزئية	عقلية	التأكيد والمبالغة
١١	القطن	اعتبار ما كان	عقلية	الإيجاز والتأكيد والمبالغة

التدريب الثالث: عرف المصطلحات الآتية:

المجاز المرسل المفرد ـ علاقة السببية ـ المسببية ـ الجزئية ـ الكلية ـ المجاز المرسل المركب

إجابة التدريب الثالث:

المجاز المرسل المفرد: هو الكلمة المستعملة في غير معناها الحقيقى لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

السببية : هي إطلاق السبب، وإرادة المسبب .

المسببية: هي أن يذكر لفظ المسبب، والمراد السبب.

الجزئية : هي إطلاق الجزء، وإرادة الكل.

الكلية : هي إطلاق الكل، وإرادة الجزء.

المجاز المرسل المركب : هو كل تركيب استعمل في غير معناه الأصلي لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

❊ ❊ ❊

الدرس الثاني

(الاستعارة تعريفها، أركانها، قرينتها، أنواعها، والفروق بينها)

أهداف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

- يفرق بين الاستعارة والكذب .
- يذكر تعريفا للاستعارة.
- يذكر أركان الاستعارة مع التمثيل .
- يقارن بين أنواع الاستعارة.
- يستخرج من أمثلة مقدمة له استعارة تصريحية، واستعارة مكنية، واستعارة تمثيلية.
- يفرق بين التشبيه التمثيلي ، والاستعارة التمثيلية مع التمثيل.

وصف الدرس: يكشف هذا الدرس عن تعريف الاستعارة لغة واصطلاحا، وأركان الاستعارة، وقرينتها، والفرق بين الاستعارة والكذب، وأنواع الاستعارة التصريحية، والمكنية، ومفهوم كل منهما، وسر تسميتهما بذلك، والفرق بين الاستعارة التصريحية، والمكنية، ومفهوم الاستعارة التخييلية عند جمهور البلاغيين، ودلالة الاستعارة التمثيلية من خلال النصوص البليغة.

شرح الدرس

تمهيد

مضى بنا الوقوف على مفهوم المجاز المرسل، والكشف عن علاقاته المتعددة، وهنا نشرع في الشق الآخر من المجاز اللغوي، وهو الاستعارة بكافة أنواعها، والفرق بين هذين النوعين يعتمد على العلاقة، فالعلاقة في الاستعارة هي المشابهة بين المعنى الحقيقي والمجازي؛لأنها تشبيه حذف منه أحد طرفيه، أما المجاز المرسل، فعلاقته غير المشابهة؛ لأنه لا يعتمد على التشبيه في استخراجه.

تعريف الاستعارة

الاستعارة في اللغة: مأخوذة من قولهم: استعار فلان من فلان الشيء أو المال، إذا طلبه عارية.

وفي الاصطلاح: هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اللغة؛ لعلاقة المشابهة بين المعنى الحقيقي والمجازي، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

انظر إلى قولنا: «رأيت أسدا يرمى الأعداء» تجد أنَّ كلمة «الأسد» استعملت في غير معناها الحقيقي، وإِذا تأملتَ رأيتَ أنَّ هناك علاقة بين المعنى الأصليِّ للأسد وهو الحيوان المفترس، وبين المعنى المجازي الذي اسْتُعْمِلَ فيه وهو الرجل الشجاع، وهذه العلاقة هي المشابهةُ؛ لأَنَّ الشخص الجرئ المقدام يُشْبِه الأسد في جسارته وجرأته، والقرينة التي منعت من إرادة المعنى الحقيقي للأسد هي لفظة «يرمي»؛ لأن الأسد الحقيقي لا يرمي الأعداء بالسهام.

ثم انظر إلى قول ابن العَمِيد[1]:

قامَـتْ تُظَلِّلُنِـي ومِـنْ عَجَـبٍ ** شَـمْسٌ تُظَلِّلُنِـي مِـنَ الشَّـمْسِ

تجد أنَّ كلمة «شمس» في الشطر الثاني استعملت في معنيين: أحدُهما : المعنى الحقيقي للشمس، وهي الكوكب المعروف، والثاني إنسانٌ وضاءُ الوجه يشبه الشمسَ في الإشراق والتلألُؤ، وهذا المعنى غير حقيقي، وإِذا تأملتَ رأيتَ أنَّ هناك علاقة بين المعنى الحقيقي للشمس، والمعنى المجازي الذي اسْتُعْمِلَتْ فيه، وهذه العلاقة هي المشابهةُ؛ لأَنَّ الشخص الوضيءَ الوجه يُشْبِه الشمس في الإِشراق، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي هنا هي لفظة « تُظَلِّلُنِي»؛ لأَنَّ الشمس الحقيقية لا تُظَلِّل.

علاقة التشبيه بالاستعارة

مرَّ بنا أن التشبيه أربعة أركان:

١ـ المشبه. ٢ـ المشبه به. ٣ـ وجه الشبه. ٤ـ أداة التشبيه.

ويجوز ذكر هذه الأركان كلها فتقول: «محمد كالأسد في الشجاعة»، ويجوز حذف وجه الشبه فتقول: «محمد كالأسد»، ويجوز حذف الأداة فحسب، فتقول: «محمد أسدفي الشجاعة»، ويجوز حذف الوجه والأداة، فتقول: «محمد أسد»، ولا يجوز مطلقا حذف الطرفين.

(١) ابن العميد: هو الوزير أبو الفضل محمد بن العميد، نبغ في الأدب، وعلوم الفلسفة، والنجوم، وقد برز في الكتابة على أهل زمانه حتى قيل: «بُدِئَتِ الكتابةُ بعبد الحميد وخُتِمتْ بابن العميد» توفى سنة ٣٦٠هـ.

وعليه فإننا نفهم من الكلام السابق أن التشبيه لا بد فيه من ذكر الطرفين الأساسيين، وهما (المشبه، والمشبه به) فإذا حذف أحد الركنين لا يعد تشبيها، بل يصبح استعارة .

لاحظ الفرق بين قولنا: «الجندي أسد»، و«رأيت أسدًا يتكلم»، و«الجندي يزأر وهو يفترس الأعداء»، فالمثال الأول: تشبيه بليغ؛ لوجود المشبه «الجندي»، والمشبه به «أسد»، والمثال الثاني: استعارة تصريحية لحذف المشبه «الجندي»، والتصريح بالمشبه به «أسد»، والمثال الثالث: استعارة مكنية لحذف المشبه به «أسد» وذكر المشبه «الجندي»، ووجود صفة من صفات المشبه به المحذوف ترشد إليه وتدل عليه وهي لفظة يزأر، فإن الزئير من صفات الأسود لا من صفات الجنود.

أَعِدِ التأملَ في الأمثلة السابقة تلحظ أن الذي يسميه البلاغيون في باب التشبيه «المشبه» يطلق عليه البلاغيون في باب الاستعارة «المستعار له».

والذي يسميه البلاغيون في باب التشبيه «المشبه به» يطلق عليه البلاغيون في باب الاستعارة «المستعار منه» .

والذي يسميه البلاغيون في باب التشبيه «وجه الشبه» يطلق عليه البلاغيون في باب الاستعارة « الجامع ».

أركان الاستعارة

١ـ المستعار له (وهو المشبه).

٢ـ المستعار منه (وهو معنى المشبه به).

٣ـ المستعار: وهو لفظ المشبه به الذي استعرته لغيره.

٤ـ الجامع (وهو وجه الشبه).

ولا بد في الاستعارة من عدم ذكر وجه الشبه، ولا أداة التشبيه، بل ولا بد ـ أيضا ـ من تناسي التشبيه، الذي من أجله وقعت الاستعارة، والادعاء بأن المشبه والمشبه به صارا شيئا واحدا على سبيل الامتزاج والالتحام حتى جاز لنا إطلاق أحدهما على الآخر، ولولا وجود القرينة ما تنبهنا لهذه الاستعارة، وأن اللفظة استعملت في غير معناها الحقيقي، حتى صار لها وقع حسن، وأعطت الكلام قوة وتأكيدا، وأكسبته رونقا وجمالا .

فإذا قلت: «فلان يتحدث بالدرر»، فالقرينة هي يتحدث، والمستعار له: هو الكلام المشبه المحذوف، والمستعار منه هو الدرر، وهو المشبه به المصرح به في العبارة ، والجامع بينهما: الحسن، وقوة التأثير، وهو وجه الشبه.

قرينة الاستعارة

كلُّ مجاز لغوي: مرسل، أو استعارة لا بد فيهما من قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي، وهذه القرينة نوعان:

١ـ لفظية: أي يتلفظ بها، ونستطيع تحديدها في العبارة التي وردت فيها الاستعارة مثل كلمة (يقذف) في قولك: «شاهدت أسدا يقذف الأعداء»، وكلمة (يعظ) في قولك: «رأيت بحرا يعظ الناس»، وكلمة (في الطريق) في قولك: « تراءى لي بدر يسير في الطريق».

٢ـ غير لفظية:

وهي قسمان:

أـ حالية: كما تقول : «رأيت أسدا»، وأمامك بطل شجاع صنديد، و«رأيت بدرا»، وأمامك فتاة فائقة الحسن، ذات طلة بهية ، و«رأيت بحرا»، وأمامك عالم يعظ الناس.

ب ـ استحالة المعنى: كقولك: نطقت حالي بالشكوى، تريد(دلت) لاستحالة النطق بمعناه الحقيقي من الحال، وهو أمر معنوي.

الفرق بين الاستعارة والكذب

نفى بعض العلماء قديمًا وحديثًا وقوع المجاز، ومنه الاستعارة في القرآن الكريم، معللين ذلك بأن المجاز ومنه الاستعارة قول كاذب على خلاف الحقيقة، من هنا مست الحاجة إلى التفريق بين الاستعارة والكذب، حتى تندفع شبهة هؤلاء العلماء، والفرق بينهما من وجهين:

الأول: أن الاستعارة مبنية على التأويل في دعوى دخول المشبه في جنس المشبه به، وذلك أن المستعير يجعل أفراد المشبه به قسمين: قسما متعارفا، وقسما غير متعارف، ويجعل الاستعارة من القسم الثاني.

أما الكذب، فلا تأويل فيه؛ لأن الكاذب يسوق كلامه مساق المسلمات، ولا يظهر عليه أنه يتأول.

الثاني: أنه لابد في الاستعارة من قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.

أما الكذب، فلا قرينة فيه على إرادة خلاف الظاهر، بل إن الكاذب يبذل مجهودا في ترويج كذبه.

أنواع الاستعارة باعتبار الطرفين

الاستعارة نوعان: ١ـ تصريحية. ٢ـ مكنية.

أولًا: الاستعارة التصريحية

١ـ تعريف الاستعارة التصريحية: هى التي صُرِّحَ فيها بالمشبه به، (المستعار منه)، وحُذِفَ فيها المشبه (المستعار له).

مثل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[البقرة:٢٥٧]، وقوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾[إبراهيم:١]، حيث استعير في هاتين الآيتين الظلمات للكفر، والنور للإيمان، ثم حذف المشبه (الكفر والإيمان)، وذكر المشبه به الظلمات والنور، وتنوسى التشبيه، وادعينا أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، ثم استعرنا لفظ الظلمات للكفر، والنور للإيمان على سبيل الاستعارة التصريحية، والعلاقة المشابهة، والقرينة حالية.

ومثله قول المتنبي:

فَلَمْ أَرَ قَبْلِي مَنْ مَشَى <u>الْبَحْرُ</u> نَحْوَهُ ** وَلا رَجُـلاً قَامَتْ تُعَانِقُهُ <u>الأُسْـدُ</u>

حيث اشتمل البيت على استعارتين هما (البحر) الذي استعاره الشاعر للرجل الكريم لعلاقة المشابهة، والقرينة (مشى)، و(الأُسْد) التي استعارها للفرسان الشجعان لعلاقة المشابهة، والقرينة (تعانقه)، ويلاحظ أن المستعار منه «المشبه به» هو المصرح به هنا، والمحذوف هو المستعار له «المشبه».

وطريقة إجراء الاستعارة فى هذا الشطر الثانى تتلخص فى الخطوات الآتية:

١ـ شبه الفرسان الشجعان بالأُسْدِ بجامع البسالة والجراءة في كُلٍّ.

٢ـ حذف المشبه الفرسان الشجعان.

٣ـ تُنُوسي التشبيه.

٤ـ ادُّعي أن المشبه وهو الفرسان الشجعان داخل فى جنس المشبه به، وفرد من أفراده.

٥ـ استعيرت لفظة (الأُسْد) للفرسان الشجعان على سبيل الاستعارة التصريحية.

ومن ذلك قول الوأوأ الدمشقي يصف امرأة تبكي:

فَأَمْطَرَتْ لُؤْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ ** وَرْدًا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَّابِ بِالْبَرَدِ

حيث استعار الشاعر اللؤلؤ للدموع المنسكبة من عين محبوبته، واستعار النرجس لعين محبوبته، والورد لخد محبوبته، والعناب لأنامل محبوبته، والبرد لأسنان محبوبته، ثم حذف المستعار له (المشبه)، وصرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة لفظية هي أمطرت، وسقت، وعَضَّت.

ثانيًا: الاستعارة المكنية

تعريفها: وهي التي حُذِفَ فيها المشبه به(المستعار منه) وبقيت صفة من صفاته ترمز إليه، وتدل عليه، كقول أبي ذُؤَيبٍ الْـهُـذَلِي:

وَإِذَا الْـمَنِيَّةُ أَنْشَـبَتْ أَظْفَارَهَـا ** أَلْفَيْـتَ كُلَّ تَمِيمَـةٍ لا تَنْفَـعُ

حيث شبه المنية وهي الموت بالسبع، وحذف «المستعار منه «السبع»، وترك في الكلام لازما من لوازمه، وصفة من صفاته التي تدل عليه، وهي قوله: «أنشبت أظفارها»على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة: لفظية لأن المنية لا أظافر لها في الحقيقة حتى تنشبَها في الفريسة.

ومثالها ـ أيضا ـ قول الحجاج: (إني لأرى رُؤُوسًا قد أينعَتْ وحانَ قِطافُها وإِنِّي لَصَاحِبُهَا).

حيث شَبَّهَ رُؤُوسَ المخالفين لاسْتِحْقَاقِهِمْ القَتْلَ بثِمارٍ نَضجَتْ وحانَ أن تُقْطَفَ؛ لأن أصل الكلام: إني لأرى رؤوسًا كالثمرات قد أينعت، وحان قطافها، ثم حذف المشبه به «الثمرات»، ورمز له بشيء من لوازمه، وهو أينعت، وتنوسى التشبيه وادعينا أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، واستعرنا لفظ الثمار للرؤوس على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة: لفظية لاستحالة إيناع رؤوس بني الإنسان كما تينع الثمار.

ومثل ذلك يقال في قول المتنبي :

وَلَمَّـا قَلَّـتِ الإِبْـلُ امْتَطَيْنَـا ** إِلَى ابْـنِ أَبِي سُلَيْمَانَ الْـخُطُوبَا[1].

حيث شَبَّهَ الخطوب بالإبل، ثم حذف المشبه به (الإبل) ورمز لها بشيء من لوازمها، وصفة من صفاتها، وهي (امتطينا) على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة: لفظية لأن الخطوب لا تُمْتَطى.

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾[الإسراء:٢٤]، حيث شّبَّه الذلَّ (المقصود به الإنسان الذي يتذلل ويخضع لأبويه) بطائر يرفرف بجناحيه على صغاره، وحذف «المستعار منه

(١) امتطينا: ركبنا، الخطوب: الأمور الشديدة، يقول: لما عزت الإبل عليه لفقره حملته الخطوب على قصد هذا الممدوح، فكانت له بمنزلة مطية يركبها.

«الطائر»، وترك في الكلام لازما من لوازمه، الذي يدل عليه، ويختص به، وهي قوله: «جناح» على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة: لفظية لأن الذل لا جناح له في الحقيقة حتى يُخْفَض.

سبب تسميتها بالمكنية

وسميت الاستعارة هنا مكنية؛ لأن المشبه به «المستعار منه» جاء مكنيا، أي: محتجبا مختفيا غير مصرح به، بخلاف ما كان عليه الحال في الاستعارة التصريحية.

الفرق بين الاستعارة التصريحية والمكنية

الاستعارة المكنية قسيم الاستعارة التصريحية، وهي على الضد منها إن صح هذا التعبير؛ لأن الاستعارة التصريحية يُحذف فيها المشبه (المستعار له)، ويصرح بالمشبه به (المستعار منه)، أما المكنية، فيحذف فيها المشبه به، ويذكر المشبه وحده، مع وجود لازم للمشبه به، يَرْمُزُ إليه، ومن ثَمَّ سُمِّيت مكنية؛ لأن المشبه به حذف، وَكُنِّيَ عنه بذكر لازم من لوازمه، وهذا اللازم يعد قرينة المكنية، وهو ما يسمى بالاستعارة التخييلية، هذا هو رأي جمهور البلاغيين، وهو الرأي الأوفق المتماشي مع طبيعة الاستعارة المكنية في أساليبها الكثيرة.

وهذا النوع من الاستعارة فيه من المحاسن والروعة والبراعة والمبالغة ما فيه.

جمال الاستعارة: ما يدلل على أبلغية هذا النوع من الاستعارة أن التجسيم والتشخيص[١] يعدان سمة من أهم سماتها، وقيمة كبرى من قيمها الفنية .

ولو دققنا النظر في صور الاستعارات المكنية السابقة، نجد أمر التجسيم جليًّا، أما التشخيص، فأوضح شيء عليه هو قول الشاعر الجاهلى بشر بن أبي خازم واصفا خيول قومه:

وَبَنُو نُمَيْرٍ قَدْ لَقِينَا مِنْهُمُ ❊ خَيْلاً تَضِبُّ لِثَاتُهَا لِلْمَغْنَمِ

فَدَهِمْنَهُمْ دَهْمًا بِكُلِّ طِمِرَّةٍ ❊ وَمُقَطِّعٍ حَلَقَ الرِّحَالَةِ مِرْجَمِ[٢]

فقوله: «تَضِبُّ لِثَاتُهَا»، أي : تسيل وتقطر لثاتها من حب المغنم والحرص عليه، فنسب للخيل فعلا لا يكون إلا للأناسي العقلاء من البشر، حيث شبه الخيل بالإنسان الذي يفرح للمغنم، وَيُرَى ذلك على معالم وجهه وتقاسيمه، ثم حذف المشبه به الإنسان، وترك شيئًا من لوازمه، وهو «تَضِبُّ لِثَاتُهُ»،

(١) التجسيم هو جعل الأمور المعنوية مجسمة مثل: «جاء الحق»، «سعى الخير»، أما التشخيص، فهو أن يجعل المجسم شخصاً مثل الإنسان.

(٢) دهمنهم: أي خيلنا غَشِيَتْهُمْ؛ طمرة: فرس خفيفة ضامرة، مقطع حلق الرحالة، أي: أن الجواد لشدة وثبه يُقَطِّعُ حلق الرحالة، مرجم: يرجم الأرضَ بحافره.

وهذا اللازم هنا هو قرينة المكنية، وهو في الوقت ذاته استعارة تخييلية كما يرى الجمهور في إجراء هذه الاستعارة، والقرينة: لفظية.

وقيمة هذه الاستعارة: أنها شخصت تلك الخيول، وأضفت عليها طبعا من طبائع الإنسان، فجعلتها تحب المغنم، ويسيل له لعابها، كما يسيل له لعاب الإنسان العارف بقيمة هذا المغنم وأهميته.

الاستعارة التمثيلية

من أنواع الاستعارات: الاستعارة التمثيلية، والفرق بينها وبين التصريحية والمكنية السابق ذكرهما: أن كلاً من التصريحية والمكنية تكونان في اللفظة المفردة كما سبق لك توضيحه،أما التمثيلية، فتكون في الكلام المركب.

تعريف الاستعارة التمثيلية هي: اللفظ المركب المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء:٢٩]، ففي الآية الكريمة نهيان:

الأول: نهى عن البخل، وقد جاء في صورة تحذير للإنسان أن يجمع يده، وعنقه في غل.

الثاني: نهي عن الإسراف، وجاء في صورة تحذير للإنسان أن يمد يديه مدا متناهيا، فقد شبهت هيئة البخيل بهيئة المغلول الذي لايستطيع أن يمد يده إلى شيء، ثم حذف المشبه، وتنوسي التشبيه، وادعي أن المشبه صار فردًا من أفراد المشبه به، ثم استعير المركب الدال على هيئة المشبه به لهيئة المشبه على طريق الاستعارة التمثيلية التصريحية.

ومثله قول المتنبي:

وَمَـنْ يَـكُ ذا فَـمٍ مُـرٍّ مَريـضٍ ⁂ يَجِـدْ مُـرًّا بـهِ الْـمَـاءَ الـزُّلالا

حيث شبَّه المتنبي حال المُولَعين بذمِّه ممن لم يرزقِ الذَّوْق لِفِهْم شعره، بسبب ضعفٍ في إدراكه، بحال المريض الذي يجد الماءَ الزلال مرًّا؛ لمرارة أصيب بها في فمه، ثم حذف المشبه، وتنوسي التشبيه، وادُّعِيَ أن المشبه صار فردًا من أفراد المشبه به، ثم استعير المركب الدال على هيئة المشبه به لهيئة المشبه على طريق الاستعارة التمثيلية التصريحية، والقرينة حالِيَّةٌ.

الفرق بين الاستعارة التصريحية والمكنية والتمثيلية

اتضح لك من أمثلة الاستعارة التصريحية، وكذلك الاستعارة المكنية أنها تقع في اللفظة المفردة، وهاتان الاستعارتان عند المقارنة تُشاكلان التشبيه المفرد الذي يتأتى في اللفظة المفردة.

أما الاستعارة التمثيلية، فهي على عكس ما سبق تمامًا ؛ لأنها تأتي في المركبات، أو بعبارة أخرى هي على غرار التشبيه المركب الطرفين الذي يتشكل من صورتين منتزعتين من أمرين أو عدة أمور اندمج بعضها في بعض، وَتَكَوَّنَ منها هيئة أو صورة .

ومن ثَمَّ فهي تعد من قبيل المجاز المركب؛ لأنها ترتكز على تشبيه صورة مركبة حسية أو عقلية، بصورة أخرى مركبة حسية أو عقلية، ثم تحذف الصورة الأولى، وهي المستعار له (المشبه)، ويبقي المستعار منه (المشبه به)، وعلى ذلك فإن هذه الاستعارة التمثيلية تعد من الاستعارة التصريحية؛ لأن المشبه به (المستعار منه) هو المصرح به فيها.

هذا، وينبغي التأكيد على أن هذا النوع من الاستعارات التمثيلية إنما يأتي بكثرة كاثرةفي الأمثال السائرة عندما نُشبه الموقف الجديد بالموقف الذي قيل فيه هذا المثل.

من ذلك قولهم في الأمثال: «قَطَعَتْ جهيزَةُ قَوْلَ كلِّ خَطيبِ» ، وهو مَثَلٌ عربيٌ صريح، وأَصلُهُ أنَّ قومًا اجتمعوا للتشاور والخطابة في الصلح بين حيَّيْن قَتَلَ رجلٌ من أَحدهما رجلاً من الحيِّ الآخر، وإنهم لكذلك إذا بجاريةٍ تُدْعَى جَهيزة أَقبلت، فأَنبأَتهم أَنَّ أَولياءَ المقتولِ ظَفِرُوا بالقاتل فقتلوهُ، فقال قائل منهم: «قَطَعَتْ جَهيزَةُ قَوْلَ كلِّ خَطِيب»، وهو تركيب يُتَمَثَّلُ به في كل موطن يؤتَى فيه بالقول الفصل.

ونحوه قولهم في الأمثال: «إني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى»، حيث شبهت صورة المتردد في رأيه بصورة من قام ليذهب فتردد، فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا، وتارة لا يريد فيؤخر أخرى، فاستعمل في الصورة الأولى الكلام الدال بالمطابقة على الصورة الثانية، ووجه الشبه وهو الإقدام تارة والإحجام أخرى منتزع من عدة أمور كما ترى، واستعير المركَّب الدال على التردد في المشي للدلالة على معنى التردد في الرأي، ثم حذف المشبه، وتنوسي التشبيه، وادعى أن المشبه صار فردًا من أفراد المشبه به، ثم استعير المركب الدال على هيئة المشبه به لهيئة المشبه على طريق الاستعارة التمثيلية التصريحية، والقرينة حالِيَّةٌ، والعلاقة المشابهة.

ملخص الدرس

الاستعارة: هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

أركان الاستعارة: ١ـ المستعار له (وهو المشبه) ٢ـ المستعار منه (وهو معنى المشبه به)

٣ـ المستعار، (وهو اللفظ المنقول) ٤ـ الجامع (وجه الشبه).

قرينة الاستعارة: نوعان :

أ ـ لفظية: مثل كلمة (يقذف) في قولك : شاهدت أسدا يقذف الأعداء.

ب ـ غير لفظية: وهي ـ حالية ـ أو استحالة المعنى.

الفرق بين الاستعارة والكذب:

١ـ أن الاستعارة مبنية على التأويل،أما الكذب، فلا تأويل فيه.

٢ـ أنه لابد في الاستعارة من قرينة تمنع إرادة المعنى الأصلي، أما الكذب، فلا قرينة فيه.

أقسام الاستعارة باعتبار ما يذكر من الطرفين: تنقسم الاستعارة بهذا الاعتبار قسمين:

١ـ تصريحية. ٢ـ مكنية.

الاستعارة التصريحية : هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به، وحذف المشبه.

وسميت تصريحية؛ لأن المشبه به ذُكر فيها صراحة.

الاستعارة المكنية: هي التي حُذف فيها المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه.

وسميت مكنية؛ لأن المشبه به حذف، وكُنِّي عنه بذكر لازم له يدل عليه.

اتفق جمهور البلاغيين على أن قرينة المكنية تسمى استعارة تخييلية ، والاستعارة والقرينة متلازمان لا ينفصلان.

الاستعارة التمثيلية: هي اللفظ المركب المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

الفرق بين التشبيه التمثيلي والاستعارة التمثيلية:

أن التشبيه التمثيلي من قبيل الحقيقة، أما الاستعارة التمثيلية، فهي من قبيل المجاز.

إثراءات

لاحظ أن: جمهور البلاغيين اتفقوا على أن قرينة الاستعارة المكنية تسمى استعارة تخييلية.

لاحظ أن: الاستعارة التمثيلية تجري في المركبات ؛ لأن أساسها التشبيه التمثيلي الذي هو صورة منتزعة من متعدد مركبا حسيا أو عقليا.

انتبه إلى: أن قرينة الاستعارة المكنية والتخييلية ـ كما يرى جمهور البلاغيين ـ متلازمان، بمعنى: أن المكنية لا تفارق التخييلية، والتخييلية لا تفارق المكنية .

انتبه إلى: أن الاستعارة التمثيلية هي استعارة تصريحية؛ لأن المستعار منه المشبه به ذكر صراحة فيها ، وحذف المشبه كما مر توضيحه في الأمثلة السابقة.

انتبه إلى: أن التشبيه التمثيلي من قبيل الحقيقة، أما الاستعارة التمثيلية، فهي من قبيل المجاز اللغوي.

مفاهيم :

١ـ الاستعارة: هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

٢ـ الاستعارة التصريحية: هي ما صرح فيها بلفظ المشبه به، وحذف المشبه.

٣ـ الاستعارة المكنية: هي التي حُذف فيها المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه.

٤ـ الاستعارة التمثيلية: هي الألفاظ المركبة المستعملة في غير ما وضع له؛ لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

* * *

التدريبات

التدريب الأول: أشر بعلامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة(×) أمام العبارة الخطأ، مع التعليل فيما يأتي:

١ـ قرينة الاستعارة مانعة من إرادة المعني الحقيقي. ( )

٢ـ القرينة تنقسم قسمين : لفظية، وغير لفظية. ( )

٣ـ الاستعارة المكنية ما صرح فيها بالمشبه به وحذف المشبه. ( )

٤ـ الاستعارة التصريحية هي التي صرح فيها بالمشبه به. ( )

٥ـ الاستعارة لها عدة علاقات منها علاقة المشابهة. ( )

٦ـ الاستعارة التصريحية تفارق الاستعارة التمثيلية . ( )

٧ـ الاستعارة والكذب صنوان لا يفترقان. ( )

٨ـ كل استعارة لا بد لها من قرينة وعلاقة وسر بلاغي . ( )

٩ـ الجامع في الاستعارة يعبر عنه في التشبيه بوجه الشبه. ( )

١٠ـ المستعار له يعبر عنه في التشبيه بالمشبه. ( )

١١ـ الاستعارة التخييلية هي قرينة المكنية عند جمهور البلاغيين. ( )

١٢ـ الاستعارة التمثيلية لا ترد في الأمثال البتة. ( )

إجابة التدريب الأول

١ـ (√). ٢ـ (√). ٣ـ (×). ٤ـ (√). ٥ـ (×). ٦ـ (×).

٧ـ (×). ٨ـ (√). ٩ـ (√). ١٠ـ (√). ١١ـ (√). ١٢ـ (×).

التدريب الثاني: في الأمثلة الآتية استعارات متنوعة، حدد فيها موطن الاستعارة، ونوعها، وقرينتها، وسرها البلاغي:

١ـ قال تعالى : ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾ [الإسراء :٢٤].

٢ـ قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: ١٠].

٣ـ قال تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤].

٤ـ قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم: ٤].

٥ـ قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٦].

٦ـ قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ ﴾ [الحاقة: ١١].

٧ـ وقال دعبِل الخزاعِيُّ:

لا تَعْجَبي يا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ** ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرأْسِهِ فَبَكَى

٨ـ وقال القاضي الفاضل:

وَإِذَا السَّعادَةُ لاحَظَتْكَ عُيُونُهَا ** نَمْ فَالْمَخَاوِفُ كُلُّهُنَّ أَمَانُ

٩ـ وقال البحتريُّ:

يُؤدُّونَ التَّحِيَّةَ مِنْ بَعِيدٍ ** إلى قَمَرٍ، مِنَ الإيوَانِ، بَادِ

١٠ـ وقال قُرَيْط بن أُنَيْف:

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذَيْهِ لَهُمْ ** طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافاتٍ وَوُحْدَانَا

١١ـ وقال البحتريُّ يَصِف مبارزة الفَتْح بن خاقان للأسد:

فَلَمْ أَرَ ضِرْغَامَيْنِ أَصْدَقَ مِنْكُمَا ** عِرَاكًا إِذَا الهَيَّابَةُ النِّكْسُ كَذَّبَا

هِزَبْرٌ مَشَى يَبْغِي هِزَبْرًا، وَأَغْلَبٌ ** مِنَ الْقَوْمِ يَغْشَى بَاسِلَ الْوَجْهِ أَغْلَبَا

١٢ـ وقال عبد الله بن المعتز:

اصبر على حَسَدِ الحسو ** دِ فإنّ صبرك قاتله

فالنَّارُ تأكُلُ بَعْضَهَا ** إنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهْ

١٣ـ ومثله قول القائل: نسي الطين ساعة أنه طين.

١٤ـ وفي الأمثال «انتهز الفرصة».

١٥ـ وقولنا : حدثني التاريخ عن أمجاد أمتي فشعرت بالفخر والاعتزاز.

١٦ـ وقولنا : « طار الخبر في المدينة» .

إجابة التدريب الثاني

الرقم	موطن الاستعارة	نوعها	قرينتها	سرها البلاغي
١	الذل	استعارة مكنية	لفظية	الإيجاز والمبالغة
٢	مرض	استعارة تصريحية	عقلية	التأكيد والإيجاز والمبالغة
٣	فاصدع	استعارة تصريحية	عقلية	التأكيد والإيجاز والمبالغة
٤	واشتعل	استعارة تصريحية	عقلية	التأكيد والإيجاز والمبالغة
٥	الضلالة	استعارة مكنية	لفظية اشتروا	التأكيد والإيجاز والمبالغة
٦	طغى	استعارة تصريحية	لفظية" الماء"	التأكيد والإيجاز والمبالغة
٧	المشيب	استعارة مكنية	لفظية ضحك	التأكيد والإيجاز والمبالغة
٨	السعادة	استعارة مكنية	لفظية لاحظتك	التأكيد والإيجاز والمبالغة
٩	قمر	استعارة تصريحية	لفظية يؤدون	التأكيد والإيجاز والمبالغة
١٠	الشر	استعارة مكنية	لفظية "ناجذيه"	التأكيد والإيجاز والمبالغة
١١	لفظ هزبر الأول	استعارة تصريحية	لفظية	التأكيد والإيجاز والمبالغة
١٢	النار تأكل بعضها	استعارة تمثيلية	حالية	التأكيد والإيجاز والمبالغة
١٣	الطين	استعارة تصريحية	لفظية "نسى"	التأكيد والإيجاز والمبالغة
١٤	انتهز الفرصة	استعارة تمثيلية	حالية	المبالغة
١٥	التاريخ	استعارة مكنية	لفظية: حدثني	المبالغة
١٦	الخبر	استعارة مكنية	لفظية: طار	المبالغة

التدريب الثالث:

عرف المصطلحات الآتية مع التمثيل:

الاستعارة المكنية ـ الاستعارة التمثيلية ـ الاستعارة التصريحية.

إجابة التدريب الثالث:

الاستعارة المكنية : هي التي حذف فيها المشبه به، وذكر فيها لازما من لوازمه.

مثل قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[البقرة:٢٧].

الاستعارة التمثيلية : هي اللفظ المركب المستعمل في غير معناه الأصلي لعلاقة المشابهة، مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي.

مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء:٢٩].

الاستعارة التصريحية: هي التي حذف فيها المشبه وصرح بالمشبه به .

مثل قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[البقرة: ٢٥٧].

التدريب الرابع: أجرِ الاستعارة فى الأمثلة الآتية مع بيان نوع الاستعارة فى كُلٍّ:

١- قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [البقرة:٢٧].

٢- قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[البقرة:من ٢٥٧].

٣ـ قال تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤].

❊ ❊ ❊

الدرس الثالث

(أقسام الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار)

أهداف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

- يفرق بين الاستعارة الأصلية، والتبعية.
- يذكر أمثلة للاستعارة الأصلية.
- يذكر أمثلة للاستعارة التبعية.
- يذكر الأعلام التى تدخل فيها الاستعارة مع التمثيل.
- يستخرج من أمثلة مقدمة له استعارة أصلية، واستعارة تبعية .

وصف الدرس: يتناول هذا الدرس أقسام الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار، حيث يبين مفهوم الاستعارة الأصلية، وسر تسميتها بذلك، ويكشف عن الاستعارة في الأعلام، ومفهوم الاستعارة التبعية، وسر تسميتها بذلك.

شرح الدرس

الاستعارة باعتبار صيغة اللفظ المستعار تنقسم قسمين:

١ـ استعارة أصلية. ٢ـ استعارة تبعية.

أولاً: الاستعارة الأصلية

تعريفها: هي ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس يدل على واحدٍ غير معين من جنسه، سواء كان اسمُ الجنس اسمَ ذات: كأسد وثعلب وسيف ونجم وشمس وبحر ...إلخ، أو كان اسمُ الجنس اسمَ معنى ـ وهو المصادر ـ كالقتل والضرب والخياطة والسباحة والنوم واليقظة ... إلخ.

فمثال اسم الذات: «رأيتُ أسدًا في الميدان»، وتقصد رجلا شجاعا، و«تعلمت من بحر» وتقصد عالما واسع العلم، و« تكلمت مع سيف»، وتقصد رجلا حازما حاسما.

ومثال اسم المعنى (مصدرًا): «قتلت الرجل قتلا» وتقصد رجلا ضربته ضربا شديدا، حيث استعرت المصدر القتل للضرب الشديد ، فأي استعارة كان فيها اللفظ المستعار على هذا المنوال تسمى استعارة أصلية.

وتأتى الاستعارة الأصلية (تصريحية أو مكنية).

ومن الاستعارة الأصلية التصريحية ما جاء على لسان المتنبي يخاطبُ سيف الدولة:

أُحِبُّكَ يَا شَمْسَ الزَّمَانِ وَبَدْرَهُ ** وَإِنْ لامَنِي فِيكَ السُّهَا والفَراقِدُ[١] .

حيث شبَّهَ المتنبي في هذا البيت سيفَ الدولة مرةً بالشمسِ؛ ومرةً بالبدر بجامعِ الرفعة والظهور، تم تُنوسى التشبيه وادعينا أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، وداخل فى جنسه، وحذف المشبه وصرح بالمشبه به، ثم استعيرَ اللفظُ الدالُّ على المشبَّه به، وهو الشمسُ، والبدر للمشبَّه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية في الكلمتين، وشبَّهَ مَنْ دونه مرَّة بالسُّها، ومرَّة بالنجومِ بجامعِ الصِّغَر والخفاء، ثم استعيرَ اللفظُ الدالُّ على المشبَّه به، وهو السُّها والفراقد للمشبَّه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية في الكلمتين.

سبب تسميتها: لأن الاستعارة جرت في الأصل ولم تحتج لغيرها؛ لأنك إِذا رجَعْتَ إِلى كل إجراءٍ أجريناه للاستعارات السابقة، رأيتَ أننا استعرنا اللفظَ الدالَّ على المشبَّه به للمشبَّه، وأننا لم نَعْمَلْ عملاً آخرَ، وأَنَّ الاستعارةَ تمَّت بهذا العمل؛ وإذا تأملتَ ألفاظ الاستعارات السابقة رأيتها اسم جنس جامد، ويسمَّى هذا النوع من الاستعارةِ بالاستعارةِ الأَصليةِ.

هل تدخل الاستعارة في الأعلام؟

الأصل في الاستعارة أنها لا تدخل في الأعلام؛ لأن الاستعارة تقتضي إدخال المشبه في جنس المشبه به بجعل أفراد المشبه به قسمين متعارفا وغير متعارف، ولا يمكن ذلك في الْعَلَمِ لمنافاته الجنسية؛ لأن العلم (مثل: محمد، وخالد، وعلي، وهند وزينب) يقتضي التشخص ومنع الاشتراك، والجنسية تقتضى العموم.

لكن يستثنى من ذلك الأعلام التي اشتهرت بوصف من الأوصاف، كحاتم المشهور بالاتصاف بالكرم، ومادر المشهور بالبخل، وسحبان المشتهر بالفصاحة، وباقل المشهور بالفهاهة[٢]، وأبو رغال

---

(١) السها: نجم خفي يمتحن الناس به أبصارهم، والفراقد جمع فرقد: وهو نجم قريب من القطب.وفي السماء فرقدان ليس غير.

(٢) الفهاهة: العي أو العجز.

المشهور بالخيانة، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه المشهور بالعدل، فحينئذ يجوز أن يُشَبَّه شخصٌ بحاتم في الجود، ويُتَأَوَّلُ في حاتم فيجعل كأنه موضوع للجود والعطاء، سواء كان ذلك الرجل المعهود أو غيره كما مر في الأسد، فبهذا التأويل يتناول حاتم الفرد المتعارف المعهود، والفرد غير المتعارف، ويكون إطلاقه على المعهود أعني: حاتما الطائي حقيقة، وعلى غيره ممن يتصف بالجود استعارة نحو: «رأيت اليوم حاتما»، وتقصد به رجلا كريما معطاء، والقرينة لفظة «اليوم»؛ لأن حاتما الحقيقي مات في العصر الجاهلي.

ثانيًا: الاستعارة التبعية

تعريفها هي: ما كان اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة فعلاً أو مشتقًّا أو حرفًا.

من ذلك ما ورد على لسان جَبَّار بن سُلْمِيٍّ الْعَامِرِيِّ يصف «الوحيف» فرس ابن عمه عقيل بن الطفيل:

يَدْعُو عَقِيلاً وَقَدْ مَرَّ الْوُحَيْفُ بِهِ ** عَلَى طُوَالَةٍ يَمْرِي الرَّكْضَ بالْعَقْبِ[١]

فلفظة «يَمْرِي» استعارة تبعية حيث شبه استخراج الجري من الفرس عندما يركضه الفارس بعقبه فيكثر عدوه، ويزداد جريه بالمري، وهو استخراج اللبن من الناقة حين يُمْسَحُ على ضرعها، ثم اشتق من المري «يَمْرِي» بمعنى: يستخرج ويستدر على سبيل الاستعارة التبعية التي جرت في المصدر أولا، ثم تبعته في الفعل المضارع «يمري».

وهي استعارة ترشد إلى أن فرسه هذه يُستخرج منها العَدْو بأقل ركض وتحريك، كما تدر الناقة اللبن حين يُمْسَحُ ضرعها بأقل مسح.

ومن ذلك قول المتنبي في وصف الأَسد:

وَرْدٌ إذا وَرَدَ البُحَـيرَةَ شـارِبًا ** وَرَدَ الفُـراتَ زَئِـيرُهُ والنِّيـلا[٢]

الاستعارة هنا جرت في الفعل الماضي (ورد) حيث شبَّهَ وصول صوت الأَسد إِلى الفرات بورود الماءِ بجامعِ أَنَّ كلاًّ ينتهي إلى غايةٍ، ثم استعيرَ اللفظ الدالُّ على المشبَّه به وهو الورود للمشبَّه وهو وصول الصوت، ثم اشتُقَّ منَ الورود بمعنى وصول الصوت ورد بمعنى وصل.

---

(١) طوالة : فرس طويلة . العقب : موضع عقب الفارس من الفرس، يمري : يستخرج ويستدر.

(٢) الورد: الذي يضرب لونه إلى الحمرة، والمراد بالبحيرة بحيرة طبرية، أي أن زئير الأسد شديد فإذا زأر في طبرية سمع زئيره من في العراق ومصر.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٤].

فالاستعارة هنا في الفعل «سكت» وطريقة إجراء الاستعارة هنا تتمثل فى الآتى: شُبِّهَ انتهاء الغضبِ بالسكوتِ بجامع الهدوءِ في كُلٍّ، ثم حذف المشبه، وصرحَ بالمشبه به، وتنوسي التشبيه، وادعينا أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، ثم استعيرَ اللفظُ الدَّالُّ على المشبَّه به وهو السكوتُ للمشبَّه وهو انتهاءُ الغضبِ، ثم اشتقَّ من السكوتِ بمعنى انتهاءِ الغضب سكتَ بمعنى انتهى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

ومثال الاستعارة التبعية في المشتق قولنا: «حالى ناطقةٌ بشكواي» حيث شبهت الدلالة بالنطق بجامع إيضاح المعنى وإيصاله إلى الذهن في كُلٍّ، ثم استعير النطق (المستعار منه، المشبه به) للدلالة، ثم اشتق من النطق وهو المصدر اسم الفاعل ناطق بمعنى دال على سبيل الاستعارة التبعية، والقرينة هي الفاعل؛ لأن الحال لا تنطق ألبتة؛ لأنها أمر معنوي.

ومثله قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾[يس:٥٢]. فالاستعارة التبعية جرت فى المشتق «مرقد» حيث شبَّه الموت بالرقاد...إلخ، كما مر توضيحه فى المثال السابق.

ومثال الاستعارة التبعية في الحرف قوله تعالى: ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ [طه: ٧١]، فحرف الجر «في» لم يستعمل في معناه الحقيقي وهو الظرفية والقرينة عقلية؛ لأن جذوع النخلة لا تصلح ظرفا حقيقيا، وسر التعبير بفي هنا الدلالة على شدة تمكينهم، وإحكام تصليبهم في هذه الجذوع مما يدل على شدة تعذيبهم.

ومن ذلك ـ أيضـًا ـ قوله تعالى: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾[القصص:٨]، فاللام في قوله تعالى «ليكون» لام التعليل، وهي موضوعة لتدل على أن ما بعدها مترتب على ما قبلها، ولكنها هنا لم تستعمل في هذا المعنى الحقيقي؛ لأن ما بعدها ليس مترتبا على ما قبلها ، والقرينة أن آل فرعون لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا، بل التقطوه ليكون لهم قرة عين ، ففي هذه اللام إذن استعارة تبعية، حيث شُبهت «العاقبة» وهي العداوة والحَزَن الحاصلان بعد الالتقاط بـ «العلة الغائية» كالمحبة والتبني، بجامع الترتب على الالتقاط في كل، ثم استعير اسم المشبه به للمشبه، ثم استعيرت «اللام» الموضوعة لترتب العلة الغائية لترتب غير العلة الغائية على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية في

الحرف، فالاستعارة فى الحرف إذن تكون فى معانى الحروف لا فى الحروف ذاتها، ومعانى هذه الحروف مشتقة لا جامدة.

ومن يوازن بين إِجراءِ الاستعارة التبعية، وإِجراء الاستعارة الأصلية يرى أَنَّ الإِجراءَ هنا لا ينتهي عند استعارةِ المشبَّه به للمشبَّه كما انتهى في الاستعارة الأصلية، بل يزيدُ عملا آخرَ، وهو اشتقاقُ كلمةٍ من المشبَّه به، وأنَّ ألفاظ الاستعارة هنا مشتقةٌ لا جامدةٌ، ويسمَّى هذا النوعُ من الاستعارة بالاستعارةِ التبعيةِ.

وسميت الاستعارة تبعية:

لأنها مبنية على استعارة أخرى تابعة لها في إجرائها؛ لأنَّ ألفاظ الاستعارة هنا مشتقةٌلا جامدةٌ، وجريانُها في المشتقِّ كان تابعا لجريانها في المصدر، كما سبق إجراؤه .

قرينة الاستعارة التبعية تعد استعارة مكنية:

كلُّ استعارةٍ تبعيةٍ يصحُّ أنْ يكون في قرينتها استعارةٌ مكنيةٌ، غيرَ أنه لا يجوز لك إجراءَ الاستعارة إِلا في واحدةٍ منهما لا في كلتيهما معا، ففي قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ ﴾ يجوز أنْ يشبَّه الغضبُ بإنسان ثم يحذفُ المشبَّه به ويرْمز إليه بشيءٍ من لوازمه وهو سكتَ فتكون في «الغضبِ» استعارةٌ مكنيةٌ.

وفي قول المتنبي: «ورد الفراتَ زئيره» يجوز أن يشبَّه الزئيرُ بحيوان، ثم يحذف ويرمز إليه بشيء من لوازمه، وهو ورد فيكون في «زئيره» استعارةٌ مكنيةٌ، والفيصل هو الذوق الفني، فما يستسيغه الذوق في نوع الاستعارة مكنية أو تصريحية تبعية سِرْ عليه ولا تلتفت لغيره.

***

ملخص الدرس

للاستعارة أقسام متعددة باعتبارات مختلفة، فهي تنقسم باعتبار اللفظ المستعار قسمين:

١ـ استعارة أصلية: وهي إذا كان اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسم جنس.

واسم الجنس يأتي على ضربين: إما أن يكون اسم عين أو ذات، كلفظة أسد أو بحر أو سيف، وإما أن يكون اسم معنى (مصدرًا) كلفظة قتل أو ضرب.

وسميت أصلية ؛ لأنها جرت في الأصل، ولم تحتج لغيرها عند إجرائها.

٢ـ استعارة تبعية: وهي إذا لم يكن اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسم جنس، سواء كان فعلا، أو مشتقا، أو حرفا.

وسميت الاستعارة تبعية؛ لأنها تابعة لغيرها عند إجرائها.

* * *

إثراءات

لاحظ أن: الاستعارة الأصلية سميت بذلك؛ لأنها جرت في الأصل، ولم تحتج لغيرها.

لاحظ أن: الاستعارة التبعية سميت بذلك ؛ لأنها تابعة لغيرها عند إجرائها

انتبه إلى: أن كلَّ استعارةٍ تبعيةٍ يصحُّ أنْ يكون في قرينتها استعارةٌ مكنيةٌ، غيرَ أنه لا يجوز لك إجراءَ الاستعارة إِلا في واحدةٍ منهما لا في كلتيهما معا.

مفاهيم:

١ـ الاستعارة الأصلية: هي إذا كان اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسم جنس سواء كان اسم ذات، كلفظة أسد أو بحر ، أو اسم معنى (مصدرًا) كلفظة قتل أو ضرب.

٢ـ الاستعارة التبعية: وهي إذا لم يكن اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسم جنس، سواء كان فعلا، أو مشتقا، أو حرفا.

* * *

التدريبات

التدريب الأول:

أشر بعلامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخطأ، مع التعليل فيما يأتي:

١- الاستعارة الأصلية: هي التي تكون في اسم الجنس الجامد. (   )

٢- الاستعارة التبعية تجري في التصريحية فقط. (   )

٣- الاستعارة التبعية تجري في الأفعال والمشتقات والحروف. (   )

٤- الاستعارة الأصلية: تكون في المصادر فحسب. (   )

٥- الاستعارة التبعية تجري في الحروف فحسب. (   )

٦- كلُّ استعارةٍ تبعيةٍ يصحُّ أنْ يكون في قرينتها استعارةٌ مكنيةٌ. (   )

إجابة التدريب الأول

١- (√). ٢- (×). ٣- (√). ٤- (×). ٥- (×). ٦- (√).

التدريب الثاني:

عَيِّن الاستعارة الأصلية والتبعية، فيما يأتي:

١ـ قال تعالى: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ [مريم:٤].

٢ـ قال المتنبي يصف دخول الروم على سيف الدولة:

وَأَقْبَلَ يَمْشِي فِي الْبِسَاطِ فَمَا دَرَى ❊ إِلَى الْبَحْرِ يَسْعَى، أَمْ إِلَى الْبَدْرِ يَرْتَقِي

٣ـ وأنشد ابن الأعرابي لأبي حية النميري:

وَلَيْلَةٍ مَرِضَتْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ❊ فَلا يُضِيءُ لَهَا نَجْمٌ ولا قَمَرُ

٤ـ وقال أبو الطيب المتنبي:

سَقاكِ وحَيَّانَا بِكِ اللهُ إِنَّمَا عَلَى ❊ الْعِيسِ نَوْرٌ والْخُدُورُ كَمَائِمُهْ

٥ـ قال القاضي الفاضل:

عَضَّنَا الدَّهْرُ بِنَابِهْ ❊ لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَا بِهْ

٦ـ وقال المتنبي:

حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ لِسَانِي حدِيقَةً ⁂ سَقَاهَا الْحِجى سَقْيَ الرِّيَاضِ السَّحائبِ

٧ـ وقال آخر يخاطب طائرًا:

أَنْتَ فِي خَضْرَاءَ ضَاحِكَةٍ ⁂ مِنْ بُكَاءِ الْعَارِضِ الْهَتِنِ [(١)]

٨ـ قال السَّريُّ الرَّفاءُ يَصِف شِعْرَهُ:

إِذَا مَا صَافَحَ الأَسْمَاعَ يَوْمًا ⁂ تَبَسَّمَتِ الضَّمَائِرُ وَالْقُلُوبُ

٩ـ قال ابن نُباتةَ السَّعْدِي في وصف مُهرٍ أغرَّ:

وَأَدْهَمَ يَسْتَمِدُّ الليلُ مِنْهُ ⁂ وَتَطْلُعُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الثُّرَيَّا

١٠ـ وقال التُّهاميُّ في رثاء ابنه:

يَا كَوْكَبًا مَا كَانَ أَقْصَرَ عُمْرَهُ ⁂ وكَذاكَ عُمْرُ كَوَاكِبِ الأَسْحَارِ

١١ـ وصف أعرابي أخا له فقال: «كان أخي يقري العين جمالا، والأذن بيانا».

إجابة التدريب الثانى:

١ ـ الاستعارة في الفعل اشتعل بمعنى: انتشر استعارة تبعية؛ لأنها تتبع غيرها في إجرائها.

٢ ـ الاستعارة في لفظ البحر والبدر أصلية؛ لأنها جرت في اسم جنس جامد غير مشتق.

٣ ـ الاستعارة في الفعل «مرض» بمعنى: أظلم استعارة تبعية؛ لأنها تتبع غيرها في إجرائها.

٤ ـ الاستعارة في لفظ «نَوْر» أصلية؛ حيث استعار النور للنساء؛ لأنها جرت في اسم جنس جامد غير مشتق.

٥ ـ الاستعارة في لفظ الدهر استعارة مكنية، حيث شبه الدهر بحيوان مفترس، وهي استعارة أصلية؛ لأنها جرت في اسم جنس جامد غير مشتق.

٦ ـ الاستعارة في لفظ حديقة استعارة تصريحية، حيث شبه شِعْره الممتع بحديقة، وهي استعارة أصلية؛ لأنها جرت في اسم جنس جامد غير مشتق.

---

(١) في خضراء: في روضة خضراء. العارض الهتن: السحاب الكثير المطر.

٧ ـ الاستعارة في لفظ ضاحكة استعارة تصريحية تبعية، حيث شبه تفتح أزهار الروض بالضحك، وهي استعارة تبعية؛ لأنها جرت في اسم الفاعل «ضاحكة» المشتق ، وأيضا في لفظ بكاء استعارة، حيث شبه نزول المطر بالبكاء ، وهي استعارة أصلية ؛ لأنها جرت في المصدر «بكاء».

٨ ـ الاستعارة في لفظ صافح استعارة تصريحية تبعية، حيث شبه وصول الشعر لأسماع المخاطبين بالمصافحة، وهي استعارة تبعية؛ لأنها جرت في الفعل «صافح»، وأيضا في لفظ تبسمت استعارة تبعية؛ لأنها جرت في الفعل.

٩ ـ الاستعارة في لفظ الثريا استعارة تصريحية، حيث شبه الغرة البيضاء المتلألئة في جبين حصانه بالثريا، وهي استعارة أصلية؛ لأنها جرت في اسم جنس جامد غير مشتق.

١٠ ـ الاستعارة في لفظ «كوكبا» استعارة تصريحية، حيث شبه ابنه المتوفى بالكوكب القصير العمر، وهي استعارة أصلية؛ لأنها جرت في اسم جنس جامد غير مشتق.

١١ ـ الاستعارة في الفعل يقري بمعنى: يمتع استعارة تبعية؛ لأنها تتبع غيرها في إجرائها.

التدريب الثالث: عرف الاستعارة الأصلية والتبعية، ثم بين سر تسمية كل منهما بذلك.

إجابة التدريب الثالث:

الاستعارة الأصلية: هي إذا كان اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسم جنس، سواء كان اسم عين أو ذات، أو اسم معنى.

وسميت أصلية ؛ لأنها جرت في الأصل، ولم تحتج لغيرها عند إجرائها.

الاستعارة التبعية: هي إذا كان اللفظ المستعار الذى جرت فيه الاستعارة فعلا أو مشتقـًا أو حرفـًا.

وسميت الاستعارة تبعية؛ لأنها تابعة لغيرها عند إجرائها.

* * *

الدرس الرابع

(أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع، وباعتبار الخارج عنهما)

أهداف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

- يذكر أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع.
- يذكر أقسام الاستعارة باعتبار ما ليس مستعارا له ولا مستعارا منه ولا جامعا.
- يوازن بين أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع.
- يذكر أمثلة للاستعارة المجردة والمرشحة.
- يستخرج من أمثلة مقدمة له استعارة مطلقة، وثانية مرشحة، وثالثة مجردة.

وصف الدرس: يُبْرِزُ هذا الدرس أقسامَ الاستعارة الستة باعتبار الطرفين والجامع، كما سيوضح أقسام الاستعارة باعتبار الأمر الخارج عن هذه الأقسام السابقة كلها، حيث سيعرض لمفهوم الاستعارة المطلقة، والمجردة، والمرشحة، مع تبيان أيٍّ من هذه الاستعارات الثلاث أبلغ.

شرح الدرس

أولا : أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع

تنقسم الاستعارة بهذا الاعتبار ستة أقسام:

١ـ استعارة محسوس لمحسوس والجامع حسي، مثل قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ [طه:٨٨]، فإن المشبه به (المستعار منه) هنا هو ولد البقرة، وهو أمر محسوس بحاسة البصر، والمشبه (المستعار له) هنا هو الحيوان الذى صنعه السامري على شكل العجل، وهو أمر محسوس بحاسة البصر، والجامع (وجه الشبه) الاتفاق فى الشكل، وهو أمر محسوس مدرك بحاسة البصر كذلك.

٢ـ استعارة محسوس لمحسوس والجامع عقلي، مثل قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ

﴿ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾ [يس:٣٧]، فإن المستعار منه السلخ، وهو كشط الجلد عن الشاة، ونحوها ـ أمر محسوس بحاسة البصر، والمستعار له ـ وهو كشف الضوء عن مكان الليل ـ أمر محسوس بحاسة البصر أيضا، والجامع ـ وهو ما يعقل من ترتب أمر على آخر ـ ،كترتب ظهور اللحم على الكشط، وترتب ظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل ـ أمر عقلي.

٣ـ استعارة محسوس لمحسوس والجامع مختلف بعضه حسى، وبعضه عقلي، كقولك: «رأيت شمسًا» فالمستعار منه ـ الشمس ـ أمر محسوس بحاسة البصر، والمستعار له ـ الإنسان ـ أمر محسوس بحاسة البصر أيضا، والجامع ـ حسن الطلعة، ونباهة الشأن ـ مختلف؛لأن حسن الطلعة، أمر حسى، ونباهة الشأن أمر عقلي.

٤ـ استعارة معقول لمعقول والجامع عقلي، مثل قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس:٥٢]، فالمستعار منه ـ الرقاد هنا ـ أمر عقلي، والمستعار له ـ الموت ـ أمر عقلي كذلك، والجامع ـ عدم ظهور الفعل ـ أمر عقلي.

٥ـ استعارة محسوس لمعقول والجامع عقلي، نحو قوله تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر:٩٤]، فإن المستعار منه ـ الصدع، وهو كسر الزجاج ونحوه ـ أمر حسى، والمستعار له ـ التبليغ ـ أمر عقلي؛ لأن أصل الكلام: بلغ يا محمد بما تؤمر، والجامع ـ شدة التأثير ـ أمر عقلي، والمعنى: أَبِنْ الأمر إبانة لا تنمحي، كما لا يلتئم صدع الزجاجة، وهذا هو سر بلاغة الاستعارة التي أفادت الإيجاز في الأسلوب والتوكيد للمعنى، والمبالغة في الوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب.

٦ـ استعارة معقول لمحسوس والجامع عقلي، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴾ [الحاقة:١١]، فإن المستعار منه ـ الطغيان والتكبر وتجاوز الحد ـ أمر عقلي، والمستعار له ـ كثرة الماء ـ أمر حسي، والجامع الاستعلاء المفرط أمر عقلي.

ثانيا: أقسام الاستعارة باعتبار الخارج [١]

تنقسم الاستعارة بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام:

١ـ استعارة مطلقة: وهي التي لا تقترن بشيء يلائم المستعار له والمستعار منه، نحو: «رأيت أسدًا»، وتقصد رجلا شجاعا، فالمستعار له، والمستعار منه لم يرد في هذه الجملة صفة تتلاءم مع أي طرف منهما.

(١) الخارج: ما ليس مستعارا له ولا مستعارا منه ولا جامعا أي : باعتبار أمر خارج عن أي ركن من هذه الأركان كما سيتضح لك.

أو هي التي اقترنت بصفة تتلاءم مع كل واحد منهما مثل: «رأيت أسدا يزأر ويخطب» فلفظة يزأر تتلاءم مع المستعار منه (المشبه به) «أسد»، ولفظة «يخطب» تتلاءم مع المستعار له المشبه الرجل الشجاع.

ومن ذلك قول زهير بن أبي سُلْمَى:

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِّلاحِ مُقَذَّفٍ ** لَـهُ لِـبَـدٌ أَظْـفَـارُهُ لَمْ تُقَلَّمِ[١]

فإن قوله : «شَاكِي السِّلَاحِ» وصف يلائم المستعار له الرجل الشجاع، وقوله: «لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلَّمِ» وصف يلائم المستعار منه الأسد الحقيقي، حيث اقترن بكل طرف ما يتلاءم معه، فصارت الاستعارة مطلقة أيضا؛ لاقترانها بصفة تتلاءم مع كل واحد منهما.

٢ـ استعارة مجردة: وهي التي تقترن بما يلائم المستعار له، مثل قول كثيِّر عزة يمدحعبد العزيز بن مروان:

غَمْـرُ الـرِّداءِ إِذَا تَبَسَّـمَ ضَاحِـكًا ** غَلِقَـتْ لِضَحْكَتِهِ رِقَابُ الْـمَـالِ[٢]

حيث استعار الرداء وهو المستعار منه للعطاء، وهو المستعار لـه، بجامع الستر والصيانة؛ لأن العطاء يصون ويستر عرض صاحبه، كما يصون ويستر الرداء الجسد الذي يلقى عليه، والاستعارة هنا مجردة؛ لأن المستعار له العطاء ورد له صفة تتلاءم معه، فالغمر وهو الكثير يناسب العطاء المستعار له دون الرداء، والقرينة مستمدة من سياق الكلام في قوله: إذا تبسم، أي : شارعا في الضحك آخذا فيه.

ومنه قول البحتري:

يُـؤَدُّونَ التَّحِيَّـةَ مِـنْ بَعِيـدٍ ** إلى قَمَـرٍ مِـنَ الإِيـوَانِ بَـادِ

حيث استعار القمر وهو المستعار منه للممدوح وهو المستعار له؛ بجامع التلألؤ والضياء، والقرينة لفظية في قوله: «يُؤَدُّونَ التَّحِيَّةَ»، والاستعارة هنا مجردة؛ لأن المستعار له الممدوح وردت له صفة في العبارة تتلاءم معه، وهي قوله: «مِنَ الإِيوَانِ بَادِ»، فهذه الصفة تناسب المشبه المستعار له دون المستعار منه.

وسمِّيتْ هذه الاستعارة مجردة؛ لتجريدِها عن بعض المبالغةِ، لبعدِ المشبَّه حينئذعن المشبَّه به؛ لذكر ما يتلاءم معه، وذلك يبعد دعوى الاتحادِ بين الطرفين الذي هو مبنى الاستعارة.

---

(١) اللبد جمع لبدة : وهي ما تلبد من شعر الأسد على منكبيه، والتقليم مبالغة في القلم، وهو القطع.
(٢) غمر الرداء: كثير العطاء والمعروف، أي: إذا تبسم غلقت رقاب أمواله في أيدى السائلين. يقال: غلق الرهن في يد المرتهن إذا لم يقدر على انفكاكه.

٣ـ استعارة مرشحة : وهي التي تقترن بما يلائم المستعار منه، مثل قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾[البقرة:١٦]، حيث استعير الاشتراء ـ وهو المستعار منه ـ للاستبدال والاختيار وهو المستعار له، والقرينة الضلالة؛ لأن الضلالة أمر معنوي لا يباع ولا يشترى.

ثم ذكر في الآية صفة تتلاءم مع المستعار منه، وهي الربح والتجارة في قوله تعالى : ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ﴾ فإن هذا مما يتلاءم مع المستعار منه (المشبه به) لا المستعار له (المشبه).

أي الأقسام الثلاثة أبلغ؟

بعد أن علمتَ هذه الأقسام لعلك تسأل، أيُّ قسم من هذه الأقسام الثلاثة أبلغ؟ والإجابة هي أن الترشيح أبلغ من الإطلاق والتجريد؛ لاشتمال الترشيح على تحقيق المبالغة في تناسي التشبيه، وادعاء أن المستعار له (المشبه) صار هو المستعار منه نفسه لا شيء يشبهه،وكأن الاستعارةَ غير موجودةٍ أصلاً.

والإطلاقُ يعد أبلغ من التجريدِ، فالتجريدُ على ذلك هو أضعفُ الجميع؛ لأنَّ ذكر ما يلائم المشبه المستعار له يضعفُ دعوى الاتحادِ بين الطرفين.

* * *

ملخص الدرس

تنقسم الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع ستة أقسام:

١ـ استعارة محسوس لمحسوس والجامع حسي.

٢ـ استعارة محسوس لمحسوس والجامع عقلي.

٣ـ استعارة محسوس لمحسوس، والجامع مختلف، بعضه حسى وبعضه عقلي.

٤ـ استعارة معقول لمعقول، والجامع عقلي.

٥ـ استعارة محسوس لمعقول، والجامع عقلي.

٦ـ استعارة معقول لمحسوس، والجامع عقلي.

كما تنقسم الاستعارة باعتبار الخارج عما سبق ثلاثة أقسام:

١ـ استعارة مطلقة: وهي التي لا تقترن بشيء يلائم المستعار له والمستعار منه.

أو هي التي اقترنت بصفة تتلاءم معهما.

٢ـ استعارة مجردة: وهي التي تقترن بما يلائم المستعار له.

٣ـ استعارة مرشحة: وهي التي تقترن بما يلائم المستعار منه.

والترشيح أبلغ من الإطلاق والتجريد ، والإطلاق أبلغ من التجريد.

* * *

إثراءات

لاحظ أن: الصور التي يأتي عليها الطرفان والجامع من حيث الحسية والعقلية تشمل الاستعارة المفردة، والاستعارة المركبة (التمثيلية).

انتبه إلى أن: الترشيحَ أو التجريدَ لا يُعْتَبَران إلا بَعْدَ أنْ تَتمَّ الاستعارةُ باستيفائها قَرينَتَها لفظيةً أو حالِيَّةً، ولهذا لا تُسَمَّى قَرينةُ الاستعارة التصريحيةِ تجْريدًا، ولا قِرينةُ المكْنيةِ تَرْشِيحًا.

انتبه إلى أن: الترشيح أبلغ من الإطلاق والتجريد؛ والإطلاق أبلغ من التجريدِ.

مفاهيم :

١ـ **الاستعارة المطلقة:** هي التي لا تقترن بشيء يلائم المستعار له والمستعار منه،أو اقترنت بصفة تتلاءم معهما.

٢ـ **الاستعارة المجردة:** هي التي تقترن بما يلائم المستعار له.

٣ـ **الاستعارة المرشحة:** هي التي تقترن بما يلائم المستعار منه.

❊ ❊ ❊

التدريبات

التدريب الأول: أشر بعلامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة(×) أمام العبارة الخطأ، مع التعليل فيما يأتي:

١ـ في قوله تعالى: ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ﴾ الجامع هنا معقول. ( )

٢ـ في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا﴾ استعارة محسوس لمحسوس. ( )

٣ـ الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع تنقسم ستة أقسام. ( )

٤ـ التجريد أبلغ من الترشيح . ( )

٥ـ الاستعارة المطلقة هي التي تقترن بما يلائم المستعار له. ( )

٦ـ الإطلاق أبلغ من الترشيح والتجريد. ( )

٧ـ الاستعارة المرشحة هي التي تقترن بما يلائم المستعار منه. ( )

٨ـ الاستعارة المجردة هي التي تقترن بما يلائم المستعار له. ( )

إجابة التدريب الأول

١ـ (×). ٢ـ (×). ٣ـ (√). ٤ـ (×).

٥ـ (×). ٦ـ (×). ٧ـ (√). ٨ـ (√).

التدريب الثاني:

بين فيما يأتي أقسام الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع، وباعتبار الخارج.

١ـ قال دعبل بن علي الخزاعي:

لا تَعْجَبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ❊ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

٢ـ قال عبد الله بن المعتز:

جُمِعَ الْحَقُّ لَنَا فِي إِمَامٍ ❊ قَتَلَ الْبُخْلَ وَأَحْيَا السَّمَاحَا

٣ـ وأنشد ابن الأعرابي لأبي حية النميري:

وَلَيْلَةٍ مَرِضَتْ من كُلِّ ناحِيَةٍ ** فلا يُضِيءُ لَهَا نَجْمٌ ولا قَمَرُ

٤ـ وقال أبو الطيب المتنبي:

سَقَاكِ وَحَيَّانَا بِكِ اللهُ إِنَّمَا عَلَى ** الْعِيسِ نَوْرٌ وَالْخُدُورُ كَمَائِمُهْ

٥ـ ذم أعرابي قوما فقال:

أولئك قوم يصومون عن المعروف ويفطرون على الفحشاء

إجابة التدريب الثاني:

١- استعار الضحك للظهور استعارة محسوس لمحسوس بجامع حسي، وهي استعارة مطلقة، لعدم وجود صفة تتلاءم مع المستعار له والمستعار منه.

٢- استعار القتل للإذهاب، وهي استعارة معقول لمحسوس بجامع عقلي، وهي استعارة مطلقة؛ لعدم وجود صفة تتلاءم مع المستعار له والمستعار منه.

٣- استعار المرض الظلمة، وهي استعارة معقول لمحسوس بجامع عقلي، وهي استعارة مجردة، لوجود صفة تتلاءم مع المستعار له، وهي «فلا يضيءُ لها نجم ولا قمر».

٤- استعار النور للنساء، وهي استعارة محسوس لمحسوس بجامع حسي، وهي استعارة مجردة، لوجود صفة تتلاءم مع المستعار له، وهي «الخدور».

٥- استعار الصوم للإمساك، وهي استعارة معقول لمعقول بجامع عقلي، وهي استعارة مطلقة، لعدم وجود صفة تتلاءم مع المستعار له والمستعار منه.

التدريب الثالث:

عَرِّف كلاً من الاستعارة المطلقة ، والمجردة، والمرشحة.

إجابة التدريب الثالث:

١- الاستعارة المطلقة: هي التي لا تقترن بصفة تلائم المستعار له والمستعار منه، أو اقترنت بصفة تتلاءم معهما معا .

٢- الاستعارة المجردة: هي التي تقترن بصفة تلائم المستعار له.

٣- الاستعارة المرشحة: هي التي تقترن بصفة تلائم المستعار منه.

الدرس الخامس

(بلاغة الاستعارة)

وصف الدرس:

يتناول هذا الدرس الأسرار البلاغية للاستعارة المختلفة، وشرائط حسنها.

شرح الدرس

تمهيد

مضى بنا الوقوف على مفهوم الاستعارة، وأركانها، وقرينتها، والفرق بينها وبين الكذب، كما مضى الكشف عن ماهية الاستعارة التصريحية، والمكنية، والتمثيلية، كما كشفنا لكَ عن أقسام الاستعارة باعتباراتها المختلفة، وهنا نأتي لبيان السر في بلاغة الاستعارة، وشرائط حسنها.

بلاغةُ الاستعارةِ

تتمثل بلاغة الاستعارة في عدة جوانب:

الجانب الأول: طريقة نظمها، وتأْليف أَلفاظها، فتركيبها يدل على تناسي التشبيه، ويحمْلُك عمدًا على تخيُّل صورة جديدة تُنْسيك رَوْعَتُها ما تضمَّنه الكلام من تشبيه خفي مستور.

انظر إِلى قول البحتريِّ في الفتح بن خاقان:

يَسْمُو بِكَفٍّ، عَلَى الْعَافِينَ، حَانِيَةٍ ** تَهْمِي، وَطَرْفٍ إِلَى الْعَلْيَاءِ طَمَّاحِ

ألست ترى كفَّه وقد تمثَّلتْ في صورة سحابةٍ هتَّانة تصُبُّ وبلها على العافين السائلين، وأنَّ هذه الصورة قد تملكت عليك مشاعرك، فأذْهلتْكَ عما اختبأَ في الكلام من تشبيه؟

لهذا كانت الاستعارةُ أبلغَ من التشبيه البليغ؛ لأن التشبيه البليغ وإِن بني على ادعاءِ أنَّ المشبَّه والمشبَّه به سواءٌ لا يزال فيه التشبيه منْويًّا ملحوظا بخلاف الاستعارة، فالتشبيهُ فيها مَنْسيٌّ مجحُودٌ؛ ومن ذلك يظهر لك أنَّ الاستعارة المرشحةَ أبلغُ من المطْلَقَةِ، وأنَّ المطلقة أبلغُ منَ المجردة.

الجانب الثاني: الابتكارُ ورَوْعَة الخيال، وما يحدثه ذلك من أثرٍ في نفوس سامعيها، يجعلهم يحلقون في سماوات الخيال، وهذا المجال من المجالات الفسيحة للإبداع الإنساني، وهو ميدانٌ لتسابق المجيدين من صناديد الكلام، وأمرائه.

انظر إلى قول أبى العتاهية في تهنئة المهدي بالخلافة:

أَتَتْـــهُ الخِلاَفَـــةُ مُنْقَـادَةً ❊ إلَيْـــهِ تُجَـــرِّرُ أَذْيَالَهَـــا

تجد أنَّ الشاعر هنا صور لك الخِلافة غادة هيفاء مُدَلَّلَة فُتن الناس بها جميعا، وهي تأْبى عليهم وتصدُّ إِعراضا عنهم، ولكنها تأْتي للمهدي طائعة في دلال وجمال تجرُّ أَذيالها تيها وخفرًا[١].

هذه صورة لا شك فى روعتها أَبْدع أَبو العتاهية تصويرها، وستبقى حُلوة في الأسماع حبيبةً إِلى النفوس ما بقي الزمان.

ثم اسمع قول البارودي:

إِذَا اسْتَلَّ مِنْهُمْ سَيِّدٌ غَرْبَ سَيْفِهِ ❊ تفزَّعَتِ الأَفْلاكُ، والْتَفَتَ الدَّهْرُ

وخبرني عما تحسُّ وعما ينتابك من هول ما تسمع، وقل لنا: كيف خطرتْ في نفسك صورة الأَجرام السماوية العظيمة حيَّةً حساسة تَرتعِد فَزَعًا وَوَهَلا؟ وكيف تصورتَ الدهر وهو يلتفتُ دهشا وذهولاً؟

ثم تأمل قولَ شاعر الحماسةِ:

قَـوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذَيْهِ لَـهُـمْ ❊ طَـارُوا إِلَيْـهِ زَرَافَـاتٍ وَوُحْدَانَـا

حيث صوَّر لك الشرَّ، بصورةِ حيوانٍ مفترسٍ مكشِّرٍ عن أنيابهِ مما يملأُ فؤادكَ رعبا،ثم صوَّر القومَ الذين يعنيهم، بصورِ طيورٍ تطيرُ إلى مصادمةِ الأعداءِ طيرانا مما يستثيرُ إعجابكَ بنجدتِهم، ويدعوكَ إلى إكبارِ حميَّتِهم وشجاعتهِم.

وبهذه الأمثلة يتضح لنا أن التراكيبَ المشتملةَ على الاستعارة أبلغ من تراكيب التشبيهِ، وأشد وقعا في نفس المخاطبِ؛ لأنه كلما كانتْ داعيةً إلى التحليقِ في سماء الخيالِ، كان وقعُها في النفسِ أشدَّ، ومنزلتُها في البلاغة أعلَى، وما يبتكرهُ أمراءُ الكلامِ من أنواعِ صورالاستعارةِ البديعةِ، الّتي تأخذُ بمجامعِ الأفئدةِ، وتملكُ على القارئِ والسامعِ لبَّهما وعواطفَهما هو سرُّ بلاغةِ الاستعارةِ.

(١) خفرًا: الحياءُ.

الجانب الثالث: ومن بلاغة الاستعارة ـ أيضـًا ـ أن يعمد الشاعر إلى الصورة التي يرسمُها، فيفصِّلُ أجزاءها، ويبينُ لكلِّ جزءٍ مزيتَهُ الخاصةَ، كقول امرئ القيس في وصفِ الليلِ بالطولِ:

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ ❊ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

أَلا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلا انْجَلي ❊ بِصُبْحٍ وَمَا الإصْبَاحِ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

فإنه لم يكتفِ بتمثيلِ الليلِ، بصورة شخصٍ طويلِ القامةِ، بل استوفى له جملة، أركانِ الشخصِ؛ فاستعارَ صُلبا يتمطَّى به؛ إذ كان كلُّ ذي صُلبٍ يزيدُ في طولهِ تمطيهِ،وبالغَ في ذلك بأَنْ جعل له أعجازا يردفُ بعضُها بعضا، ثم أرادَ أن يصفَه بالثقلِ على قلبِ ساهرهِ، فاستعارَ له كلكلاً ينوءُ به أيْ: يثقلُ به، ولا يخفَى عليكَ ما يتركُه هذا التفصيلُ البديعُ في قلبِ سامعهِ من الأثرِ العظيمِ، والارتياحِ الجميلِ.

الجانب الرابع: إبراز المعقول في صورة المحسوس ، وذلك أن الأمر المعقول إذا صور في شيء حسي، فإن العقل يكون مستوعبا له أكثر مما لو كان مجردا عن الحس ، فاستعارة الليل للباطل، في قولنا: « أطل علينا ليلٌ بهيمٌ»، واستعارة النهار لانتصار الحق على الباطل في قولنا: «بدد النهارُ الليلَ»، فيه تثبيت لهذا المعنى المجرد في الأفئدة، وترسيخ له في النفس الإنسانية مما لو جاء التعبير عنه مجردا دون استعارة.

الجانب الخامس: التجسيد والتشخيص، ومن بلاغة الاستعارة كذلك وبخاصة المكنية أنها تعمد إلى تشخيص المعنويات وتجسيدها، فالتجسيم والتشخيص يعدان من أهم سماتها وقيمها الفنية.

ولو دققنا النظر في كثير من صور الاستعارات، لوجدنا هذا الأمر واضحا جدا، حيث جَسَّد الشعراء المعنويات، وشَخَّصوا الحيوانات، وعاملوها على أنها إنسيٌّ عاقل تخاطبهم ويخاطبونها، وتجاوبهم ويجاوبونها، وتشتكي إليهم، ويشتكون إليها،كل هذا كائن في أشعارهم بوضوح.

الجانب السادس: المبالغة والتأكيد والإيجاز، فإن أي أسلوب من أساليب الاستعارة التي مرت بك لا تخلو من واحدة منها، ناهيك عن الأسرار الأخرى المستمدة من طيات الاستعارة والتي يرشد إليها السياق ، ويستخرجها الألمعي الفطن الشغوف بتذوق البيان.

❊ ❊ ❊

ملخص الدرس

بلاغة الاستعارة تتمثل في عدة جوانب:

الأول: من ناحية اللفظ والنظم، وهو أنَّ تركيبها يدل على تناسي التشبيه، ويحمْلك عمدًا على تخيُّل صورة جديدة تُنْسيك رَوْعَتُها ما تضمَّنه الكلام من تشبيه خفي مستور.

الثاني: الابتكارُ ورَوْعَة الخيال، وما تحدثه من أثرٍ في نفوس سامعيها، وهو مجالٌ فسيحٌ للإبداع، وميدانٌ لتسابق المجيدين من أمراء الكلام.

الثالث: تصوير المعقول في صورة المحسوس.

الرابع: التجسيد والتشخيص.

الخامس: المبالغة والتأكيد والإيجاز وغير ذلك.

* * *

إثراءات

لاحظ أن: التجسيد والتشخيص سمتان واضحتان من سمات الاستعارة المكنية.

لاحظ أن: من شروط حسن الاستعارة أن يتقرر الشبه ويثبت بين الطرفين عرفًا أوعقلًا.

انتبه إلى: أن التأكيد والمبالغة والإيجاز تعد من أسرار بلاغة الاستعارة، والمجاز المرسل معا، ولكل منهما أسرار أخرى تميز كل منهما عند استعمالاتهما في سياقاتهما.

* * *

التدريبات

التدريب الأول: أشر بعلامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة(×) أمام العبارة الخطأ، فيما يأتي:

١- التجسيد والتشخيص سمة واضحة من سمات الاستعارة المكنية. ( )

٢- الاستعارة البليغة لا بد من كونها استعارة تمثيلية. ( )

٣- الاستعارة والمجاز المرسل صنوان في البلاغة. ( )

٤- التأكيد والمبالغة والإيجاز من بلاغة الاستعارة والمجاز المرسل. ( )

٥- الاستعارة المبتكرة من الاستعارات البديعة. ( )

٦- التشبيه أعلى كعبا من الاستعارة في البلاغة. ( )

إجابة التدريب الأول

١- (√). ٢- (×). ٣- (×).

٤- (√). ٥- (√). ٦- (×).

التدريب الثاني:

عين بلاغة الاستعارة فيما يأتي:

١ـ قال المتنبي يصف دخول الروم على سيف الدولة:

وَأَقْبَلَ يَمْشِي فِي الْبِسَاطِ فَمَا دَرَى ❊ إِلَى الْبَحْرِ يَسْعَى، أَمْ إِلَى الْبَدْرِ يَرْتَقِي

٢ـ وصف أعرابي أخا له فقال: (كان أخي يقري العين جمالا، والأذن بيانا)

٣ـ قال تعالى: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾[مريم:٤].

٤ـ قال تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾[الملك:٨].

إجابة التدريب الثاني

١ـ شبه سيف الدولة بالبحر بجامع العطاء، على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة (فأقبل يمشي في البساط)، وشبه سيف الدولة بالبدر بجامع الرفعة، على سبيل الاستعارة التصريحية،

والقرينة (فأقبل يمشي في البساط). وبلاغة الاستعارة هنا تعود إلى الإيجاز والتوكيد والمبالغة وتقرير المعنى في النفس.

٢ـ شبه إمتاع العين بالجمال، وإمتاع الأذن بالبيان بقرى الضيف، على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة جمالا، وبيانا، وفيها إبراز للمعقول في صورة المحسوس.

٣ـ شبه الرأس بالوقود، ثم حذف المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه، وهو (اشتعل) على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة إثبات الاشتعال للرأس، وتبدو بلاغتها من جهة تأليف نظمها، ودقة تركيب لفظها مما لو قال: اشتعل شيب الرأس، فإنه لا يصور الإحاطة والانتشار للشيب في جميع أنحاء الرأس، كما جاء هذا التركيب .

٤ـ تتمثل بلاغة الاستعارة هنا في «أنها ترتسم أمامك النار في صورة مخلوق ضَخْمٍ بطَّاشٍ مكفهرِّ الوجه عابسٍ يغلي صدرُه حقدًا وغيظا» وهي صورة مرعبة مهولة لنار جهنم أعاذنا الله منها.

* * *

الوحدة الثانية (الكناية)

(الكناية: تعريفها، أقسامها، بلاغتها)

أهداف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

- يعرف الكناية، ويذكر أقسامها.
- يفرق بين الكناية، والمجاز.
- يوازن بين أقسام الكناية .
- يذكر أمثلة لأضرب الكناية عن صفة .
- يذكر أمثلة للكناية عن نسبة.
- يذكر خصائص الكناية.
- يستخرج من أمثلة مقدمة له كناية عن موصوف ، ويبين نوعه.

وصف الدرس:

يتناول هذا الدرس مفهوم الكناية، وأركانها، وقرينتها، والفرق بين الكناية والمجاز، وأقسام الكناية المختلفة، وأنواع كل قسم، وبلاغة الكناية، وخصائصها الجمالية.

شرح الدرس

تمهيد:

الكناية فن خلاب رائع من فنون البلاغة العربية، وركيزة قوية من ركائزها، ومَظهرٌ من مظاهرها، وغايةٌ لا يصل إليها إلا من لَطُفَ طبعُه، وصفتْ قريحتُه، وهي تعد كما قال الإمام عبد القاهر الجرجاني: من «الأقطاب التي تدور البلاغة عليها، والأعضاد التي تستند الفصاحة إليها، والطَّلِبة التي يتنازعها المحسنون، والرِّهان الذي تُجَرَّبُ فيه الجياد، وهي التي نوه بذكرها البلغاء، ورفع من أقدارها العلماء،

وصنفوا فيها الكتب، ووكلوا بها الهمم، وصرفوا إليها الخواطر، حتى صار الكلام فيها نوعًا من العلم مفردا»[١].

تعريف الكناية:

الكناية لغة: مصدر من كنيتُ أو كنوتُ بكذا عن كذا، إذا تركتُ التصريح به، وكَنَى عَن الأَمْر بغيره يَكْنِي كِنَايَةً، أي: تكلَّم بغيره مِمَّا يُسْتَدَلُّ به عليه.

واصطلاحا: لفظ أطلق، وأريد به لازم معناه، مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي.

نحو: «محمد واسع الصدر» تريد بتلك العبارة الكناية عن الحِلم، فتركتَ التصريح إلى الكناية عنه؛ لأنه يلزم من سعة الصدر أن يكون المرء حليما، ويجوز مع ذلك أن يكون محمدٌ واسع الصدر حقا؛ لأن قرينة الكناية غير مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

ومن ذلك قولنا: «فلان نظيفُ اليد» فالمعنى الحقيقي هنا ليس مقصودًا، وهو نظافة اليد وغسلها من الأقذار، وإنما المقصود المعنى الملازم لذكر هذه العبارة في العرف والعادة من: العفة، أو الأمانة، أو النزاهة، أو الترفع، ويجوز مع ذلك أن يكون نظيفَ اليد حقا؛ لأن قرينة الكناية غير مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

ومن ذلك قولنا: «فلانة نؤوم الضحى» كناية عن الترف والتنعم، ويجوز أن تكون نؤوم الضحى فعلا؛ لأن القرينة المنصوبة في الكناية لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.

ومن ذلك ـ أيضا ـ: «زيد طويل النجاد» تريد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم، فعدلت عن التصريح بهذه الصفة إلى الإشارة إليها، والكناية عنها؛ لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول صاحبه، ويلزم من طوله شجاعته في العادة، ومع ذلك يصح أن يراد المعنى الحقيقي.

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان:٢٧] كناية عن الندم، فَعُدِل عن التصريح بهذه الصفة إلى الكناية عنها؛ لأنه يلزم من عض الظالم على يده يوم القيامة الندم الشديد على ما كان منه من تفريط في حياته الدنيا في وقت لا ينفع فيه الندم، فالمقصود من هذه الآية ليس المعنى الحقيقي، وهو عض اليدين فعلا، وإنما يقصد المعنى الكنائي، والقرينة هنا لا تمنع من المعنى الحقيقي كذلك.

---

(١) دلائل الإعجاز تحقيق الشيخ محمود شاكر ٥٢٠ ، ٥٢١ .

أركان الكناية:

يتضح لنا من الأمثلة السابقة أن الكناية لابد فيها من توافر أربعة أركان:

١ـ المكني به: وهو المعنى الحقيقي المتلفظ به المذكور في العبارة.

٢ـ المكني عنه: وهو المعنى الكنائي المستشف من المعنى الحقيقي.

٣ـ العلاقة التي تكون بين المكني به والمكني عنه، وهي اللزوم.

٤ـ القرينة: وهي غير مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

الفرق بين الكناية، والمجاز:

مما سبق يتضح جليا لأبنائنا الطلاب أن أسلوبَ الكناية شأنه شأن المجاز لا بد فيه من علاقة وقرينة، إلا أن علاقة الكناية وقرينتها تفترقان وتتمايزان عن علاقة المجاز وقرينته، فعلاقة الاستعارة هي المشابهة، وعلاقة المجاز المرسل هي غير المشابهة، أما العلاقةالتي تربط بين المعنى الكنائي، وبين المعنى الأصلي، فهي علاقة التلازم، سواء نشأ هذا التلازم من عادة مشتهرة، كعادة إيقاد النار لإرشاد الضيوف عند كرماء العرب، أو نشأ هذا التلازم من طبيعة مستقرة في الإنسان، أو الحيوان، كطبيعة تقطيب الوجه عند الإنسان إذا غضب، وطبيعة النباح في الكلب إذا لم يأنسْ، وتركه النباح إذا أَنِسَ، أو نشأ هذا التلازم من اختصاص فعل من الأفعال بنوع من الناس، كاختصاص خضاب الكف بالنساء،وحمل السلاح بالرجال، كما قال المتنبيّ يمدح «سيف الدولة» لَمَّا ظفر ببني كلاب إذْ عَصَوْه:

فَمَسَّاهُمْ وَبُسْطُهُمْ حَرِيرٌ ⁂ وَصَبَّحَهُمْ وَبُسْطُهُمْ تُرَابُ

وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ ⁂ كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابُ

إلى غير ذلك من أنواع اللزوم العقلي أو العرفي.

فعلاقة الكناية ـ كما ترى ـ تختلف عن علاقة المجاز المرسل والاستعارة، أو بعبارة أدق لكل نوع من هذه الأنواع علاقة لها طابع خاص يميزها من غيرها.

أما قرينة الكناية، فلها سمت معين كذلك تتمايز به عن قرينة المجاز، فقرينة المجاز قرينة مُعَانِدَةٌ بطبيعتها يستحيل معها الجمع بين المعنى الحقيقي والمجازي، أما قرينة الكناية، فهي بطبيعتها غير مانعة من إرادة المعنى الأصلي، فيمكن أن يراد المعنى الحقيقي مع الكنائي، فحين تقول: «رأيت أسدًا يحكي

بطولاته»، فإن لفظة «أسد» هنا استعارة تصريحية ، والقرينة يحكي، وهذه القرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي؛ لأنه لا يوجد أسد حقيقي يحكي أو يتحدث.

بينما في الكناية لا توجد قرينة تمنع من وجود المعنى الحقيقي، فحين تقول: «فلان يده طويلة»، فإنه يجوز إرادة المعنى الحقيقي، وهو طول اليد فعلا، كما يجوز إرادة المعنى الكنائي الذي يختفي خلف المعنى الحقيقي وهو أنه لص.

أما إذا استحال المعنى الحقيقي في بعض الأساليب ـ كما سيأتي ـ فليست هذه الاستحالة راجعة لطبيعة القرينة، بل لعارض خارجي خاص بمادة الكناية ذاتها لا من القرينة نفسها.

أقسام الكناية

تنقسم الكناية باعتبار المكني عنه ثلاثة أقسام:

أولا: الكناية عن صفة: وهي أن يُذْكَرَ الموصوف، ثم يُنسب لهذا الموصوف صفةً ما، ولكنَّ هذه الصفة المذكورة غير مرادة، وإنما المراد هو لازم تلك الصفة، فمثلا حين نقول: «فلانة نؤوم الضحى» فقد ذكرنا الموصوف وهو فلانة، ثم نسبنا لها صفة وهي نؤوم الضحى، وهذه الصفة غير مرادة هنا، بل يراد لازمها، وهي أنها منعمة مترفة مخدومةٌ لها من يكفيها أمرها، فالمعنى الملفوظ يلزم منه هذا المعنى الملحوظ.

وبهذا يتبين أن الكناية عن صفة لا بد فيها من ثلاثة أمور: موصوف، وصفة، ونسبة، ولكنَّ الصفة المذكورة غير مرادة، ولكنْ كُنِّيَ بها عن صفة تلزمها.

أضرب الكناية عن صفة:

الكناية عن صفة ترد على ضربين:

الضرب الأول: كناية قريبة: وهي أن يكون الانتقال من المعنى المكني به (المعنى الحقيقي) إلى المعنى المكني عنه (المعنى الكنائي) بدون واسطة.

والكناية القريبة ترد على قسمين:

أـ كناية قريبة واضحة: وهي التي يكون الانتقال من المعنى المكني به إلى المعنى المكني عنه واضحا ظاهرا، لا تحتاج لأناة وطول تفكير في استخراجها ؛ لوضوحها وسهولة استنتاجها.

كقولهم: «فلانٌ ثَوْبُه طويل»، و«قُلُنْسُوَتُه كبيرة»، و«حذاؤهُ يتّسع لقدمَيْن»، أي: هو طويل القامة، عظيم الرأس، كبير القدم، وهي كنايات سهلة لا يصعب إدراكها على معظم الناس.

ومن ذلك قول المتنبيِّ:

فَمَسَّاهُمْ وَبُسْطُهُمُ حَرِيرٌ ** وَصَبَّحَهُمْ وَبُسْطُهُمُ تُرَابُ

كنَّى بعبارة: «وبُسْطُهُمُ حَرِيرٌ» عن أَنَّهُمْ كَانُوا في عزّةٍ وسيادة قبل محاربته لهم؛ لأن من كان عزيزًا سيدا كانت بُسْطُهُ غالبا من حرير.

وكنَّى بعبارة «وبُسْطُهُم تُراب» عن حالة الذُّلّ والمهانة التي وصَلُوا إليها بعد أن حاربهم وظفر بهم؛ لأنّ الذليل المهين لا يجد غير التراب يفترشه.

ومثله قول طفيل الغنوي يصف جواده:

بِسَاهِمِ الْوَجْهِ لَمْ تُقْطَعْ أَبَاجِلُهُ ** يُصَانُ وَهْوَ لِيَوم الرَّوْعِ مَبْذُولُ[1]

فقوله: «بِسَاهِمِ الْوَجْهِ» كناية عن ضمور جواده وخفته؛ لأن قلة لحم الوجه تعني: أنه جواد ضامر رشيق غير مترهل، وهي كناية قريبة ظاهرة سهلة الاستنتاج كما ترى.

وخصَّ الوجه؛ لأنه يبدو عليه - أكثر من غيره - علامات النعمة والسمنة، أو الضمور والخفة، وهذا مشاهد بجلاء في بني البشر كذلك .

ب - كناية قريبة خفية: وهي التي تكونُ مع قُرْبها خفيَّة، بمعنى أن: اللّزوم فيها بين المكنَّى به، والمكنَّى عنه يكون أمرًا خفيًّا.

كأن تقول: «فلانٌ عَيْنُه فارغةٌ» كنايةً عن حبه لمشاهدة كل شيء، ونظره إلى كل شَيْءٍ، فهذه الكناية يُتَوصَّل إلى المراد بها عن طريق لازم واحدٍ، فهي قريبة؛ إذْ يلزم من فراغ العين التي هي أداة النظر رغبة صاحبها بِمَلْئِهَا، وملْءُ العين إنّما يكون بالنظر إلى الأشياء التي تَسْتَحسنها.

لكنَّ استعمال فراغ العين للكناية عن هذا المعنى غير متداول، فهي مع قربها في هذا المثال كناية خفيّة.

ومثله قولهم كناية عن الأبله: «فلان عريض القفا»، و«عظيم الرأس» فإن عرض القفا، وعظم الرأس مما يستدل به في العادة على الغباء والبلاهة، لكن الانتقال من ذلك إلى الغباء والبلاهة فيه نوع

---

(١) ساهم الوجه: قليل لحم الوجه لطول غزوه وعتقه، لم تقطع أباجله: لم يصبه داء يقطعه البيطار، وهو العالم بأحوال الخيل وأدوائها، والأبجل: عرق في ذراع البعير والفرس بمنزلة الأكحل من الإنسان.

خفاء لا يطلع عليه كل أحد، بل يحتاج إلى فِراسة، وليس الخفاء بسبب كثرة الوسائط والانتقالات حتى تكون بعيدة.

ومثله قوله ﷺ : «المؤمن يأكل في مِعًى واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء»، والمراد أن المؤمن يقنع في مطعمه بما يقيم الأود، والكافر ليس له هَمٌّ إلا الطعام، فالعبارة الأولى كناية عن صفة القناعة، والعبارة الثانية: كناية عن النهم، وهما صفتان، والموصوف مذكورفي العبارتين، وكذلك الصفة التي تستلزم الصفة المكني عنها، ولكنها خفية في إدراكها بعض الشيء كما ترى .

الضرب الثاني: كناية بعيدة: وهي أن يكون الانتقال من المعنى المكني به إلى المعنى المكني عنه بوسائط عديدة .

وسميت بعيدة؛ لأنها تحتاج في إدراكها إلى تأمل وتمعن وطول تفكر، ولا يصل إليهاإلا من يغوص عليها، ويتغلغل في أساليبها.

من ذلك قول الخنساء في رثاء أخيها صخر:

طَوِيـلُ النِّجَـادِ رَفِيـعُ الْعِـمَا ❊ دِ كَثِيـرُ الرَّمَـادِ إِذَا مَـا شَـتَا

فقولها: «كثير الرماد» كناية عن صفة الكرم، وهي كناية بعيدة لكثرة الوسائط؛ لأنه يلزم من كثرة الرماد الانتقال إلى كثرة إحراق الحطب تحت قدور الطبخ، والانتقال من كثرة إحراق الحطب تحت قدور الطبخ إلى كثرة الأطعمة، ثم انتقال الذهن من كثرة الطعام إلى كثرة الأكلة والضيوف، ثم انتقال الذهن من كثرة الأكلة والضيوف إلى اتصاف الممدوح بالكرم.

فكما ترى تم الانتقال إلى المقصود بعدة طرق ووسائط ذهنية احتاجت إلى التأمل والتدبر، وبحسب قلة الوسائط وكثرتها في كل أسلوب من أساليب الكناية البعيدة تختلف الدلالة على المقصود وضوحا وخفاء.

ثانيا: الكناية عن موصوف: وهي التي يكون «المكني به» دالا على صفة، أو صفتين، أو صفات لها اختصاص ظاهر بموصوف معين، ويكون المقصود من ذكرها الدلالة بها عليه.

وعلى ذلك فالكناية عن موصوف تأتي على ثلاثة أنواع:

١ ـ أن يكون «المكني به» دالا على صفة واحدة لها اختصاص ظاهر بموصوف معين، مثل قولهم في الكناية عن الخمر: «أم المصائب» لشهرة الخمر عند العقلاء بجلب المصائب، وتوليد الكوارث، وأم المصائب صفة واحدة لها اختصاص واضح في العقل والعادة بهذا الموصوف المكني عنه وهو الخمر.

وكقولهم في الكناية عن السفينة: «ابْنَةُ الْيَمِّ»؛ لملازمتها ماء البحر في جميع الأوقات، وهي كذلك صفة واحدة لها اختصاص واضح في العقل والعادة بهذا الموصوف المكني عنه وهو السفينة.

وقس على ذلك كل الأمثلة التالية، كقولهم في الكناية عن النساء «ذوات الخلاخيل»؛ لملازمة النساء للبسها، وكقول حافظ إبراهيم:

وَبُنَاةُ الأَهْـرَامِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ ⁂ كَفَـوْنِيَ الْـكَلامَ عِنْـدَ التَّحَـدِّي

فقوله: «بناة الأهرام» صفة واحدة كناية عن موصوف ، وهم الفراعنة.

ومثله أيضا قول أبي نواس في وصف الخمر:

فَلَـمَّا شَرِبْنَاهَـا وَدَبَّ دَبِيبُهَـا إِلَى ⁂ مَوْطِـنِ الأَسْرَارِ قُلْـتُ لَهَـا قِفِـي

فقوله:«موطن الأسرار» صفة واحدة كناية عن موصوف وهو القلب.

ومثله قوله تعالى :﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾ [القلم:٤٨]، فقوله: «كَصَاحِبِ الْـحُوتِ» صفة واحدة كناية عن موصوف، وهو سيدنا يونس عليه السلام.

٢ـ أن يكون «المكني به» دالا على صفتين لهما اختصاص ظاهر بموصوف معين.

مثل قولـه تعـالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ﴾[الزخرف: ١٨]، فهو كناية عن موصوف «البنات»، وهذه الكناية مستمدة من صفتين لهما اختصاص ظاهر بهذا الموصوف الأولى: التنشئة في الحلية، فهي صفة للبنات، ولكنها لا تخصها وحدها، والثانية قوله: ﴿وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ﴾ فهي صفة للبنات ـ أيضا ـ ، ولكنها لا تختص بها وحدها، ولكن الصفتين مجتمعتين تختصان بالبنات دون غيرهن في العادة الجارية بين الناس.

ومن ذلك ـ أيضا ـ قوله تعالى: ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ﴾ [القمر:١٣]، فهو كناية عن موصوف «السفينة»، وهو مستمد من صفتين: الأولى:«ذات ألواح»، والثانية: «دسر»، ولا يمكن فهم السفينة من الدسر وحدها، وهي المسامير، ولا من الألواح وحدها، بل هما معا لهما اختصاص بالموصوف.

والسرُّ في التعبير عن السفينة بهذين الوصفين؛ ليؤكد على أنها سفينة محكمة شديدة الإحكام بالدسر والألواح، وهذا يلائم سياق الموقف الصعب الذي أحدق بنوح ـ عليه السلام ـ ومن معه في السفينة.

٣ـ أن يكون «المكني به» دالا على صفات لها اختصاص ظاهر بموصوف معين.

كقولهم في الكناية عن الإنسان: «حي مستوي القامة عريض الأظفار» فالحياة صفة في الإنسان، ولكنها لا تخصه، وكذلك استواء القامة كناية عنه ولكنها لاتختص به، وكذلك عرض الأظفار كناية عنه، ولكنها لا تختص به، ولكن هذه الصفات مجتمعة تحدد معناه، وتدل عليه؛ لأنها لا توجد مجتمعة في غيره.

ومن ذلك قول أحمد شوقي:

وَلِي بَيْنَ الضُّلُوعِ دَمٌ وَلَحْمٌ ❊ هُمَا الْوَاهِي الَّذِي ثَكِلَ الشَّبَابَا

فهو كناية عن القلب، مستمد من ثلاث صفات، الضلوع والدم واللحم، فلو اقتصر على الدم واللحم ما دَلاَّ على الموصوف (القلب)، ولكنه حين ضم الضلوع إليهما دل الثلاثة عليه؛ لأن المجموع يشير إلى ذلك، وينطبق عليه.

فكما رأيت في جميع هذه الأمثلة أطلقت الصفةُ أو الصفتانِ أو الصفاتُ، وأريد موصوفها لوجود تلازم بينهما يجعل الذهن ينتقل من هذه الصفة أو الصفتين أو الصفات إلى الموصوف.

وأغلبُ الكنايات من النوع الثاني والثالث تضفي على الموصوف ظلا آخر، وتبرز معاني دقيقة يتطلبها سياق الكلام كما رأيت.

وبهذا يتضح أن الكناية عن موصوف لا بد أن يتوافر فيها أمران:

الأول: أن تكون الصفة، أو الصفتان، أو الصفات المذكورة من خصائص الموصوف المحذوف المكني عنه لا يشترك في هذه الصفة، أو الصفتين، أو الصفات موصوف آخر كي لا يحدث لبس أو اختلاط أو تداخل أو تعمية.

الثاني: أن اللفظ المذكور المكني به قد يكون وصفا واحدا، مثل موطن الأسرار في قول أبي نواس في وصف الخمر:

فَلَمَّا شَرِبْنَاهَا وَدَبَّ دَبِيبُهَا إِلَى ❊ مَوْطِنِ الأَسْرَارِ قُلْتُ لَهَا قِفِي

كما مر ذكره، وقد يكون وصفين مثل قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر:١٣] كما مر أيضا، وقد يكون أوصافا متعددة لا تتحقق الكناية إلا بها جميعها كقول شوقي:

وَلِي بَيْنَ الضُّلُوعِ دَمٌ وَلَحْمٌ ❊ هُمَا الْوَاهِي الَّذِي ثَكِلَ الشَّبَابَا

كما مر كذلك.

هذا، والكناية عن الموصوف بمختلف أنواعها الثلاثة السابقة تأتي على حالتين:

الحالة الأولى: تكون قريبة سهلة التناول والإدراك ، وغالبا ما تكون في النوع الأول فيما جاء لفظ «المكني به» دالا على صفة واحدة لها اختصاص ظاهر بموصوف معين.

الحالة الثانية : تكون بعيدة لاحتياجها إلى تأمل وتفكر وغالبا تكون في النوع الثاني والثالث فيما جاء المكني به صفتين، أو صفات لها اختصاص واضح بالموصوف.

وقد يكون إدراك الكناية في جميع الأنواع السابقة سهلا يسيرا من ذلك قول أُمَيَّة بن أَبِي الصَّلْتِ في ثنايا مدحه عبد الله بن جُدْعَان:

قَــوْمٌ حُصُونُهُــمُ الأَسِــ ** ــنَّةُ وَالأَعِنَّــةُ وَالحَوَافِــرْ

فالصفات الثلاث في قوله: «الأَسِنَّةُ وَالأَعِنَّةُ وَالحَوَافِرْ» كناية عن أن هؤلاء القوم الذين يمدحهم أصحاب خيل وحرب، فكنى عن الموصوف أهل الحرب بصفة واحدة وهي قوله «الأَسِنَّة» وعن الموصوف أصحاب الخيل بصفتين في قوله: «الأَعِنَّة وَالحَوَافِرْ»، وكلتاهما مختصتان بالخيل ومرتبطتان بها دون سواها، فالشاعر بدل أن يقول: «هؤلاء قوم أهل حرب وأصحاب خيل» استعاض عن ذلك بما ذكره.

والذي جعله يسلك هذا المسلك هو وجود التلازم الواضح بين ما ذكره، وبين الموصوفَيْنِ «أهل الحرب، وأصحاب الخيل»، مما جعل الذهن ينتقل إلى الموصوفين المكنى عنهما بسهولة.

ولفظة حصونهم وما بعدها فيها إشارة دقيقة إلى طبائع أهل الصحراء، فلم تكن حصونهم بروجا مشيدة ولا قلاعا محصنة، بل كانت عتادًا وأسلحة وخيولًا .

ثالثا: الكناية عن نسبة: وضابط الكناية عن نسبة أن نذكر الصفة، ونصرح كذلك بالموصوف لكنَّنا لا ننسب هذه الصفة المذكورة في الكلام إلى صاحبها مباشرة، وإنما ننسبها إلى شيء آخر لا يصلح أن تُنسب إليه تلك الصفة مما يعني في العقل أننا نريد صاحبها.

وقد أوردت كتب البلاغة أمثلة عديدة على ذلك منها قول زياد الأعجم :

إِنَّ السَّماحَةَ وَالـمُرُوءَةَ وَالنَّدَى ** فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الـحَشْرَجِ

فقد نَسَب زيادٌ «السماحة والمرؤة والندى» لِقُبَّةِ ممدوحه، والمراد نسبتها للممدوح، ولكنه عدل عن نسبتها إليه صراحة إلى ما له اتصال به، وهي القبة المضروبة عليه مبالغة في كمال هذه الصفة فيه.

ومنها قول أبي نواس:

فَمَا جَازَهُ جُودٌ وَلا حَلَّ دُونَهُ ⁂ وَلَكِنْ يَصِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ

فقد جعل أبو نواس الجود ينتقل حيث ينتقل ممدوحه، فنسب الجود إلى شيء متصل بالممدوح، وهو المكان الذي يوجد فيه ذلك الممدوح ، والمراد وصف الممدوح بالجود والعطاء، ولكنه عدل عن ذلك صراحة مبالغة في كمال هذه الصفة فيه .

ومن ذلك قول الشاعر:

الْيُمْنُ يَتْبَعُ ظِلَّهُ ⁂ والْمَجْدُ يَمْشِي فِي رِكَابِهِ

حيث جعل الشاعر اليُمْن يَتْبَعُ ظِلَّ ممدوحه، والمجد يَمْشِي في ركابه، فنسب ذلك إلى شيء متصل بالممدوح وهو ظله وركابه، والمراد وصف الممدوح نفسه بذلك،ولكنه عدل عن ذلك صراحة مبالغة في كمال هذه الصفة فيه.

ومن ذلك أيضا قول الجُمَيْحِ الأسدي يصف جواده من قصيدة عيَّر فيها بني عامر بفرارهم:

لَوْ خَافَكُم خَالِدُ بنُ نَضْلَةَ نَـ ⁂ ـجَّتْهُ سَبُوحٌ عِنَانُهَا خَذِمُ

الخذم : المسرع، وقوله: «عِنَانُهَا خَذِمُ» كناية عن سرعة الفرس، فقد نسب السرعة للعنان، والمراد نسبة السرعة للفرس نفسها على سبيل الكناية عن نسبة؛ لأنه يستحيل عقلا وبداهة أن يكون العنان هو السريع، فتحتم أن ينتقل الذهن إلى دلالة أخرى تكون أوفق بالمراد، ويتحقق فيها التلاؤم وعدم التنافر، وهو سرعة الفرس ذاته.

هذا، ويلاحظ أن المعنى الأصلي هنا غير ممكن الحدوث؛ لأن العنان الموضوع على ظهر الفرس يستحيل أن يسرع؛ لأنه جماد لا حول له ولا طَوْل، وهذا عائد لذات الأسلوب، وليس لطبيعة قرينة الكناية التي لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.

وآثر الشاعر الكناية هنا على الحقيقة؛ لأن فيها ـ كما نحس ـ مبالغة مستحبة وتصويرًا رائعًا وعجيبًا لسرعة فرسه، فإذا كان عنان الفرس مسرعا، فما بالك بها نفسها ؟!،وفيها ـ أيضا ـ تحسين للأسلوب، وتزيين له بما يجعله مؤثرا بقوة في النفس عن تلك الحقيقة المجردة لو قال: «نجته سبوح مسرعة»، علاوة على ما فيها من تصوير للمعنى بإقامة الحجة والبرهان علي صحته.

خصائص الكناية وبلاغتها:

الكناية شأن غيرها من ألوان البيان لها أسرار عامة تتحقق في كثير من الأساليب .



كما أن لها أسرارًا خاصة تتولد من طبيعة كل أسلوب، ولا تظهر إلا بتحليلها والغوص في أرجائها، ويتعرف عليها كلُّ مَنْ لَطُفَ طبعه، وصفت قريحته البيانية.

ومن يتأمل في أساليب الكناية المختلفة، يجد أنها ترد لخصائص بلاغية عديدة ومتنوعة منها:

١ـ **الابتعاد عن اللفظ المفحش** الذي لا تستسيغُ الآذانُ سماعه إلى ما يدل على معناه، لكون هذا اللفظ من العورات، أو المستقبحات، أو المستقذرات، وأمثلة ذلك كثيرة جدًّا في القرآن الكريم، وكلام العربِ، مثل قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٧]، فالمراد بالرفث: الاتصال بالمرأة، فعدل القرآن عن التصريح بذلك إلى الكناية عنه؛ تحاشيا عن الألفاظ التي لا تليق.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾[المائدة:٦].

فقوله: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾، كناية عن قضاء الحاجة الناقضة للوضوء، وقوله ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ كناية عن الجماع، فعدل القرآن عن التصريح بذلك في الموضعين إلى الكناية عنه؛ تساميا عن الألفاظ التي لا يليق ذكرها، وتعليما للبشر أن ينهجوا هذا النهج في أساليبهم التي يتخاطبون بها فيما بينهم.

ومن ذلك ما حُكي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في عدم النَّظر إلى العورات: «ما رأيتُ منْهُ ولا رأى منِّي» تقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كناية عن العورة المغلَّظة.

ففي هذه الأمثلة عبرنا بالكناية ابتعادا عما لا يليق ذكره، وهذه خصيصة واضحة من خصائص الكناية في الأدب العربي.

٢ـ **إبراز الكناية للمعقول في صورة المحسوس**، فتزيده إيضاحا، وتثبته في نفس المخاطب، كقوله صلى الله عليه وسلم: «لا ترفعْ عصاكَ عن أهلك» فليس المراد هنا الضرب بالعصا على الحقيقة، وإنما المراد لا ترفع التأديب عنهم، ولا تقطع التقويم عنهم، فكنَّى عن ذلك بهذه العبارة، حملا للكلام على عرف العرب؛ لأن المتعارف بينهم أن التأديب في الأكثر لا يكون إلا بقرع العصا، فأنتَ تراه كيف أبرز المعقول؟ وهو التأديب في صورة المحسوس وهو الضرب بالعصا، فأحدث أثره المطلوب في النفس.

ومثلُه: «فلانٌ كثير الرمادِ» في الكناية عن الكرمِ، حيث أبرز المعقول وهو الكرم في صورة المحسوس، وهو كثرة رماد الممدوح.

ومثله: «رسولُ الشرِّ»، في الكنايةِ عن المزاحِ، حيث أبرز المعقول وهو المزاح في صورة المحسوس «رسول الشرِّ».

ومثله قول البحتريِّ:

أَوَ مَا رَأَيْتَ الْـمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ ※ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

وذلك في الكنايةِ عن نسبةِ الشرف إلى آل طلحةَ، فكلُّ هذه الأمثلة تبرز لك الكناية عن المعاني المعقولة في صورةٍ مشاهدة محسوسة، ترتاحُ نفسُك إليها، ولا شكَّ فى أنَّ هذه خصيصة من خصائص الفنون، فإنَّ المصورَ إذا رسم لك صورةً للأملِ أو لليأسِ، بهرَكَ وجعلكَ ترى ما كنتَ تعجزُ عن التعبير عنه واضحا ملموسا.

٣- الإشارة إلى المعنى بلطف، وبراعة، بحيث تبلغ الغرض من الكلام دون أن تواجه المخاطب بما يكره، ومن لطيف ذلك ما روي عن أعرابية وقفت على باب قيس بن سعد فقالت: «أشكو إليك قلة الفأر في بيتي»، فقولها هذا فيه كناية عن فقرها المدقع، حيث أشارت إلى غرضها بلطف وبراعة حتى نال قولها هذا إعجاب قيس، فقال: ما أحسن ماورت عن حاجتها: املأوا لها بيتها خبزا، وسمنا، ولحما.

٤- إثبات المعنى بالدليل؛ فمن خصائص الكناية أنها في صور كثيرةٍ تعطيك الحقيقةَ، مصحوبةً بدليلها، والقضيةَ وفي طيِّها برْهانها، كقول البحتري في المديح:

يَغُضُّونَ فَضْلَ اللَّحْظِ مِنْ حَيْثُ مَابَدَا ※ لَهُمْ عَنْ مَهِيبٍ فِي الصُّدُورِ، مُحَبَّبِ

فإنه كنَّى عن إكبار الناس للممدوحِ، وهيبتِهم إياه، بغضِّ الأبصارِ الذي هو في الحقيقة برهانٌ واضح، ودليل جلي على الهيبة والإجلالِ، وتظهرُ هذه الخصيصةُ جليةً في الكناياتِ عن الصفةِ والنسبةِ.

❊❊❊

ملخص الدرس

الكناية : لفظ أطلق، وأريد به لازم معناه، مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي.

أركان الكناية أربعة:

١ـ المكني به: وهو المعنى الحقيقي المذكور في العبارة.

٢ـ المكني عنه: وهو المعنى المستتر المستشف من المعنى الحقيقي.

٣ـ العـلاقة التي تكون بين المكني به والمكني عنه ، وهي اللزوم.

٤ـ القرينة : وهي غير مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

الفرق بين المجاز، والكناية:أن قرينة المجاز تمنع من إرادة المعنى الحقيقي، أما الكناية، فيجوز أن يراد فيها المعنى الحقيقي مع المعنى الكنائي.

أقسام الكناية باعتبار المكني عنه :

١ـ الكناية عن صفة: وهي أن يصرح بالموصوف، وبالنسبة إليه، ولا يصرح بالصفة المرادة.

٢ـ الكناية عن موصوف: وهي ذكر الصفة، وحذف الموصوف.

٣ـ الكناية عن النسبة: وهي أن يصرِّح بالموصوف والصفة، ولايصرّح بالنسبة بينهما.

خصائص الكناية وبلاغتها:

١ـ الابتعاد عن اللفظ المفحش، أو المستقذر إلى ما يدل على معناه.

٢ـ إبراز المعقول في صورة المحسوس.

٣ـ الإشارة إلى المعنى بلطف، وبراعة.

٤ـ إثبات المعنى بالدليل، والبرهان .

❊ ❊ ❊

إثراءات

لاحظ أن: القرينة في أمثلة الكناية بجميع أنواعها لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي الذي يفهم من صريح اللفظ، ما عدا بعض الأساليب التي لا يجوز فيها ذلك، وهذا عائد لطبيعة الأسلوب لا لقرينة الكناية.

لاحظ أن: الصفة أو الصفتين أو الصفات المذكورة في الكناية عن الموصوف لا بد أن يكون لها اختصاص ظاهر بهذا الموصوف، حتى يتم الانتقال إليه بيسر وسهولة.

انتبه إلى أن: الكناية عن موصوف إما تكون قريبة سهلة التناول والإدراك، أو بعيدة لاحتياجها إلى تأمل وتفكر.

مفاهيم:

١ـ **الكناية:** لفظ أطلق، وأريد به لازم معناه، مع قرينة غير مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

٢ـ **الكناية عن صفة:** وهي أن يصرح بالموصوف، وبالنسبة إليه، ولايصرح بالصفة المرادة.

٣ـ **الكناية عن موصوف:** وهي ذكر الصفة، وحذف الموصوف.

٤ـ **الكناية عن النسبة:** وهي أن يصرح بالموصوف والصفة، ولايصرّح بالنسبة بينهما.

❊ ❊ ❊

التدريبات

التدريب الأول: أشر بعلامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة(×) أمام العبارة الخطأ، مع التعليل فيما يأتي:

١- القرينة في الكناية لاتمنع من إرادة المعنى الحقيقي. (   )

٢- تنقسم الكناية باعتبار المكنى عنه ثلاثة أقسام. (   )

٣- الكناية يتعارض فيها المعنى الحقيقي، مع المعنى الكنائي. (   )

٤- من خصائص الكناية إثبات المعنى بالدليل، وإيراد المعنى بلطف ورقة. (   )

٥- الكناية عن موصوف تكون بذكر الموصوف. (   )

٦- الكناية عن صفة تكون قريبة وتكون بعيدة ذات وسائط. (   )

٧- الكناية عن نسبة من أنواع الكنايات الرائعة عند البلاغيين. (   )

٨- الكناية أبلغ من التصريح على طول الخط. (   )

٩- المكني عنه هو الذي يتلفظ به في العبارة (   )

١٠- للكناية أسرار وخصائص بلاغية يدركها الفطن الحصيف. (   )

إجابة التدريب الأول

١- (√).   ٢- (√).   ٣- (×).   ٤- (√).   ٥- (×).

٦- (√).   ٧- (√).   ٨- (×).   ٩- (×).   ١٠- (√).

التدريب الثاني: حدد نوع الكناية، فيما يأتي:

١ـ قال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ﴾ [الزخرف:١٨].

٢ـ قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا﴾ [الفرقان:٢٧].

٣ـ قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [المائدة:٦].

٤ـ قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء:٢٩].

٥ـ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:١٤٩].

٦ـ قال البحتري:

أَوَ مَا رَأَيْتَ الْـمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ ❁ فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

٧ـ قال زياد الأعجم يمدح عبد الله بن الحشرج:

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالْـمُرُوءَةَ وَالنَّدَى ❁ فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الْـحَشْرَجِ

٨ـ قال الشاعر:

وَمَا يَكُ فِيَّ مِنْ عَيْبٍ فَإِنِّي ❁ جَبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ

٩ـ وقولنا: «المجدُ بَيْنَ ثَوْبَيْهِ، وَالْكَرَمُ بَيْنَ بُرْدَيْهِ» .

١٠ـ وقولنا: «جاء قابض يده».

إجابة التدريب الثاني

١ـ كناية عن موصوف (الأنثى).

٢ـ كناية عن صفة وهي (الندم).

٣ـ كنايتان الأولى عن صفة وهى قضاء الحاجة فى قوله: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾ [المائدة:٦] والثانية كناية عن صفة، وهي الجماع في قوله: ﴿لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾.

٤ـ كنايتان الأولى: عن صفة (البخل)، والثانية : عن صفة (التبذير والإسراف).

٥ـ كناية عن صفة (الندم).

٦ـ كناية عن نسبة في قوله : (أوما رأيت المجد) .

٧ـ كناية عن نسبة : في قوله: (في قبة ضربت ...).

٨ـ كناية عن صفة الكرم والجود في قوله: (جبان الكلب، مهزول الفصيل).

٩ـ كناية عن نسبة في قوله : (المجد بين ثوبيه، والكرم بين برديه).

١٠ـ كناية عن موصوف (الرجل البخيل).

التدريب الثالث: اذكر المعنى المكني عنه، ونوع الكناية في كل مما يأتي:

١ـ قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء:٢٩].

٢ـ قال تعالى : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا ﴾[الكهف :٤٢].

٣ـ الصدق يحل في بيت المؤمن.

٤ـ قال رسول الله ﷺ: «من يضمن لي ما بين لحييه، أضمن له الجنة» .

٥ـ إنها امرأة نؤوم الضحى.

٦ـ قال المتنبي في وقيعة سيف الدولة ببني كلاب:

فَمَسَّاهُمْ وَبُسْطُهُمُ حَرِيرٌ ** وَصَبَّحَهُمْ وَبُسْطُهُمْ تُرَابُ
وَمَنْ في كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ ** كَمَنْ في كَفِّهِ منهُمْ خِضَابُ

٧ـ وقال المتنبي في مدح كافور:

إِنَّ في ثَوْبِكَ الَّذِي الْمَجْدُ فِيهِ ** لَضِيَاءً يُزْرِي بِكُلِّ ضِيَاءِ

٨ ـ وقولنا: «فلان ألقى سلاحه».

٩ـ وقولنا: « فلان نقي الثوب».

١٠ـ وقولُ العربِ: « فلانةٌ بعيدةُ مهوَى القُرط».

إجابة التدريب الثالث:

١ـ المعنى المكني عنه: (البخل) والكناية: كناية عن صفة.

٢ـ المعنى المكني عنه: (الندم) والكناية: كناية عن صفة.

٣ـ المعنى المكني عنه: (نسبة اتصاف المؤمن بالصدق) والكناية : كناية عن نسبة.

٤ـ المعنى المكني عنه: حفظ اللسان، والكناية كناية عن موصوف (اللسان).

٥ـ المعنى المكني عنه: الترف، والكناية كناية عن صفة.

٦ـ المعنى المكني عنه: في البيت الأول في قوله: «فَمَسَّاهُمْ وَبُسْطُهُمُ حَرير» العزة والسيادة والنعيم، والمعنى المكني عنه في قوله: «وَصَبَّحَهُمْ وَبُسْطُهُمُ تُرَابُ» الذلة والهوان، وهو كناية عن صفة.

المعنى المكني عنه في البيت الثاني في قوله: «وَمَنْ في كَفّه مِنْهُمْ قَنَاةٌ» الرجال وهو كناية عن موصوف، والمعنى المكني عنه في قوله: «كمَنْ في كَفِّه منهُمْ خِضابُ» النساء، وهو كناية عن موصوف.

٧ـ المعنى المكني عنه: (نسبة المجد لكافور) والكناية: كناية عن نسبة.

٨ـ المعنى المكني عنه: الاستسلام، والكناية كناية عن صفة.

٩ـ المعنى المكني عنه: النزاهة والطهارة، والكناية كناية عن صفة.

١٠ـ المعنى المكني عنه: طول العنق، والكناية كناية عن صفة.

تطبيقات عامة على المجاز والكناية

التدريب الأول: بين المعنى الحقيقي، والمعنى المجازي، والعلاقة والقرينة فيما تحته خط مما يأتي:

١ـ قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٥].

٢ـ قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران:١٦٧].

٣ـ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل:١، ٢].

٤ـ قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة:٦١].

٥ـ قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه:٧٤].

التدريب الثاني: بين الاستعارات، ونوعها فيما يأتي:

١ـ قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٢].

٢ـ قال الحجاج بن يوسف: «إن الحزم والعزم سلباني سوطي، وأبدلاني به سيفي، فقائمه في يدي، ونجاده في عنقي، وذبابه في قلادي».

٣ـ وقالت العرب: «عند الصباح يَحْمَدُ القوم السُّرى».

٤ـ قال القاضي الفاضل: وَإِذَا الْعِنَايَـةُ لاحَظَتْـكَ عُيُونُهَـا ❊ نَـمْ فَالْـمَخَاوِفُ كُلُّهُـنَّ أَمَـانُ

التدريب الثالث: عين المعنى الكنائي، ونوع الكناية فيما يأتي:

١ـ قال الشنفرى يصف امرأة بالعفة:

يَبِيـتُ بِمَنْجَـاةٍ مِـنَ اللـؤْمِ بَيْتُهَـا ❊ إِذَا مَـا بُيُـوتٌ بالْـمَلامَةِ حَلَّـتِ

٢ـ قال النبي ﷺ: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر».

٣ـ قال الأشتر يوم الجمل لعبد الله بن الزبير: والله لولا قرابتك من رسول الله ما اجتمع فيك عضو إلى آخر.

٤ـ قال أبو نواس: وَلَمَّـا شَرِبْنَاهَـا وَدَبَّ دَبِيبُهَـا ❊ إِلَى مَوْطِنِ الأَسْرَارِ قُلْتُ لَهَا قِفِي

٥ـ قال المتنبي في الحمى: أَبِنْـتَ الدَّهْـرِ عِنْـدِي كُلُّ بِنْـتٍ ❊ فَكَيْفَ وَصَلْتِ أَنْتِ مِنَ الزِّحَامِ؟

❊ ❊ ❊

الوحدة الثالثة

(علم البديع - تعريفه - أقسامه - أنواع المحسنات المعنوية)

أهداف الوحدة الثالثة:

بعد الانتهاء من هذه الوحدة ينبغي أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يعرف علم البديع، ويذكر أقسامه، مع التفريق بين نظرة البلاغيين المتقدمين للبديع، ونظرة البلاغيين المتأخرين للبديع.

٢ـ يعرف كلاًّ من الطباق، والمقابلة، ويعدد صورهما مع التمثيل.

٣ـ يعرف مراعاة النظير، ويذكر صوره.

٤ـ يستخرج من أمثلة مقدمة له الطباق، والمشاكلة، والتورية.

٥ـ يحدد متى تجتمع المشاكلة مع الطباق، ومتى تجتمع مع الجناس.

٦ـ يذكر صور حسن التعليل.

٧ـ يأتي بأمثلة لتأكيد المدح بما يشبه الذم والعكس.

* * *

(مفهوم البديع، أقسامه، منزلته، نشأته)

أهداف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يُعرِّف علم البديع.

٢ـ يذكر أقسام علم البديع.

٣ـ يوازن بين المحسنات اللفظية، والمحسنات البديعية.

٤ـ يفرق بين نظرة القدماء، ونظرة المتأخرين لعلم البديع .

٥ـ يأتي بأمثلة لأنواع المحسنات اللفظية.

٦ـ يأتي بأمثلة لأنواع المحسنات المعنوية.

وصف الدرس: يتناول هذا الدرس تعريف البديع، وأقسامه، والمراد بالمحسنات المعنوية، وعلاماتها، وأنواعها، والمراد بالمحسنات اللفظية، وعلامتها، وأنواعها، ومنزلة علم البديع من علوم البلاغة، ونشأته.

شرح الدرس

تمهيد:

عرفت فيما سبق أن علم البيان هو وسيلة إلى تأدية المعنى الواحد بأساليب متنوعة ما بين تشبيه، ومجاز، وكناية، كما عرفت ـ أيضا ـ أن علم المعاني يُعين المتكلم على تأدية كلامه بصورة تتطابق مع مقتضى الحال، وهناك فن آخر من فنون البلاغة لا يدرس شيئا من مباحث علم البيان، ولا ينظر في شيء من مسائل علم المعاني، ولكن دراسته تختص بتزيين الألفاظ، أو المعاني بألوان بديعية من الجمال اللفظي أو المعنوي، ويسمى العلم الجامع لهذه المباحث بعلم البديع.

تعريف البديع:

البديع لغة: المخترع المُوجَدُ على غير مثال سابق، وهو مأخوذ من قولهم: بَدع الشيء وأبدعه اخترعه على غير مثال، وعليه قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة:١١٧]، أَيْ: مُبْتَدِعُها ومُبْتَدِئُهَا عَلَى غير مِثَالٍ سَبَقَ، وهو ـ أيضا ـ بمعنى: الجديد المبتكر؛ يُقَالُ: جِئْتَ بِأَمْرٍ بَدِيعٍ، أَيْ، مُحْدَثٍ عَجِيبٍ، لَمْ يُعْرَفْ قَبْلَ ذلِكَ.

البديع اصطلاحا: هو علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقته لمقتضى الحال، ووضوح دلالته على المراد.

شرح التعريف:

المراد بالوجوه: الأساليب التي تُزين الكلام وتنمقه، وتزيده حسنا وبهاء، وهي فنون البديع المختلفة التي سندرسها لكَ لاحقا.

ومعنى يعرف به وجوه تحسين الكلام: أي: يُعرف عن طريق دراسة فنون علم البديع الأمور التي بها يُحَسَّنُ الكلام لفظا ومعنى.

ومعنى «بعد مطابقته لمقتضى الحال، ووضوح دلالته على المراد» أي: أن الكلام المحسن لفظا ومعنى يجب أن يكون مطابقا لمقتضى الحال، واضح الدلالة على المعنى المراد،وإلا كانت تلك الوجوه التحسينية التزيينية كتعليق الدر في أعناق الخنازير.

استدراك:

يفهم من تعريف علماء البلاغة المتأخرين لعلم البديع السابق أمران:

الأول: أن علم البديع علم تابع لعلمي المعاني والبيان، يأتي بعدهما ولا يسير معهما على خط واحد، فهو أقل منهما درجة، يفهم هذا من قولهم السابق: «بعد رعاية المطابقة.. إلخ».

الثاني: أن علم البديع حلية لفظية، وزينة شكلية يمكن الاستغناء عنها، يفهم هذا من قولهم: «يُعرف به وجوه تحسين الكلام».

وسنوضح لك هذا الأمر بصورة أكثر تفصيلًا في الصفحات الآتية.

أقسام علم البديع

ذكر البلاغيون أن علم البديع ينقسم قسمين:

الأول: المحسنات المعنوية.

الثاني: المحسنات اللفظية

أولا: المحسنات المعنوية .

المراد بالمحسنات المعنوية: الأساليب التي تكسب المعنى لونا من الجمال يزيده روعة وتأثيرا في النفس، ونستطيع أن نتبين هذا في قول الشاعر:

بـالله يـا ظَبَيَـاتِ الْقَـاعِ قُلْـنَ لَنَـا ❊❊ لَيْلايَ مِنْكُنَّ أَمْ لَيْلَى مِنَ الْبَشَرِ؟!

فالشاعر يعلم يقينا أن ليلى من البشر، لكنه يتجاهل ذلك؛ لغرض يهدف إليه، هو إظهار شغفه بصاحبته، مما جعله يزعم أنها ليست من البشر، مبيحا لنفسه بذلك أن يتردد في أمرها أهي من البشر، أم من تلك الظباء التي يضرب بجمالها المثل، وهذا يعرف في علم البديع بتجاهل العارف، وهذا اللون البديعي وجهته هي تحسين المعنى.

علامة المحسن المعنوي:

إذا أراد أبناؤنا الطلاب والطالبات معرفة المحسن المعنوي من اللفظي، فهناك علامة ترشدهم للتفريق بينهما، فعلامة المحسن المعنوي: أنه يظل باقيا على حاله من الروعة والتأثير مع تغيير اللفظ، فلو استبدل الشاعر اسم محبوبته ليلى في البيت السابق باسم آخر لظل المعنى على حاله؛ ولهذا فإن المحسن المعنوي يكون غرض المتكلم فيه منصبا على تحسين المعنى وتزيينه أولا، فهو هدفه الذي يرنو إليه في الأساس؛ ولذا سمي بالمحسن المعنوي.

أنواع المحسنات المعنوية:

للمحسنات المعنوية ألوان كثيرة حصرها الخطيب القزويني في كتابه الإيضاح، وعددها اثنان وثلاثون محسنا، ونقتصر هُنا على شرح بعضٍ منها وهي:

١ـ المطابقة.

٢ـ المقابلة.

٣ـ مراعاة النظير. ٤ـ المشاكلة.

٥ـ التورية. ٦ـ المبالغة.

٧ـ حسن التعليل. ٨ـ تأكيد المدح بما يشبه الذم، وعكسه.

ثانيا: المحسنات اللفظية:

المراد بالمحسنات اللفظية: الأساليب التي تكسب اللفظ حسنا يزيده رقة وعذوبة، ويعلي من قدره، ويفخم من شأنه، ونستطيع أن نستكشف ذلك من قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم:٥٥]، ففي الآية لون من ألوان المحسنات اللفظية وهو (الجناس التام)، ولو قلت في غير القرآن الكريم «ويوم تقوم القيامة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة» لفاتت البلاغة، وتلاشت الدقة، وذهب الحسن والرونق، وجرب ذلك على لسانكَ تجد مصداق ما قلتُ لكَ .

علامة المحسن اللفظي:

علامته: أنه لا يظل باقيا على حاله من الروعة والدقة، والقوة والرقة مع تغيير اللفظ، فلو وضعنا القيامة بدل الساعة في الآية السابقة لتغير المعنى وفسد المراد؛ ولهذا فإن المحسن اللفظي يكون غرض المتكلم فيه منصبا على تحسين اللفظ وتزيينه أولا، فهو هدفه الذي يرنو إليه في الأساس؛ ولذا سمي بالمحسن اللفظي لذلك.

هذا، وأصل الحسن في المحسنات اللفظية ـ كما يقول الإمام عبد القاهر ـ أن تكون الألفاظ تابعة للمعاني، فإن المعاني إذا أرسلت على سجيتها، وتركت وما تريد، طلبت لأنفسها الألفاظ، ولم تكتس إلا بما يليق بها، فإن كان الأمر على خلاف ذلك، كان كما قال أبو الطيب المتنبي:

إِذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شِيَاتِهَا ❊ وَأَعْضَائِهَا فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُغَيَّبُ

أنواع المحسنات اللفظية:

حصر الخطيب القزويني المحسنات اللفظية في سبعة ألوان هي: ١ـ الجناس، ٢ـ السجع، ٣ـ رد العجز على الصدر، ٤ـ الموازنة والمماثلة ٥ـ القلب، ٦ـ التشريع، ٧ـ لزوم ما لا يلزم، وسنقتصر هنا على شرح الجناس والسجع.

منزلة علم البديع من البلاغة:

من خلال تعريف علم البديع، وأقسامه، وأنواع كل قسم ـ فيما مضى ـ اتضح لأبنائنا الطلاب والطالبات أن بعض البلاغيين المتأخرين يرون هذا العلم حلية لفظية، وطلاء خارجيا يؤتى بفنونه؛ لتكسب الكلام حسنا وبهاء، وتزيده رونقا وجمالا، ومعنى هذا: أن علم البديع ليس علما ذاتيا يقصد لذاته، بل هو علم عرضي يمكن الاستغناء عنه في الكلام، كما يستغنى عن الحلية والزينة.

وهذا رأي ليس بسديد؛ حيث ذهب بعض علماء البلاغة المتقدمين مثل الإمام عبد القاهر، وتابعه كثير من المُحْدَثِين إلى أن هذا العلم علمٌ أساسي، وليس حلية لفظية أو زينة شكلية، فلو تطلب المقام طباقا، أو مراعاة نظير، أو جناسا، أو سجعا ... إلخ، ولم يأت المتكلم بهذه الألوان البديعية في كلامه لخرج عن نطاق البلاغة.

وهذا ما نراه ـ أيضا ـ ؛ لأن علم البديع فن من فنون البلاغة، والبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل:٢٢] فبين «سبأ ونبأ» جناس غير تام كما ستعرف لاحقا، ولو قلت في غير القرآن: «وجئتك من سبأ بخبر يقين» لما استقام المعنى؛ لأن لفظ الخبر هنا لا يغني عن النبأ ؛ لأن الخبر يستعمل في الأمور الدارجة العادية التي لا يؤبه بها، ولا يحتفل بأمرها، عكس النبأ، فهو يستعمل في الأمور العظيمة الجليلة اللافتة للنظر، وهل هناك أعظم من الأنباء التي نقلها الهدهد لسليمان عليه السلام عن بلقيس وقومها؟!.

نشأة علم البديع:

علم البديع ـ كما علمت مما سبق ـ ينحصر في أنواع المحسنات المعنوية واللفظية، ولكن هذا المصطلح لم يطلق على هذه الأنواع إلا عند البلاغيين المتأخرين، وكان قبل ذلك يطلق على أي فن من فنون البلاغة الثلاثة.

فالبديع إذن له معنيان:

١- معنى ضيق محصور في الألوان البديعية المذكورة سابقا.

٢- معنى واسع يتسع لأي فن من فنون البلاغة الثلاثة.

وأول من عرض للحديث عن البديع بمعناه العام الواسع هو عبد الله بن المعتز (ت٢٩٦هـ) في كتابه (البديع)، فمن يتأمل كتاب البديع لابن المعتز يجد أنه عرض فيه خمسة فنون عدها صراحة من البديع هي: (الاستعارة، والتجنيس، والطباق، ورد الأعجاز على الصدور، والمذهب الكلامي)، والأربعة الأخيرة هي من علم البديع عند المتأخرين، أما الاستعارة، فهي من علم البيان، ولم يكتف بذلك، بل تحدث عن ثلاثة عشر فنا في هذا الكتاب، بعضها من علم المعاني، وبعضها من البيان، وبعضها من البديع، حيث درس هذه الفنون المختلفة على أنها من علم البديع، وعلى ذلك فعلم البديع في أول نشأته عند ابن المعتز كان يقصد به فنون البلاغة الثلاثة دون تمييز.

واقتفى أثر ابن المعتز قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) في كتابه (نقد الشعر)، وأبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) في كتابه (الصناعتين) حيث أطلق هذان العالمان على كثير من مسائل علمي المعاني والبيان ـ التي سبق لك دراستها ـ وكثير من مسائل علم البديع ـ التي ستدرسها لاحقا ـ علم البديع .

وسار على هذا المنوال ـ أيضا ـ الباقلاني (ت٤٠٣هـ) في كتابه (إعجاز القرآن) حيث أطلق مصطلح البديع على كثير من مسائل علم المعاني والبيان والبديع عند البلاغيين المتأخرين.

وسار على هذا المنوال ـ أيضا ـ الإمام عبد القاهر في كتابيه (دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة) حيث أطلق لفظة البديع على سائر فنون البلاغة دون استثناء.

كل هؤلاء العلماء أطلقوا مصطلح البديع على كثير من مسائل المعاني والبيان والبديع عند المتأخرين، واستمر الحال على هذا المنوال إلى أن جاء الإمام بدر الدين بن مالك (ت٦٨٦هـ) في كتابه (المصباح)، وجعل علوم البلاغة ثلاثة علوم هي: ١- علم المعاني ٢- البيان ٣- البديع، وخص كل علم بفنون ومسائل تميزه من غيره.

ثم جاء الخطيب القزويني(ت٧٣٩هـ) وأعطى الصبغة النهائية لهذه العلوم الثلاثة في كتابيه (التلخيص، والإيضاح)، واستوت عنده قواعد هذه العلوم الثلاثة ومسائله المختلفة، ولم يزد أحد بعده شيئا على هذه القواعد والمسائل التي استقرت عنده لهذه العلوم الثلاثة.

وقد قسم القزويني المحسنات البديعية قسمين: محسنات معنوية، ومحسنات لفظية على النحو الذي سندرسه لاحقا لأبنائنا وبناتنا هنا إن شاء الله تعالى.

* * *

ملخص الدرس

علم البديع:

هو علم يعرف به الوجوه التي تزيد الكلام حسنا، وطلاوة، وتكسوه بهاء ورونقا، بعد مطابقته لمقتضى الحال، ووضوح دلالته على المراد.

وهو قسمان:

١ـ المحسنات المعنوية: وهي التي يتجه التحسين فيها إلى المعنى أولا.

وهذه المحسنات كثيرة، حصرها القزويني في اثنين وثلاثين محسنا.

٢ـ المحسنات اللفظية: وهي التي يتجه التحسين فيها إلى اللفظ أولا.

وهذه المحسنات قليلة حصرها الخطيب القزويني في سبعة محسنات.

وعلم البديع له منزلة عالية عند بعض القدماء، وكثير من المحدثين، فهو علم ذاتي شأنه شأن علمي المعاني والبيان، وليس حلية لفظية، أو معنوية، وهذا هو الرأي السديد.

ولفظ البديع له معنيان: معنى واسع يطلق على علوم البلاغة الثلاثة ، ومعنى ضيق يختص بفنون البديع عند المتأخرين، وأول من كتب في علم البديع بمعناه الواسع كتابا مستقلا هو عبد الله بن المعتز، ثم تبعه قدامة، وأبو هلال العسكري، والباقلاني، وعبد القاهرة الجرجانى حيث أطلق هؤلاء على كثير من فنون البلاغة الثلاثة لفظ البديع، وظل الحال على هذا المنوال حتى أطلق بدر الدين بن مالك في كتابه المصباح علم البديع على الفنون المعروفة عند المتأخرين.

ثم أخذ كل علم من هذه العلوم الثلاثة في شكله الحالي الصبغة النهائية على يد الخطيب القزويني في كتابيه التلخيص والإيضاح.

❊ ❊ ❊

إثراءات

لاحظ أن: الخطيب القزويني، وشراح التلخيص يجعلون علم البديع تابعا ولاحقا لعلمي المعاني والبيان.

لاحظ أن: الخطيب القزويني، وشراح التلخيص يجعلون علم البديع حلية لفظية، وزينة شكلية يمكن الاستغناء عنها، وليس علما ذاتيا يقصد لذاته.

انتبه إلى أن: الإمام عبد القاهر، وكثير من المحدثين أنزلوا علم البديع منزلة رفيعة، وجعلوه يسير مع المعاني والبيان على خط واحد إذا اقتضاه المقام، واستدعاه سياق الكلام.

انتبه إلى أن: وجهة عبد القاهر، ومن تابعه هي الوجهة السديدة؛ لأن البديع ورد في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وفصيح الكلام شعرا ونثرا مطابقا لمقتضى الحال تفوت البلاغة بفواته، وتتلاشى بعدم وجوده.

مفاهيم:

علم البديع ذاتي أساسي، وليس علما عرضيا شكليا.

* * *

التدريبات

التدريب الأول: أشر بعلامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة(×) أمام العبارة الخطأ، فيما يأتي:

١- البديع نشأ مستقلا في كتاب البديع لابن المعتز. (   )

٢- الجناس من المحسنات المعنوية. (   )

٣- الطباق من المحسنات اللفظية. (   )

٤- تجاهل العارف من المحسنات اللفظية. (   )

٥- المقابلة والطباق من فنون علم البيان. (   )

٦- علم البديع استقر على صورته النهائية على يد الخطيب القزويني. (   )

٧- بدر الدين بن مالك في كتابه المصباح جعل علم البديع العلم الثالث من علوم البلاغة. (   )

٨- علم البديع بمعناه العام يشمل علوم البلاغة كلها. (   )

٩- علم البديع علم زينة وطلاء خارجي يمكن الاستغناء عنه عند كثير من المحدثين. (   )

١٠ علم البديع علم أساسي وليس علما عرضيا. (   )

إجابة التدريب الأول

١- (×). ٢- (×). ٣- (×). ٤- (×). ٥- (×).

٦- (√). ٧- (√). ٨- (√). ٩- (×). ١٠- (√).

التدريب الثاني: عرف المحسن اللفظي، واذكر علامته، وأنواعه المختلفة.

إجابة التدريب الثاني

المحسن اللفظي: هو الأساليب التي تكسب اللفظ حسنا يزيده رقة وعذوبة.

وعلامته: أنه لا يظل باقيا على حاله من الروعة والقوة مع تغيير اللفظ، فلو وضعنا القيامة في قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم:٥٥]، مكان

الساعة، وقلت في غير القرآن الكريم: ويوم تقوم القيامة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة، لذهب الرونق، وفاتت البلاغة وتلاشى الحسن والدقة ، وجرب ذلك على لسانكَ تجد مصداق ما قلتُ لكَ.

أنواع المحسنات اللفظية. حصر الخطيب القزويني المحسنات اللفظية في سبعة ألوان هي:

١ - الجناس، ٢- السجع، ٣- رد العجز على الصدر، ٤- الموازنة والمماثلة

٥- القلب، ٦- التشريع، ٧- لزوم ما لا يلزم.

التدريب الثالث:

تحدث عن رأي القزويني، والإمام عبد القاهر في منزلة البديع من البلاغة.

❊ ❊ ❊

المحسنات المعنوية

الدرس الأول

الطباق ـ أنواعه

أهداف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يعرف الطباق مع التمثيل.

٢ـ يعدد صور الطباق.

٣ـ يوازن بين طباق السلب، وطباق الإيجاب.

٤ـ يأتى بأمثلة تفرق بين الطباق الظاهر، والطباق الخفى.

٥ـ يأتى بأمثلة تفرق بين الطباق الحقيقى ، والطباق المجازى.

٦ـ يأتي بمثال لطباق التدبيج.

وصف الدرس: يتناول هذا الدرس تعريف الطباق، وصوره المختلفة، وأقسامه باعتباراته المتعددة.

شرح الدرس

الطباق لغة: مأخوذ من طابقت بين الشيئين طباقا، أي: جمعت بينهما على حذو واحد.

ويقولون: طابق فلان بين ثوبين، أي: جمعهما معا، ويقال: طابق البعير في سيره، إذا وضع رجله موضع يده، وكل هذا مردود إلى الجمع بين الشيئين، وفي القرآن الكريم: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك:٣]، أي: بعضهن فوق بعض:

والطباق في اصطلاح البلاغيين: هو الجمع بين معنيين متقابلين.

صور التقابل:

التقابل في اللغة العربية له صور عديدة يأتي عليها:

١ـ تقابل التضاد: من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان:٣] وقوله تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان:٧٠]، وقوله: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ [النجم:٤٣]، في هذه الشواهد وردت كلمات متقابلة، الضر مقابل النفع، والسيئات مقابل الحسنات، والضحك مقابل البكاء، وكلها أمور متضادة.

٢ـ تقابل إيجاب وسلب: من ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر:٩]، فالتقابل هنا بالسلب، فأحد الفعلين مثبت، والآخر منفي.

٣ـ تقابل عدم وملكة: من ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴾ [الرعد:١٦]، فهذا التقابل هنا تقابل بين وجود مَلَكَةِ البصر في البصير، وعدم وجودها في الأعمى.

٤ـ تقابل اعتباري: من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم:٤٤]، فالإحياء والإماتة يتقابلان باعتبارهما يتعلقان بجرم واحد، أي: بنفس واحدة.

أقسام الطباق:

من يتأمل في شواهد الطباق في اللسان العربي، يجد له أقساما عديدة باعتبارات مختلفة،من حيث الإيجاب والسلب، ومن حيث الحقيقة والمجاز، ومن حيث الظهور والخفاء.

أولاً: أقسام الطباق من حيث الإيجاب والسلب:

ينقسم الطباق بهذا الاعتبار قسمين: ١ـ طباق الإيجاب. ٢ـ طباق السلب.

أولاً: طباق الإيجاب

تعريفه: هو الذي يقع بين لفظين متضادين مثبتين معًا، أو منفيين معًا، أي: أن يكون اللفظان المتقابلان معناهما موجب، سواء كان اللفظان مثبتين معًا، أم منفيين معًا؛ لأن نفي النفي إثبات.

أـ مثال ما كان اللفظان فيه مثبتين معا قوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [الكهف:١٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴾ [فاطر:١٩ـ٢١].

ومن ذلك ـ أيضا ـ قول عديّ بن الرّعلاء:

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ ** إِنَّمَا الْمَيتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ

ومثله قول أبي الشغب العبسي:

حُلْوُ الشَّمَائِلِ، وَهْوَ مُرٌّ بَاسِلٌ ** يَحْمِي الذِّمَارَ صَبِيحَةَ الإِرْهَاقِ

ومن ذلك قول زهير:

حُلَمَاءُ فِي النَّادِي إِذَا مَا جِئْتَهُمْ ** جُهَلاءُ يَوْمَ عَجَاجَةٍ وَلِقَاءِ

فالطباق فيما تحته خط في هذه الأشعار السابقة واقع بين معنيي لفظين متضادين مثبتين، كما هو واضح لأبنائنا.

ومن ذلك ـ أيضا ـ قول الحسن بن علي رضي الله عنه، وقد أُنْكِرَ عليه الإفراط في تخويف الناس: «إنَّ مَنْ خَوَّفَكَ حَتَّى تَبْلُغَ الأمنَ خيرٌ ممن آمَنَكَ حَتَّى تَبْلُغَ الْخَوفَ».

وقال الحسن: «كَثْرةُ النَّظرِ إلى الباطل تُذْهِبُ بِمَعْرِفة الحق مِنَ القَلْبِ».

وشتم رجل الشعبي فقال له: «إنْ كُنْتَ كاذبًا فغفَرَ اللهُ لكَ وإنْ كنتَ صَادقًا فغفرَ اللهُ لي».

وقال آخر: «إنَّا لا نكافئ مَنْ عصَى اللهَ فينا بأكثر مِنْ أَنْ نُطيعَ الله فيه».

فالطباق فيما تحته خط واقع بين معنيين متضادين مثبتين.

ب ـ مثال ما كان اللفظان فيه منفيين معا، قول الفرزدق:

لَعَنَ الإِلَهُ بَنِي كُلَيْبٍ إِنَّهُمْ ** لا يَغْدِرُونَ وَلا يُوفُونَ لِجَارِ

يَسْتَيْقِظُونَ إِلَى نَهِيقِ حِمَارِهِمْ ** وَتَنَامُ أَعْيُنُهُمْ عَنِ الأَوْتَارِ

حيث طابق بين معنى الغدر وهو منفي، ومعنى الوفاء وهو منفي، ونفي النفي إثبات حسب القاعدة المشهورة.

أنواع طباق الإيجاب

يتنوع طباق الإيجاب من حيث نوع الكلمة إلى نوعين:

١ ـ طباق بين معنيي لفظين من نوع واحد، بمعنى: أن يكون اللفظان اللذان وقع بين معنييهما التقابل من نوع واحد، اسمين أو فعلين أو حرفين.

أ ـ اسمين، مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[الحديد:٣] حيث وقع التقابل بين اسمين: الأول قابل الآخر، والظاهر قابل الباطن، وهما متضادان.

ومثله قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [الملك:٢]، حيث طابق بين الموت والحياة، وهما اسمان متضادان.

وقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[الأنعام:٧٣] حيث طابق بين الغيب والشهادة، وهما اسمان متضادان.

وقوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال:٣٧] حيث طابق بين كلمتين من نوع واحد اسمين « الـخَبِيثَ والطَّيِّبِ».

ب ـ فعلين، مثل قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[آل عمران:٢٦]، حيث وقع التقابل بين فعلين: تؤتي يقابل تنزع، وتعز يقابل تذل، وهما متضادان.

ومثله قوله تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ [الأعراف:٢٥]، حيث طابق بين كلمتين من نوع واحد فعلين «تحيون وتموتون» وهما طباق إيجاب؛ لأنها مثبتان.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾[النمل:٧٤]، حيث طابق بين كلمتين من نوع واحد فعلين (تكن) بمعنى: تخفي، ويعلنون وهما طباق إيجاب؛ لأنها مثبتان.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص:٣٤] حيث طابق بين كلمتين من نوع واحد فعلين«يصدقني ويكذبون» طباق إيجاب؛ لأنها مثبتان.

ومثله ـ أيضا ـ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [العنكبوت:٦٢] حيث تضمنت الآية طباقا بين كلمتين من نوع واحد فعلين (يبسط ويقدر)، وهما طباق إيجاب؛ لأنها مثبتان.

ج ـ حرفين، من ذلك قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ [البقرة:٢٨٦]، حيث وقع التقابل بين معنى الحرفين، بين حرف الجر اللام في «لها» وحرف الجر «على»في عليها، ومعناهما متضادان.

ومثله قول مجنون ليلى :

عَلَى أَنَّنِي رَاضٍ بِأَنْ أَحْمِلَ الْهَوَى ** وَأَخْلُصَ مِنْهُ لا عَلَيَّا وَلا لِيَّا

٢ـ طباق بين معنيي لفظين من نوعين مختلفين:

أـ بين فعل واسم، مثل قوله تعالى: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٤٩].

ب ـ بين اسم وفعل، مثل قوله تعالى:﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾[الأنعام:١٢٢]

ثانيًا: طباق السلب

تعريفه: وهو أن يكون الطباق بين فعلي مصدر واحد أحدهما أمر، والآخر نهي، أو أحدهما مثبت، والآخر منفي.

أولا: أمثلة الأمر والنهي :

١ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس:٦٠، ٦١].

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧].

٣ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

فكل ما تحته خط في الآيات السابقة هو من طباق السلب عند البلاغيين؛ لأنه واقع بين فعلي مصدر واحد أحدهما أمر، والآخر نهي.

ثانيا: أمثلة النفي والإثبات :

وقد ورد هذا النوع في كلام الله ـ عز وجل ـ كثيرا ، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

١- قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل:٢٢]، حيث طابق بين الفعل المثبت «أحطت»، والفعل المنفي« لم تحط».

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

٣- قوله تعالى: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس:١٠].

٤- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر:٧٨] .

٥- قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة:٣٨ ، ٣٩].

فكل ما تحته خط في الآيات السابقة هو من طباق السلب عند البلاغيين؛ لأنه واقع بين فعلي مصدر واحد أحدهما مثبت، والآخر منفي .

وكما ورد هذا النوع من طباق السلب في الذكر الحكيم، ورد كذلك في الشعر العربي، من ذلك:

١ـ قول السموءل بن عادياء:

وَنُنْكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ ** وَلا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

٢ـ وقول الشاعر:

لا يُعْجَبَانِ بِقَوْلِ النَّاسِ عَنْ عُرُضٍ ** وَيُعْجَبَانِ بِمَا قَالا وَمَا سَمِعَا

٣ـ وقول الشاعر:

أَبْلِغْ أَخَانَا تَوَلَّى اللهُ صُحْبَتَهُ ** أَنِّي وَإِنْ كُنْتُ لا أَلْقَاهُ أَلْقَاهُ

اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ أَذْكُرُهُ ** وَكَيْفَ يَذْكُرُهُ مَنْ لَيْسَ يَنْسَاهُ

٤ـ وقول البحتري:

يُقَيِّضُ لِي مِنْ حَيْثُ لا أَعْلَمُ الْهَوَى ** وَيَسْرِي إِلَيَّ الشَّوْقُ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ

حيث وقع الطباق في الشواهد الشعرية السابقة فيما تحته خط بين فعلي مصدر واحد أحدهما منفي، والآخر مثبت.

وكما ورد هذا النوع من طباق السلب في الذكر الحكيم ، والشعر العربي ورد كذلك في النثر، من ذلك:

١ـ قول رجل ليزيد بن المهلب: « ليس العجب من أن تفعل، وإنما العجب من ألاَّ تفعل» .

٢ـ وقال بعض الأوائل: «ليس معي من فضيلة العلم إلا أني أعلم أني لا أعلم» .

حيث وقع فيما تحته خط بين فعلي مصدر واحد أحدهما مثبت، والآخر منفي.

***

ثانيـا: أقسام الطباق من حيث الحقيقة والمجاز

ينقسم الطباق بهذا الاعتبار قسمين:

١ـ الطباق الحقيقي. ٢ـ الطباق المجازي

أولًا: الطباق الحقيقي:

تعريفه: أن يكون الطباق واقعا بين لفظين مستعملين على سبيل الحقيقة.

مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ﴾ [النجم:٤٣] ، فكل من الضحك والبكاء هنا مستعمل على الحقيقة.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[العنكبوت:٣]، فكل من الصدق والكذب في الآية مستعمل في حقيقتها.

ثانيـا الطباق المجازي:

أن يكون الطباق واقعا بين لفظين مستعملين على سبيل المجاز.

مثل قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنعام:١٢٢]، والمعنى: أو من كان ضالا فهديناه، حيث استعار الميْت للضال، والحياة للمهتدي على سبيل الاستعارة كما مر بك في درس الاستعارة، فالطباق هنا واقع بين معنيي لفظين مجازيين.

ومثله قول أبي تمام في الطباق المجازي:

وَتَنَظَّرِي خَبَبَ الرِّكَابِ يَنُصُّهَا ** مُحْيِي الْقَرِيضِ إِلَى مُمِيتِ الْمَالِ

وقول الشاعر:

فَلَهُ ابْتِسَامٌ فِي لَوَامِعِ بَرْقِهِ ** وَلَهُ بُكًى مِنْ وَدْقِهِ الْمُتَسَرِّبِ

فالطباق فيما تحته خط واقع بين معنيي لفظين مجازيين مستعملين على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية أو التبعية على نحو ما سبق لك دراسته في الاستعارة.

* * *

ثالثًا: أقسام الطباق من حيث الظهور والخفاء

ينقسم الطباق بهذا الاعتبار قسمين: ١ـ الطباق الظاهر. ٢ـ الطباق الخفي.

أولًا: الطباق الظاهر:

وهو: أن يكون التضاد المفهوم من الكلام تضادا صريحا مباشرا يدرك بسرعة وسهولة مثل: التضاد بين الضحك والبكاء، والحي والميت، والخير والشر، والحسنة والسيئة.

وسمي طباقا ظاهرا؛ لوضوحه وانكشافه، وكل الأمثلة السابقة التي مرت بك تعد من الطباق الظاهر؛ لوضوح التضاد فيها، وسهولة إدراكه.

ثانيًا: الطباق الخفي:

وهو: أن يكون التضاد المفهوم من الكلام تضادا غير مباشر لا يدرك بسرعة وسهولة مثل قوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]، فالطباق هنا طباق خفي؛ لأنه واقع بين الشدة والرحمة، والرحمة ليست مضادة للشدة تضادا مباشرًا صريحا، بل هى مسببة عن اللين الذي هو ضد الشدة، ولكن لما كانت الرحمة مسببة عن اللين؛ لأن كُلَّ لين يكون رحيما بالتبعية عبر عن اللين بالرحمة هنا، وأيضا لأنه لم يسمع عن العرب «ليناء» حتى يقول: ليناء بينهم.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص:٧٣] فالطباق هنا طباق خفي؛ لأن السكون ضده الحركة، ولكن لما كانت الحركة تكون في الخير والشر والمقام مقام الخير عبر عن الحركة بلازمها وهو الابتغاء.

ومن ذلك قول الحطيئة حين اشترى منه عمرُ بن الخطاب أعراضَ المسلمين بثلاثة آلاف درهم، فقال:

وَأَخَذْتَ أَطْرَافَ الْكَلامِ فَلَمْ تَدَعْ ❊ شَتْمًا يَضُرُّ وَلا مَدِيحًا يَنْفَعُ

فالهجاء ضدّ المديح، ولكنه استعاض عن الهجاء بالشتم لقوة العلاقة بينهما ؛ لأن الشتم آلة من آلات الهجاء.

وسمي طباقًا خفيًا ؛ لأنه يخفى على ذهن العامة، ويحتاج إلى تأمل وإمعان نظر للوصول إليه.

أخيرًا: طباق التدبيج

تمهيد

ما مضى من شواهد الطباق كانت معاني الألفاظ التي جرى فيها الطباق لا يوجد فيها لفظ واحد يدل على أي لون من الألوان، ومعلوم أن الألوان تحمل معنى التضاد، فالأبيض ضد الأسود، والأحمر ضد الأخضر وهكذا، وقد أطلق علماء البلاغة على الألوان التي تأتي في الكلام على سبيل الكناية، أو التورية طباق التدبيج، واختاروا لفظ التدبيج؛ لأن التدبيج مأخوذ من دَبَّجَ المطرُ الأرض، أي: زينها بالخضرة ، وعلى ذلك خصوا طباق التدبيج بهذا دون غيره، فلو استعملت الألوان على سبيل الحقيقة، فليس فيها طباق تدبيج.

فطباق التدبيج: هو أن يذكر في معنى من المدح أو غيره ألوان على سبيل الكناية أو التورية.

سبب تسميته بطباق التدبيج:

وسمى تدبيجًا؛ لأن الألوان التي وقع فيها التضاد زينت العبارة ودبجتها، وأضفت على المعنى حسنا وبهاء.

ويشترط في هذه الألوان أن تكون مستعملة على سبيل الكناية أو التورية.

أـ مثال الألوان المتضادة على طريق الكناية قول عمرو بن كلثوم:

أَبَـا هِنْـدٍ فَـلا تَعْجَـلْ عَلَيْنَـا ** وَأَنْظِرْنَـا نُخَـبِّرْكَ الْيَقِينَـا

بأَنَّـا نُـورِدُ الرَّايَـاتِ بِيضًـا ** ونُصْدِرُهُـنَّ حُمْـرًا قَـدِ رَوِينَـا

وقول أبى تمام يرثي أبا نهشل محمد بن حميد حين استشهد:

تَرَدَّى ثِيابَ المَوْتِ حُمْرًا فَمَا أَتَى ** لَهَا اللَّيْلُ إلا وَهْيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ

ومعنى البيت: أنه ارتدى الثياب الملطخة بالدم، فلم ينقض يوم قتله، ولم يدخل في ليلته إلا وقد صارت الثياب خضرا من سندس الجنة.

ب ـ ومثال الألوان المتضادة على طريق التورية قول الحريري «فمذ ازور المحبوب الأصفرُ، واغْبَرَّ العيشُ الأخضرُ، واسْوَدَّ يَوْمِي الأبيضُ، وابْيَضَّ فَوْدِيَ الأسْوَدُ، حتى رثَى لِي العَدُوُّ الأزْرَقُ، فيا حَبَّذَا الموتُ الأحْمَرُ».

فقوله: فمذ ازور المحبوب الأصفر هو (تورية عن الدينار) والتورية كما ستأتي تحمل المعنيين المعنى القريب والمعنى البعيد، والمراد البعيد، فلفظ المحبوب الأصفر يطلق على المرأة وهو المعنى القريب، ويطلق على الذهب، وهو المعنى البعيد المراد هنا، والألوان الباقية كنايات.

* * *

ملخص الدرس

الطباق: هو الجمع بين معنيين متقابلين.

صور التقابل أربعة: تقابل تضاد، تقابل إيجاب وسلب، تقابل عدم وملكة، تقابل اعتباري.

أقسام الطباق: ينقسم الطباق باعتبار الإيجاب والسلب قسمين:

١ـ طباق الإيجاب: وهو أن يكون اللفظان المتقابلان فيه معناهما موجب، وهذا القسم يكون الطباق فيه بين لفظين من نوع واحد اسمين أو فعلين أوحرفين، أو بين لفظين من نوعين مختلفين اسم وفعل، أو فعل واسم .

٢ـ طباق السلب: وهو أن يكون اللفظان المتقابلان فيه أحدهما أمر، والآخر نهي، أو أحدهما مثبت، والآخر منفي.

وينقسم باعتبار الظهور والخفاء قسمين:

١ـ الطباق الظاهر: وهو الذي يدرك بسرعة ويسر وسهولة ؛ لأن التضاد فيه صريح مباشر لا يحتاج لتأمل، وإنعام نظر.

٢ـ الطباق الخفي: وهو الذي يدرك بعد تفكير وطول تأمل وإنعام نظر؛ لأن التضاد فيه ليس صريحا مباشرا.

وينقسم باعتبار الحقيقة والمجاز قسمين:

١ـ الطباق الحقيقي: وهو الذي تستعمل فيه الألفاظ على حقيقتها الموضوعة لها في اللغة.

٢ـ الطباق المجازي: وهو الذي لا تستعمل فيه الألفاظ على حقيقتها الموضوعة لها في اللغة، بل تستعمل على سبيل الاستعارة.

طباق التدبيج: وهو أن يذكر الشاعر أو الناثر في معنى المدح وغيره ألوانًا على سبيل الكناية أو التورية .

* * *

إثراءات

لاحظ أن: طباق الإيجاب ورد في القرآن الكريم بصورة غزيرة تفوق الحصر .

لاحظ أن: طباق السلب ورد في القرآن كذلك، ولكنه بصورة أقل بكثير من طباق الإيجاب.

انتبه إلى أن: طباق الإيجاب يكون بين معنيين مثبتين معا أو منفيين معا، ونفي النفي إثبات.

انتبه إلى أن: طباق التدبيج لا يكون إلا في الألوان التي تستعمل على طريق الكناية أو التورية.

مفاهيم : الطباق الخفي قسيم الطباق الظاهر، وكلاهما وردا في القرآن الكريم.

❊ ❊ ❊

التدريبات

التدريب الأول: أشر بعلامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخطأ، فيما يأتي:

١ – طباق التدبيج من أنواع الطباق التي تتصل بذكر الألوان على سبيل الحقيقة. ( )

٢ – الطباق الحقيقي لا يجتمع مع الطباق المجازي. ( )

٣ – الطباق هو الجمع بين معنيين غير متقابلين. ( )

٤ – طباق السلب هو الجمع بين معنيين مثبتين. ( )

٥ – من طباق الإيجاب الجمع بين معنيين متنافيين. ( )

٦ – التقابل في الطباق يكون بالتضاد . ( )

٧ – ورد الطباق في القرآن والسنة بصورة بارزة . ( )

٨ – الطباق من المحسنات المعنوية التي تبرز المعنى بجلاء. ( )

إجابة التدريب الأول:

١ – (×). ٢ – (√). ٣ – (×). ٤ – (×).

٥ – (√). ٦ – (√). ٧ – (√). ٨ – (√).

التدريب الثاني: استخرج الطباق، وبين نوعه فيما يأتي:

١ـ قال الشاعر:

وكنتُ امْرَأً أَلْقَى الزَّمَانَ مُسَالِمًا ٭٭ فآليـــتُ لا أَلْقَـــاهُ إلا مُحَارِبَـــا

٢ـ قال الشاعر في الدنيا:

إِذَا أَحْسَنَتْ يَوْمًا أَسَاءَتْ ضُحَى غَدٍ ٭٭ فَإِحْسَانُهَا سَيْفٌ عَلَى النَّاسِ جَائِرُ

٣ـ قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[الروم:٦ ، ٧].

٤ـ قال تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب من ٣٧].

إجابة التدريب الثاني: استخرج الطباق، وبين نوعه فيما يأتي:

١ـ الطباق بين (مسالما ومحاربًا) طباق إيجاب بين اسمين من نوع واحد.

٢ـ الطباق بين (أَحْسَنَتْ وأَسَاءَتْ) طباق إيجاب بين فعلين من نوع واحد.

٣ـ الطباق بين (لا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ) طباق سلب بين فعلين الأول منفي والثاني مثبت.

٤ـ الطباق بين (تُخْفِي ومُبْدِيهِ) طباق إيجاب بين فعل واسم.

التدريب الثالث: ألق الضوء على مفهوم الطباق وأنواع طباق الإيجاب مع التمثيل .

التدريب الرابع: فَرِّق بين الطباق الظاهر والخفي، والحقيقي والمجازي ممثلا لما تقول.

إجابة التدريب الرابع:

١ـ الطباق الظاهر: هو الذي يدرك بسرعة وسهولة؛ لأن التضاد فيه صريح مباشر لايحتاج لتأمل مثل التضاد بين الضحك والبكاء، والقوة والضعف، والصحة والمرض، والحق والباطل.

٢ـ الطباق الخفي: هو الذي يدرك بعد تفكير وإنعام نظر؛ لأن التضاد فيه ليس صريحًا مباشرًا، مثل قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥] فبين المسلمين، و(المجرمين) طباق خفي؛ لأن المسلم ضده الكافر، ويلزم من كفر الكافر أن يكون مجرمًا؛ لأن الكافر يجرم في حقِ نفسهِ وحق رَبِّه.

٣ـ الطباق الحقيقي: هو الذي تستعمل فيه الألفاظ على حقيقتها الموضوعة لها في اللغة، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم:٤٤] فكل من الموت والحياة مستعمل هنا على الحقيقة.

٤ـ الطباق المجازي: هو الذي لا تستعمل فيه الألفاظ على حقيقتها الموضوعة لها في اللغة، بل تستعمل على سبيل الاستعارة.

مثل قول الشاعر:

فَلَـهُ ابْتِسَـامٌ فِي لَوَامِـعِ بَرْقِـهِ ** وَلَـهُ بُكًـى مِـنْ وَدْقِـهِ الْمُتَسَرِّبِ

فالطباق بين ابتسام وبكى واقع بين معنيي لفظين مجازيين مستعملين على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

***

الدرس الثانى

المقابلة

أهداف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يعرف المقابلة مع التمثيل.

٢ـ يوازن بين صور المقابلة.

٣ـ يفرق بين الطباق والمقابلة.

٤ـ يأتى بأمثلة لصور المقابلة.

٥ـ يعدد شروط حسن الطباق والمقابلة.

وصف الدرس: سنتناول في هذا الدرس تعريف المقابلة، وصورها، وسر جمالها.

شرح الدرس

المقابلة في اصطلاح البلاغيين:

أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب.

ولا يشترط في المقابلة التضاد الصريح المباشر بين المعاني المتقابلة، بل قد يكون بينهما تضاد صريح ، وغير صريح كما ستلحظ من الشواهد الآتية.

صور المقابلة

استقصى علماء البلاغة صور المقابلة في اللسان العربي قرآنا كريما، وسنة نبوية مطهرة، وشعرا ونثرا، فوجدوها لا تزيد عن خمس صور على النحو الآتي:

أولا مقابلة اثنين باثنين: وقد ورد هذا اللون بغزارة في القرآن الكريم، من ذلك:

١ـ قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة:٨٢]، فقوله: «فليضحكوا قليلا» معنيان متوافقان، تقابلا مع معنيين متوافقين في قوله: «وليبكوا كثيرا» على الترتيب، فالضحك ضد البكاء، والقلة ضد الكثرة، والمعنيان المتقابلان متضادان تضادا صريحا.

٢ـ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان:١٧]، فهنا معنيان الأمر والمعروف، تقابلا مع معنيين النهي والمنكر على الترتيب ، والتضاد الصريح واضح بينهما.

٣ـ ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾[الانفطار:١٢ ، ١٣]، حيث قابل اثنين باثنين قابل الأبرار بالفجار ، والنعيم بالجحيم.

٤ـ ومن مقابلة اثنين باثنين في السنة النبوية قول الرسول ﷺ: «ما دخل الرفقُ في شيء إلا زانه، وما نُزِعَ من شيء إلا شانه».

حيث قابَلَ جملة ما دخل الرفق بجملة وما نزع من شيء، وقابل جملة «زانه» بجملة «شانه».

٥ـ ومنه قول الرسول ﷺ للأنصار: «إِنَّكُمْ لتكثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ وَتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَعِ».

حيث قابَلَ بين: الكَثْرَةِ والْفَزَعِ مِنْ جهة، والقلَّة والطَّمَعِ من جهة أُخْرى.

٦ـ ومن مقابلة اثنين باثنين في الشعر قول الجندل الفزاري:

فَتىً كَمُلَت أَخلاقُهُ غَيرَ أَنَّهُ *** جَوادٌ فَما يُبقي مِنَ المالِ باقِيا

فَتىً تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ *** على أنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الأَعَادِيَا

حيث قابل بين: يسر صديقه من جهة، ويسوء الأعاديا من الجهة الأخرى ، ويَسُرُّ ضد يسوء، وصَدِيقه ضد الأعاديا.

٧ـ وقول الشاعر:

فَوَاعَجَبًا كَيْفَ اتَّفَقْنا فَناصِحٌ وَفِيٌّ *** وَمَطْوِيٌّ عَلَى الْغِلِّ غَادِرُ

حيث قابل اثنين باثنين ، قابل بين «ناصح وفي» من جهة، وبين «مطوي على الغل غادر» من جهة ثانية، والنصح ضد المطوي على الغل ، والوفاء ضد الغدر.

٨ـ ومن مقابلة اثنين باثنين في النثر قول بعضهم: «كدرُ الجماعة خيرٌ من صفو الفرقة»، حيث قابل الكدر بالصفو، والجماعة بالفرقة.

ففي كل الشواهد السابقة من القرآن والسنة، وكلام العرب شعرا ونثرا مقابلة بين اثنين باثنين والتقابل فيها كان بين متضادين تضادا صريحا مباشرا في أحيان كثيرة، وغير مباشر في أحيان قليلة، كما مر بنا بوضوح.

ومن هنا يجب أن نقول إن: المقابلة لا يشترط فيها أن تكون بين متضادين تضادا صريحا.

ثانيًا: مقابلة ثلاثة بثلاثة:

١ـ من ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧]، حيث قابل ثلاثة بثلاثة، قابل يحل بيحرم، ولهم بعليهم ، والطيبات بالخبائث على الترتيب.

٢ـ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾[الشعراء:٩٠ ، ٩١]، حيث قابل ثلاثة بثلاثة، قابل «أزلفت ببرزت»، و«الجنة بالجحيم»، و«المتقين بالغاوين».

٣ـ ومن ذلك قوله تعالى:﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[النازعات:٣٧ـ ٤١].

حيث قابل ثلاثة بثلاثة على الترتيب، قابل جملة «طَغَى» بجملة «خاف مقام ربه»،وهو تضاد ليس بصريح، وقابل جملة: «آثَرَ الْـحَيَاةَ الدُّنْيَا» بجملة «نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْـهَوَى»، وهو تضاد ليس صريحا أيضا، وقابل «الجحيم بالجنة» وهو تضاد صريح مباشر.

٤ـ ومن ذلك شعرا قول أبي دلامة:

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا ** وَأَقْبَحَ الْكُفْرَ وَالإِفْلاسَ بِالرَّجُلِ

حيث قابل أحسن بأقبح، والدين بالكفر، والدنيا بالإفلاس، مقابلة ثلاثة بثلاثة على الترتيب والتضاد بين الدين والكفر، والدنيا والإفلاس ليس صريحا مباشرا.

٥ـ ومثله قول الشاعر:

فَلاَالْـجُودُيُفْنِي الْـمَـالَ وَالْـجَدُّمُقْبِلٌ ** وَلاَ الْبُخْلُ يُبْقِي الْمَالَ وَالْـجَدُّ مُدْبِرُ

حيث قابل ثلاثة بثلاثة على الترتيب، قابل: الجود بالبخل، وقابل الفعل يفني بـ«يبقي»، وقابل «مقبل»، بـ«مدبر»، والتضاد في الثلاثة صريحا مباشرا.

ثالثا: مقابلة أربعة بأربعة:

من ذلك في القرآن الكريم:

١ـ قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[الليل: ٥ـ١٠] حيث قابل أربعة بأربعة على الترتيب، قابل جملة "أعطَى" بجملة بخل "وهو تضاد صريح"، وقابل جملة "اتَّقَى بجملة استَغْنَى" على معنى طغَى فلم يَتَّقِ، وهو تضاد ليس بصريح، وقابل "صَدَّقَ بـ كَذَّبَ"، وهو تضاد صريح وقابل "الْيُسْرَى بالْعُسْرَى"، وهو تضاد صريح أيضا.

٢ـ ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾[الروم: ١٥، ١٦]، حيث قابل حال السعداء بحال الأشقياء مقابلة أربعة أمور بأربعة أمور على الترتيب، قابل بين جملة «آمنوا» وجملة «كفروا»، وقابل جملة «عملوا الصالحات»، بجملة «كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة»، وقابل «روضة» بـ«العذاب»، وقابل «يحبرون»، بـ«محضرون» ، والتضاد في بعضها ليس صريحا مباشرا، كما هو واضح لك.

٣ـ ومنه قوله تعالى: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[الفتح: ٥، ٦]، حيث قابل أربعة بأربعة على الترتيب، قابل جملة «يدخل» بجملة «يعذب»، وقابل «الْـمُؤْمِنِينَ»، بـ«المنافقين والمشركين»، وقابل «الْـمُؤْمِنَاتِ»، بـ«المنافقات والمشركات» وقابل: «جنات»، بـ«جهنم»، والتضاد في بعضها ليس مباشرا.

ومن مقابلة أربعة بأربعة شعرا قول جرير:

وَبَاسِطُ خَيْرٍ فِيكُمُ بِيَمِينِهِ *** وَقَابِضُ شَرٍّ عَنْكُمُ بِشِمَالِيَا

حيث قابل كل ألفاظ الشطر الأول بما يقابلها بكل ألفاظ الشطر الثاني على الترتيب، فقابل باسط بقابض، وخير بشر، وفيكم بعنكم، ويمينه بشماليا.

رابعًا: مقابلة خمسة بخمسة:

من ذلك قول المتنبي :

أَزُورُهُمْ وَسَوادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي ** وَأَنْثَنِي وَبيَاضُ الصّبْحِ يُغْرِي بِي

حيث قابل جميع كلمات الشطر الأول بجميع كلمات الشطر الثاني على الترتيب، فقابل أزورهم بأنثني، أي: أعود من الزيارة، وقابل سواد ببياض، واللّيل بالصبح، ويشْفَعُ بيُغْرِي، ولِي ببي.

والتضاد بين الليل والصبح تضاد غير مباشر؛ لأن الليل ضد النهار.

خامسًا: مقابلة ستة بستة:

من ذلك قول عنترة بن شداد العبسي:

عَـلَى رَأْسِ عَبْـدٍ تَـاجُ عِـزٍّ يَزِينُـهُ ** وَفِي رِجْـلِ حُـرٍّ قَيْـدُ ذُلٍّ يَشِـينُهُ

فكل لفظة في الشطرة الأولى تقابل كل لفظة في الشطرة الثانية على الترتيب، كما هو واضح.

الفرق بين الطباق والمقابلة :

١ـ الطباق: حصول التوافق بعد التنافي، كالجمع بين أضحك وأبكى بعد تنافيهما،في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴾ [النجم:٤٣].

والمقابلة حصول التنافي بعد التوافق، كالجمع بين الضحك والقلة، ثم إحداث التنافي حين تقابل الأول بالأول، والثاني بالثاني، في قوله تعالى: ﴿ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا ﴾ [التوبة:٨٢]، وكأننا بعد التوافق بينهما أوقعنا التنافي.

٢ـ الطباق يكون بين معنى واحد من جهة ومعنى واحد من جهة أخرى.

أما المقابلة، فهي تكون بين معنيين من جهة، ومعنيين من جهة أخرى على الترتيب، وتنتهي بين ستة من جهة، وستة من جهة أخرى على الترتيب.

فالمقابلة على ذلك أشمل وأوسع من الطباق؛ لأنها تكون بين معنيين وما يقابلهما أو أكثر وما يقابله في كل جهة.

شروط حسن الطباق والمقابلة

١ـ أن يأتيا عفو الخاطر دون تكلف أو مشقة أو معاناة.

٢ـ أن يكون المعنى هو الذي استدعاهما.

٣ـ أن يؤديا دورهما في الكلام على حسب مقتضى الحال، ولا يأتيان لزينة لفظية أو حلية شكلية.

❊ ❊ ❊

ملخص الدرس

المقابلة: هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين (أي: غير متقابلين) أو بمعان متوافقة كذلك، ثم يؤتى بما يقابلهما، أو يقابلها على الترتيب.

صور المقابلة خمسة:

١ـ مقابلة معنيين بمعنيين.

٢ـ مقابلة ثلاثة بثلاثة .

٣ـ مقابلة أربعة بأربعة

٤ـ مقابلة خمسة بخمسة.

٥ ـ مقابلة ستة بستة

الفرق بين الطباق والمقابلة :

١ـ الطباق: حصول التوافق بعد التنافي، والمقابلة حصول التنافي بعد التوافق.

٢ـ المقابلة أشمل وأوسع من الطباق؛ لأنها تكون بين معنيين وما يقابلهما أو أكثر وما يقابلها في كل جهة، أما الطباق، فيكون بين معنى واحد في جهة، وما يقابله في جهة أخرى.

من شروط حسن الطباق والمقابلة:

١ـ أن يأتيا عفو الخاطر دون تكلف أو مشقة أو معاناة.

٢ـ أن يكونا المعنى هو الذي استدعاهما.

٣ـ أن يؤديا دورهما في الكلام على حسب مقتضى الحال ، ولا يأتيان لزينة لفظية، أو حلية شكلية.

❊❊❊

إثراءات

لاحـــظ أن: الطباق يكون بين معنى من جهة ومعنى آخر من جهة أخرى فحسب،أما المقابلة، فهي تبدأ بين معنيين من جهة وما يقابلهما ، وتنتهي بين ستة وما يقابلها .

لاحـــظ أن: المقابلة أوسع وأعم من الطباق؛ لأنها تكون بين المعنى المتضاد وبين غير المتضاد.

انتبه إلى أن: المقابلة والطباق صنوان يلتقيان في الأساس على التضاد، ولكنهما يختلفان فيما بعد ذلك.

انتبه إلى أن: الطباق والمقابلة ليس حلية لفظية ولا طلاء خارجيا، بل هما من أعمدة البلاغة إذا استدعاهما الحال، واقتضاهما مقام الكلام .

مفاهيم: المقابلة أوسع من الطباق؛ لأنها تبدأ باثنين وتنتهي بستة.

مفاهيم: المقابلة هى أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو بمعان متوافقة، ثم يؤتى بما يقابلهما، أو يقابلها على الترتيب.

❊ ❊ ❊

التدريبات

التدريب الأول: أشر بعلامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة(×) أمام العبارة الخطأ، فيما يأتي:

١- أقصى صور المقابلة أن تكون بين خمسة وخمسة. ( )

٢- المقابلة والطباق صنوان لا يفترقان. ( )

٣- المقابلة هي الجمع بين معنيين غير متقابلين. ( )

٤- المقابلة من المحسنات المعنوية . ( )

٥- المقابلة لها صورتان فقط. ( )

٦- المقابلة اتكأ عليها كثير من الشعراء في إبراز المعنى. ( )

٧- وردت المقابلة في القرآن الكريم، والسنة المطهرة . ( )

٨- الطباق هو حصول التوافق بعد التنافي، والمقابلة حصول التنافي بعد التوافق. ( )

إجابة التدريب الأول

١- (×). ٢- (×). ٣- (√). ٤- (√).

٥- (×). ٦- (√). ٧- (√). ٨- (√).

التدريب الثاني: عرف المقابلة، واذكر ثلاثة صور منها مع التمثيل.

التدريب الثالث : اذكر الفروق الكائنة بين الطباق والمقابلة مع التمثيل.

إجابة التدريب الثالث

١- الطباق: هو حصول التوافق بعد التنافي، كالجمع بين أضحك وأبكى بعد تنافيهما، في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴾[النجم:٤٣]، والمقابلة حصول التنافي بعد التوافق، كالجمع بين الضحك والقلة، ثم إحداث التنافي حين تقابل الأول بالأول، والثاني بالثاني، في قوله تعالى: ﴿ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا ﴾[التوبة:٨٢] ، وكأننا بعد التوافق بينهما أوقعنا التنافي.

٢- الطباق يكون بين معنى واحد من جهة، ومعنى واحد من جهة أخرى، أما المقابلة، فهي تكون بين معنيين من جهة، ومعنيين من جهة أخرى على الترتيب، وتنتهي بين ستة من جهة، وستة من جهة أخرى على الترتيب، فالمقابلة أشمل وأوسع من الطباق؛ لأنها تكون بين معنيين وما يقابلهما أو أكثر وما يقابله في كل جهة.

التدريب الرابع : حدد البلاغيون شروطا لحسن الطباق والمقابلة اذكرها ممثلا لها.

* * *

الدرس الثالث

مراعاة النظير

أهداف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يعرف مراعاة النظير.

٢ـ يوازن بين صور مراعاة النظير.

٣ـ يستخرج من أمثلة مقدمة له طباقا، ومقابلة، ومراعاة نظير.

٤ـ يأتى بأمثلة لأنواع النظير.

٥ـ يحدد سبب استبعاد إيهام التناسب من أنواع مراعاة النظير.

وصف الدرس: سنتناول في هذا الدرس مفهوم مراعاة النظير، وصوره المختلفة، وأقسامه المتنوعة، وما يلحق به.

شرح الدرس

تمهيد:

من جمال اللغة العربية ودقتها الفائقة أنها تحتوي على ألفاظ متضادة يتداعى لها الذهن سريعا، كما سبق لك توضيحه في الطباق والمقابلة، ومن جمالها وحسنها كذلك أنها تحتوي على ألفاظ متناسبة تطرأ على الذهن، وتخطر على البال بسرعة، كما يقول علماء النفس، فالتناسب بين الألفاظ أسرع خطورا على الذهن من الألفاظ غير المتناسبة، وكذلك التضاد بين الألفاظ أسرع خطورا من غير المتضاد، فإذا ذكرت الليل، جاء على بالك النهار، وإذا تذكرت البياض ورد على خاطرك السواد، وكذلك التناسب، فإذا تذكرت الشمس ورد على ذهنك القمر، وهكذا فإن العربية لديها القدرة على التعبير عن كل ما يجول في النفس الإنسانية متضاداأو متناسبا، ومضى لك الحديث عن التضاد، وهنا نتحدث لك عن التناسب.

تعريف مراعاة النظير في اصطلاح البلاغيين: هو أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه، أو بين أمور متناسبة لا على جهة التضاد، بل على جهة الاتفاق والاتساق والتناسب.

كما تجمع في كلامك بين الشمس والقمر والنجوم، فكلها من واد واحد وهو العوالم العلوية، وكما تجمع ـ أيضا ـ بين الظلّ والشجر، والزَّهْرِ والثَّمَر، وكلها من واد واحد،وكما تجمع بين الإِبلِ والبقر والضأن والمعز، وكلها من طريق واحد، وكما تجمع بين العلم والكتاب والقلم والمحبرة، وكلها على شاكلة واحدة، وغير ذلك ممّا لا يُحصَى.

صور مراعاة النظير

لمراعاة النظير أربع صور.

الصورة الأولى: أن يجمع بين أمرين متناسبين:

مثل قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾[الرحمن:٥]، حيث جمع بين أمرين متناسبين: الشمس والقمر، وهما من الكواكب.

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[التوبة:٣٤]، حيث جمع بين أمرين متناسبين: الذهب والفضة، وهما من المعادن.

ومثله قوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾[الرحمن:٢٢]، حيث جمع بين اللؤلؤ والمرجان، وهما أمران متناسبان؛ لأنهما من الأحجار الكريمة.

ومثله قوله تعالى في تشبيه الحور العين: ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾[الرحمن:٥٨]، حيث جمع بين أمرين متناسبين: الياقوت والمرجان، وهما من الأحجار النفيسة.

الصورة الثانية: أن يجمع ثلاثة أمور متناسبة :

مثل قوله ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»، حيث جمع بين ثلاثة أمور متناسبة وهي: الكذب، وإخلاف الوعد، وخيانة الأمانة، وكلها من الصفات الذميمة المنهي عنها.

ومثله قول البحتري يَصِفُ الإبل بالضمور والنحافة الشديدة:

يَتَرقْرَقْـنَ كَالـسَّرَابِ وقَـدْ خُضْـ ⁂ ـنَ غِمارًا مِنَ السَّرَابِ الْـجَارِي

كالْقِـسِيِّ الْـمُعَطَّفَاتِ بَلِ الأَسْـ ⁂ ـهُم مَبْرِيَّـةً بَـلِ الأَوْتَـارِ

حيث جمع ثلاثة أمور متناسبة وهي: القسي، والأسهم، والأوتار، وكلها من باب واحد من آلات الحرب القديمة، وهذا البيت من الأمثلة الجيدة في مراعاة النظير؛ لأن الشاعر ترقى فيه من الأقل نحافة إلى الأكثر دقة ونحافة، حيث شبه الإبل في هزالها وشدة ضمورها بالقسي المحنية أولا، ثم زاد في الترقي فشبهها بالأسهم المبرية؛ ليدلل على شدة النحافة،ثم ترقى أكثر فأكثر فشبهها في شدة ضمورها بالأوتار، فترقى من الأقل نحافة، إلى الأكثر دقة ونحافة ، فزاد هذا التناسب ومراعاة النظير دقة وجمالا.

ومن ذلك أيضا قول المتنبى يصف فرسا:

عَلَى سَابِحٍ مَوْجُ الْـمَنَايَا بِنَحْرِهِ ❊❊ غَدَاةَ كَأَنَّ النَّبْلَ فِي صَدْرِهِ وَبْلُ

حيث جمع الشاعر ثلاثة أمور متناسبة وهي: السابح، والموج، والوبل، وكلها من وادٍ واحد، فالسباحة لا تكون إلا في الماء، والموج قطعة الماء، والوبل مطر غزير، فبينها تناسب معنوي جعل البيت شديد التلاؤم.

الصورة الثالثة: أن يجمع أربعة أمور متناسبة

من ذلك، قول بعض الناس في مدح الوزير المُهلَبِيِّ:«إنك أيها الوزير إسماعيلي الوعد، شُعيبي التوفيق، يوسفي العفو، محمدي الخلق» حيث جمع أربعة أمور متناسبة هي: إسماعيلي، شعيبي، يوسفي، محمدي، وكلها نسبة إلى أسماء الأنبياء ـ صلوات الله عليهم جميعا ـ ، كما جمع أربع صفات متناسبة ـ أيضا ـ وهي: صدق الوعد، والتوفيق، والعفو، وحسن الخلق، وكلها من قبيل الأخلاقيات العظيمة، والسلوكيات القويمة.

الصورة الرابعة: أن يجمع أكثر من أربعة أمور متناسبة.

من ذلك، قول ابن رشيق (صاحب كتاب العمدة) يمدح الأمير تميم بن المعز:

أَصَحُّ وَأَقْوَى مَا سَمِعْنَاهُ فِي النَّدَى ❊❊ مِنَ الْخَبَرِ الْـمَأْثُورِ مُنْذُ قَدِيمِ

أَحَادِيثُ تَرْوِيهَا السُّيُولُ عَنِ الْحَيَا ❊❊ عَنِ الْبَحْرِ عَنْ كَفِّ الأَمِيرِ تَمِيمِ

حيث جمع الشاعر أولاً ستة أمور متناسبة، جمع الصحة والقوة، والسماع والخبر المأثور، والأحاديث والرواية، وكلها من باب واحد؛ لأنها مصطلحات تتردد في علوم الحديث الشريف.

ثم جمع ثانيًا بين السيول، والحيا (أي المطر)، والبحر، وكف الأمير، مع ما في هذا التناسب الرائع من صحة الترتيب في العنعنة، حيث بدأ من الصغير إلى الكبير، فبدأ بالسيول وجعل أصلها المطر، ثم جعل أصل المطر البحر، ثم جعل كف الأمير تميم أصلاً للبحر في الجود والكرم على سبيل المبالغة.

وإذ استبان لك صور مراعاة النظير وأنها تعتمد على التناسب بأن تكون الألفاظ التي تتداعى إلى الذهن من باب واحد، أو من واد واحد؛ لتكون أقرب خطورا على الأذهان،من هنا يجب أن نسأل.

هل هناك فرق بين الطباق ومراعاة النظير؟

نعم، هناك فرق واضح بينهما، فإن الطباق يجمع فيه بين معنى الكلمتين المتضادتين،أما مراعاة النظير فيجمع فيه بين معنى الكلمتين المتناسبتين.

وسؤال آخر.

هل هناك فرق بين المقابلة ومراعاة النظير؟

نعم، هناك فرق بينهما، من جهة أن المقابلة تكون بين الأمور المتضادة وغير المتضادة، أما مراعاة النظير، فيكون بين الكلمات المتناسبة فحسب.

أنواع مراعاة النظير

لمراعاة النظير نوعان : ١ـ تشابه الأطراف ٢ـ التفويف

أولا: تشابه الأطراف

عرفه البلاغيون بقولهم : هو أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى.

كقوله تعالى ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣] فقوله تعالى: «وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» ورد في ختام الآية، ولو تأملت في لفظة اللطيف لوجدتها تتلاءم مع ما جاء في مطلع الآية في قوله: «لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ» فإن اللطف يناسب ما لا يدرك بالبصر، ولو تأملت لفظة الخبير الواردة في نهاية الآية، لعلمت أنها تتناسب مع قوله: «يُدْرِكُ الأَبْصَارَ»؛ فإن من يدرك شيئا يكون حتما خبيرا به.

وهكذا فإن كل كلام في النهاية يتناسب مع ما ورد في البداية يطلق عليه البلاغيون تشابه الأطراف، وسمي بذلك لتشابه أطراف الكلام بداية ونهاية في التناغم والتناسب.

ومثله قوله تعالى: ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[الحج:٦٤]، فقوله: «الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» ورد في ختام الآية؛ وهو يتناسب بشدة مع ما ورد في أولها في قوله تعالى: «لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ»، وآثر التعبير هنا بالغني؛ لينبه على أن ما يملكه ـ سبحانه وتعالى ـ

من ملكوت السموات والأرض ليس في حاجة إليه، بل هو غني عنه جواد به، فإذا جاد به حمده المُنْعَمُ عليهم من العباد، وهذا هو سر التعبير بالحميد بعد الغني.

ومن خفي هذا الضرب قوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة:١١٨].

فإن قوله تعالى: (وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ) قد يوهم أن الفاصلة في نهاية الآية ستكون «الغفور الرحيم»، ولكن من ينعم النظر يتيقن أن الفاصلة المتناسبة هي«العزيز الحكيم»؛ لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا الذي ليس فوقه أحدٌ يرد عليه حكمه فهو العزيز؛ لأن العزيز في صفات الله هو الغالب من قولهم: عزه يعزه عزا إذا غلبه.

ووجب كذلك أن يوصف بالحكيم؛ لأن الحكيم من يضع الشيء في محله والله ـ تعالى ـ أحكم الحكماء، لكنه قد يخفى وجه الحكمة في بعض أفعاله، فيتوهم الضعفاء من الناس أن هذه الأفعال خارجة عن الحكمة، فكان في الوصف بالحكيم احتراس حسن، أي: وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب، فلا اعتراض لأحد عليك في ذلك، والحكمة فيما فعلته، وهكذا كان آخر الآية أشد تلاؤما مع أولها لمن يتدبر فيها بدقة.

ثانيًا: التفويف

وقد عرفه البلاغيون بقولهم: هو أن يؤتى في الكلام بمعان متلائمة في جمل مستوية المقادير أو متقاربتها.

كقول أبو العباس الناشئ يصف سحابا:

فَـوَشْيٌ بِـلا رَقْـمٍ، وَنَقْـشٌ بِـلا يَـدٍ *** وَدَمْـعٌ بِـلا عَـيْنٍ، وَضحْكٌ بِـلا ثَغْرِ

فإن من يتأمل في هذا البيت يجد أربع جمل طويلة مستوية في مقاديرها، أي: جاءت على وزن عروضي وصرفي واحد، وكل جملة فيها معانيها متلائمة متناسبة، ومن ثم سمي هذا النوع من التناسب بالتفويف، أي: زيادة في جماله وإيقاعه؛ لأن التفويف في اللغة مأخوذ من الثياب المفوفة أي: المزركشة المزينة، فهو من مراعاة النظير، ولكنه لما جاء على هذا المنوال كان نوعا معينا منه استحق أن يخص ويذكر بهذا الاسم.

وكما جاءت الجمل مستوية في وزنها الصرفي والعروضي فيما مضى فقد تأتي متقاربة في الوزن العروضي كما في قول عنترة:

إِنْ يُلْحَقُوا أَكْرُرْ وَإِنْ يُسْتَلْحَمُوا ** أَشْدُدْ وَإِنْ يُلْفَوْا بِضَنْكٍ أَنزِلِ

فكل جملة من الجمل الثلاث التي تحتها خط ألفاظها متناسبة ومتلاحمة، ولكنها متقاربة من حيث الإيقاع الصوتي والعروضي والصرفي مع ما قبلها، وعليه فالتفويف هو نوع من أنواع مراعاة النظير، ولكنه يتمحور حول الجمل المتلائمة في المعنى المستوية في الإيقاع العروضي والصرفي، أو المتقاربة.

ومثله أيضا قول عبدالسَّلام بْنِ رُغْبَان المعروفِ بديكِ الجنّ:

أُحْلُ وامْرُرْ، وَضُرَّ وانْفَعْ، وَلِنْ وَاخْشُنْ ** وَرِشْ وابْرِ، وَانْتَدِبْ لِلْمَعَالِي

فالجمل السابقة متقاربة مع بعضها في الإيقاع العروضي والصرفي، وهي جمل قصيرة في المقدار، وهذا يسمى التفويف.

ولكن يلاحظ أن بين كل جملة فى البيت السابق تضاد، وكل جملة فيها تضاد، فهي من قبيل الطباق إذن قد يجتمع التفويف، وهو نوع من مراعاة النظير مع الطباق من هذه الجهة.

إيهام التناسب

هناك نوع يلحق بمراعاة النظير في الظاهر، ولكن من يتأمل فيه يدرك أنه ليس منه مطلقا مثل قوله تعالى: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٥، ٦]، فإن بين الشمس والقمر مراعاة نظير؛ لتناسبهما، وهذا لا خلاف فيه بين العلماء، ولكن قد يظن المتعجل أن لفظة النجم التي بعد ذلك متناسبة مع ما قبلها من الشمس والقمر،لكن الأمر في الحقيقة ليس كذلك؛ لأن النجم هنا هو النبات الذي ينجم أي: يظهر على سطح الأرض، ولا ساق له مثل: القثّاء، والجرجير وغيرهما من النباتات، فأوهم اللفظ التناسب، ولكنه ليس من قبيل التناسب.

وبناء على هذا يمكن لنا أن نعرف هذا النوع بقولنا: هو أن يأتي اللفظ يوهم أنه يتناسب في المعنى مع ما سبقه، وهو عند إمعان النظر يتضح أنه لا يتناسب معه.

س: لماذا سمى بإيهام التناسب؟

ج : لأن من لم يمعن النظر، يتوهم التناسب وهو ليس بمتناسب.

* * *

ملخص الدرس

مراعاة النظير: هو الجمع بين أمر وما يناسبه أو الجمع بين أمور متناسبة لا على وجه التضاد بل على وجه الاتفاق والاتساق .

صور مراعاة النظير:

الصورة الأولى: أن يجمع بين أمرين متناسبين.

الصورة الثانية: أن يجمع بين ثلاثة أمور متناسبة.

الصورة الثالثة: أن يجمع بين أربعة أمور متناسبة.

الصورة الرابعة: أن يجمع بين أكثر من أربعة أمور متناسبة

من أنواع مراعاة النظير:

تشابه الأطراف: وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى.

التفويف: وهو أن يؤتى في الكلام بمعان متلائمة في جمل مستوية المقادير أو متقاربتها.

ويلحق به نوع يسمى إيهام التناسب: وهو أن يأتي اللفظ يوهم أنه يتناسب في المعنى مع ما سبقه، وهو عند إمعان النظر يتضح أنه لا يتناسب معه.

* * *

إثراءات

لاحظ أن: مراعاة النظير يكون بين الأمور المتناسبة لا على وجه التضاد بخلاف الطباق، فيكون على وجه التضاد.

لاحظ أن : مراعاة النظير يكون بين أمرين متناسبين إلى ستة، وكذلك المقابلة تكون بين أمرين متقابلين إلى ستة، فهما يتفقان من هذه الجهة من حيث العدد.

انتبه إلى أن: المقابلة تكون بين معنيين من جهة، ومعنيين من جهة أخرى، وثلاثة من جهة، وثلاثة من جهة أخرى، وهكذا إلى ستة من جهة، وستة من جهة أخرى، بخلاف مراعاة النظير، فقد يكون بين اثنين متناسبين إلى ستة، ولا يشترط فيه النظر للجهة المقابلة لها .

انتبه إلى أن: مراعاة النظير وتشابه الأطراف وردا في القرآن الكريم بخلاف التفويف.

مفاهيم: إيهام التناسب ليس من مراعاة النظير؛ لأنه يوهم التناسب وفي الحقيقة لا يوجد تناسب.

مفاهيم: تشابه الأطراف نوع من مراعاة النظير، ولكن يشترط فيه أن يكون التناسب واقعا بين طرف الكلام وآخره؛ ولذا سمي بتشابه الأطراف.

❊ ❊ ❊

التدريبات

التدريب الأول: أشر بعلامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أما العبارة الخطأ، فيما يأتي:

١- مراعاة النظير من المحسنات المعنوية التي تعتمد على التناسب. ( )

٢- الطباق ينظر فيه لمعنيين متضادين ومراعاة النظير بخلافه. ( )

٣- ورد مراعاة النظير في القرآن الكريم بكثرة. ( )

٤- المعاني المتناسبة لا ترد على الذهن بسرعة. ( )

٥- التناسب في مراعاة النظير له صور عديدة . ( )

٦- إيهام التناسب ليس من مراعاة النظير. ( )

٧- التفويف ليس من أنواع مراعاة النظير . ( )

٨- لا يوجد فرق بين المقابلة ومراعاة النظير. ( )

٩- تشابه الأطراف من أنواع مراعاة النظير التي لها خصوصية. ( )

١٠- الطباق لا يجتمع مع مراعاة النظير إلا مع التفويف. ( )

إجابة التدريب الأول

١- (√). ٢- (√). ٣- (√). ٤- (×). ٥- (√).

٦- (√). ٧- (×). ٨- (×). ٩- (√). ١٠- (√).

التدريب الثاني: عرف كُلاًّ من مراعاة النظير، وتشابه الأطراف ، وإيهام التناسب مع التمثيل.

التدريب الثالث: بين الفرق بين التفويف ومراعاة النظير مع التمثيل .

التدريب الرابع: لمراعاة النظير صورٌ عديدة اذكر ثلاثـًا منها مع التمثيل.

إجابة التدريب الرابع

الصورة الأولى : أن يجمع بين أمرين متناسبين

مثل قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[الرحمن:٢٢]، حيث جمع بين اللؤلؤ والمرجان، وهما أمران متناسبان؛ لأنهما من الأحجار الكريمة.

الصورة الثانية: أن يجمع بين ثلاثة أمور متناسبة

مثل قوله ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»، حيث جمع بين ثلاثة أمور متناسبة وهي: الكذب، وإخلاف الوعد، وخيانة الأمانة، وكلها من الصفات الذميمة المنهي عنها.

الصورة الثالثة : أن يجمع أربعة أمور متناسبة

من ذلك، قول بعض الناس في مدح الوزير المُهلَبِيِّ: «إنك أيها الوزير إسماعيلي الوعد، شُعيبي التوفيق، يوسفي العفو، محمدي الخلق» حيث جمع أربعة أمور متناسبة هي : إسماعيلي، شعيبي، يوسفي، محمدي، وكلها نسبة إلى أسماء الأنبياء ـ صلوات الله عليهم جميعا ـ ، كما جمع أربع صفات متناسبة ـ أيضا ـ وهي: صدق الوعد، والتوفيق، والعفو، وحسن الخلق، وكلها من قبيل الأخلاقيات العظيمة، والسلوكيات القويمة.

❊ ❊ ❊

الدرس الرابع

المشاكلة

أهداف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يحدد المقصود بالمشاكلة مع التمثيل.

٢ـ يوازن بين أنواع المشاكلة.

٣ـ يأتي بأمثلة لأنواع المشاكلة.

٤ـ يبين متى تجتمع المشاكلة مع الطباق.

٥ـ يبين متى تجتمع المشاكلة مع الجناس.

وصف الدرس: سنتناول في هذا الدرس تعريف المشاكلة، وورودها في القرآن والسنة، وسر التعبير بها، وأقسامها المختلفة، وجواز اجتماعها مع الطباق والجناس .

شرح الدرس

تعريفها:

المُشَاكَلة لغة: المشابهة والمماثلة.

وفي اصطلاح البلاغيين: هي أن يُذكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوعه في صحبته.

كقول عمرو بن كلثوم الشاعر الجاهلي:

أَلاَ لاَ يَجْهَلَــنْ أَحَــدٌ عَلَيْنَــا ❊❊ فَنَجْهَـلَ فَـوْقَ جَهْـلِ الـْجَاهِلِينَا

فقوله في الشطر الثاني «فنجهل» من باب المشاكلة؛ لأن تأديب الجاهل على جهله ومجازاته عليه لا يسمى جهلا، وإنما يسمى عقابا وردعا وزجرا، ولكن لما وقع اللفظ الثاني «فنجهل» في صحبة اللفظ الأول «لا يجهلن» ساغ للشاعر أن يعبر عن رد الجهل والمعاقبة عليه باللفظ نفسه مشاكلة.

والغرض من ذلك هو لفت نظر السامع، وشد انتباهه، واستمالة سمعه، وإظهار مقدرة قوم الشاعر على رد الصاع صاعين، وهذا أسرع ـ لا شك ـ في تثبيت المعنى في النفس، وتمكينه في القلب، فالمشاكلة تهدف للتأثير على المخاطب ، وتوكيد المعنى وتقريره في نفسه.

س ـ هل وردت المشاكلة في القرآن الكريم، والسنة النبوية؟

ج: نعم هذا اللون من الكلام حسبما أوضحنا مفهومه فيما سبق ورد في الذكر الحكيم بكثرة وفي السنة النبوية كذلك.

فمما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة :١٤، ١٥] حيث سُمي الجزاء على الاستهزاء استهزاءً بطريق المشاكلة، فجاء اللفظ الثاني «يَسْتَهْزِئُ» مشاكلا للأول «مُسْتَهْزِئُونَ» ؛ لوقوعه في صحبته.

ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٩٤] حيث سُمي الجزاء على العدوان، ومقابلته بمثله اعتداء من قبيل المشاكلة ، والذي سوغ ذلك هو وقوع اللفظ الثاني «فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ» في صحبة اللفظ الأول «فَمَنْ اعْتَدَى»، والسر البلاغي لذلك: هو التنفير من رد الاعتداء، والترغيب في العفو، والدعوة للصفح؛ لأن الإنسان الذي يرد الاعتداء قد يتجاوز الحد المطلوب، فيصير عندئذ معتديا، وهذا من شيم السماحة في الإسلام دين العفو والغفران.

ومن المشاكلة أيضا قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الشورى:٤٠]، حيث أطلق على جزاء السيئة سيئة من قبيل المشاكلة، والذي سوغ ذلك هو وقوع لفظ السيئة الثاني في صحبة لفظ السيئة الأول، والغرض من ذلك: التنفير عن رد السيئة بمثلها، والدعوة إلى الصفح والعفو والغفران، وهذا هو الذي أكدته الآية بعد ذلك في قوله تعالى: «فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ».

ومثال ما ورد من المشاكلة في السنة النبوية: عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تَطِيقُونَ فَإِنَّ اللهَ لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا» حيث جاء اللفظ الأول مشاكلا للثاني؛ لوقوع الأول في صحبة الثاني، ويلاحظ هنا أن اللفظ الأول هو الذي شاكل الثاني بعكس الأمثلة السابقة كلها.

وعلى ذلك فيجوز أن يشاكل الثاني الأول؛ لوقوعه في صحبته وهذا هو الكثير الغالب، ويجوز أن يشاكل الأول الثاني؛ لوقوعه في صحبته، وهذا هو القليل النادر.

أنواع المشاكلة

المشاكلة نوعان: النوع الأول: مشاكلة تحقيقية ، والنوع الثاني مشاكلة تقديرية.

أولا: المشاكلة التحقيقية:

تعريفها هي: ذكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوعه في صحبته تحقيقا.

وكل الأمثلة السابقة من هذا النوع، فإن اللفظ الثاني الذي وقع فيه المشاكلة وقع في صحبة اللفظ الأول محققا عيانا بيانا، أي: تلفظ به المتكلم وهو موجود في الكلام محققا.

ومن ذلك ـ أيضا ـ وهو مشهور في هذا الباب قول «ابن الرَّقَعْمَق» أحمد بن محمد الأنطاكي الشاعر المشهور في عصر الدولة الإخشيدية في مصر:

قَالُـوا: اقْـتَرِحْ شَـيْئًا نُجِدْ لَـكَ طَبْخَهُ ⁂ قُلْـتُ: اطْبُخُـوا لِي جُبَّـةً وَقَمِيصَـا

وأصل الكلام خيطوا لي جبة وقميصا، وساغ للشاعر أن يعبر عن الخياطة بالطبخ؛ لوقوع اللفظ الثاني «اطبخوا» في صحبة الأول «طَبْخَهُ» فساغ له أن يعبر عن الخياطة بالطبخ على سبيل المشاكلة، وهذا البيت قاله: «ابن الرَّقَعْمَق» حينما أرسل له أربعة من أصحابه يدعونهُ إلى الطعام، وكانوا قد ذبحوا شاة سمينة قائلين له: اشته علينا ما نطبخ لك منها، وكان هذا الأمر في صباح يوم شديد البرودة، وكانَ فقيرًا، ليسَ له كسوةٌ تقيهِ من البرد، فكتبَ إليهم يقولُ:

وعِصَابَـةٍ عَزَمُـوا الصَّبوحَ بِسُـحْرةٍ ⁂ بَعَثُـوا إِلَيَّ مَـعَ الصَّبَـاحِ خُصُوصَا

قَالُـوا: اقْـتَرِحْ شَـيْئًا نُجِدْ لَـكَ طَبْخَهُ ⁂ قُلْـتُ: اطْبُخُـوا لِي جُبَّـةً وَقَمِيصَـا

قال: فذهب الرسول بالرقعة، فما شعرتُ حتى عاد ومعه أربع خلع وأربع صرر في كل صرة عشرة دنانير، فلبست إحدى الخلع وصرت إليهم.

والشاهد فيه ورود اللفظ الثاني على سبيل المشاكلة، فإنه أراد خيطوا، فذكر خياطة الجبة والقميص بلفظ الطبخ؛ لوقوعها في صحبة طبخ الطعام.

ثانيا: المشاكلة التقديرية:

تعريفها هي: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تقديرا .

مثل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾

[البقرة:١٣٧، ١٣٨].

فلفظ صبغة المذكور في الآية في قوله: «صِبْغَةَ اللهِ» من باب المشاكلة التقديرية؛ لأنه وقع في صحبة اللفظ المحذوف المقدر، المفهوم من سبب نزول الآية، فالآية الكريمة نزلت ردا على النصارى الذين كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية، ويقولون هو تطهير لهم، فأمر الله المسلمين بأن يقولوا لهم: (قولوا آمنا بالله) وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتكم، وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيركم، فجيء بلفظ الصبغة للمشاكلة وإن لم يكن قد تقدم لفظ الصبغ؛ لأن قرينة الحال التي هي سبب النزول من غمس النصارى أولادهم في الماء الأصفر دلت على ذلك.

ومنه قول أبي تمام:

مَـنْ مُبْلِـغٌ أَفْنَـاءَ يَعْـرُبَ كُلَّهَـا *** أَنِّي بَنَيْـتُ الْـجَارَ قَبْـلَ الْمُنْـزِلِ

فقوله: «بنيت» مشاكلة تقديرية شاكل بها اللفظ الأول اللفظ الثاني المحذوف المقدر المفهوم من الكلام، والتقدير: أني بنيت الجار قبل بناء المنزل، والذي سوغ بناء الجار، والجار لا يبني بل يختار هو مراعاة المشاكلة؛ ليشاكل به اللفظ المقدر، فلولا بناء المنزل لم يصح بناء الجار.

س: هل تجتمع المشاكلة مع الطباق؟

ج: نعم يجوز ذلك، وقد ورد هذا على لسان القاضي شريح حينما شهد رجل عنده بشهادة أعجبته فقال له شريح: إنك لسبط الشهادة، يقصد أن شهادتك سهلة واضحة مسترسلة كالشعر الناعم غير المجعد، فقال الرجل: إنها لم تجعد عني، أي: لم تصعب عليَّ، فالتجعيد جاء هنا على سبيل المشاكلة للفظ الأول؛ لوقوعه في صحبته، فلولا أنه عبر بالسبوطة أولا لما ساغ له أن يعبر بالتجعيد ثانيا، هذا بالنسبة للمشاكلة.

لكن من يتأمل يجد أن هذين المعنيين بينهما ـ أيضا ـ تضاد ؛ لأن السبوطة ضد الجعودة، وهذا من باب الطباق، إذن يجوز اجتماع المشاكلة مع الطباق.

س: هل تجتمع المشاكلة مع الجناس؟

ج: نعم يجوز اجتماع الجناس مع المشاكلة، والجناس كما ستعرف لاحقا هو اتفاق اللفظين في الشكل، واختلافهما في المعنى، فقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَا﴾[الشورى:٤٠]، من قبيل المشاكلة كما سبق توضيحه، وهي ـ أيضا ـ جناس؛ لأن اللفظين اتفقا في الشكل، واختلفا في المعنى، فالأول بمعنى: السيئة، والثاني بمعنى: رد السيئة، وعلى ذلك فيجوز اجتماع المشاكلة والجناس، كما جاز من قبل اجتماع المشاكلة مع الطباق.

* * *

ملخص الدرس

المشاكلة: هي أن يُذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته.

أنواع المشاكلة :

المشاكلة نوعان:

١ـ مشاكلة تحقيقية، هي أن يُذكر الشيء بلفظ غيره، لوقوعه في صحبته تحقيقا.

٢ـ مشاكلة تقديرية: وهي أن يُذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تقديرا.

ويجوز أن تجتمع المشاكلة، وهي من المحسنات المعنوية مع الطباق وهو ـ أيضا ـ من المحسنات المعنوية.

كما يجوز أن تجتمع المشاكلة، وهي من المحسنات المعنوية مع الجناس، وهو من المحسنات اللفظية.

* * *

إثراءات

لاحظ أن: المشاكلة من المحسنات المعنوية، ولكنها تجتمع مع الطباق، وهو من المحسنات المعنوية أيضا.

لاحظ أن: المشاكلة من المحسنات المعنوية، ولكنها تجتمع مع الجناس، وهو من المحسنات اللفظية.

انتبه إلى أن : المشاكلة وردت في القرآن، والحديث الشريف، والشعر الجاهلي وغيره.

انتبه إلى أن: المشاكلة يشاكل فيها اللفظ الثاني اللفظ الأول غالبا، ولكن في بعض الأمثلة قد يشاكل اللفظ الأول اللفظ الثاني المذكور أو المقدر المحذوف.

مفاهيم: المشاكلة من المحسنات المعنوية التي تهدف إلى استمالة السامع، وتمكين المعنى في نفسه.

مفاهيم : اختلف بعض العلماء في ورود المشاكلة في القرآن والسنة، ولكنها على حسب مفهومها هنا وَرَدت في القرآن والسنة، كما بان من الأمثلة.

❊ ❊ ❊

التدريبات

التدريب الأول: أشر بعلامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة(×) أمام العبارة الخطأ، فيما يأتي:

١- المشاكلة من المحسنات اللفظية. ( )

٢- المشاكلة وردت في السنة ولم ترد في القرآن. ( )

٣- المشاكلة تجتمع مع الطباق . ( )

٤- المشاكلة لا تجتمع مع الجناس. ( )

٥- المشاكلة أعم من الجناس والطباق . ( )

٦- المشاكلة التقديرية لم ترد في القرآن والسنة النبوية. ( )

٧- المشاكلة الحقيقية تتعارض مع التقديرية. ( )

٨- لا يوجد فرق بين المشاكلة ومراعاة النظير. ( )

٩- المشاكله ليس لها أثر قوي على السامع. ( )

إجابة التدريب الأول

١- (×). ٢- (×). ٣- (√). ٤- (×). ٥- (√).

٦- (×). ٧- (√). ٨- (×) ٩- (×).

التدريب الثاني: عرف المشاكلة، وبين نوعيها ، مع التمثيل لما تذكر.

التدريب الثالث: ما الفرق بين المشاكلة والطباق؟ وهل يجوز الجمع بينهما؟ مع التمثيل.

إجابة التدريب الثالث

المشاكلة هي: أن يُذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته.

والطباق هو: الجمع بين متقابلين في المعنى على وجه التضاد.

ويجوز الجمع بين الطباق والمشاكلة، وقد ورد ذلك على لسان القاضي شريح حينما شهد رجل عنده بشهادة أعجبته، فقال له شريح: إنك لسبط الشهادة ، يقصد أن شهادة الرجل كانت سهلة واضحة



مسترسلة، كالشعر الناعم غير المجعد، فقال له الرجل: إنها لم تجعد عني، أي: لم تصعب عليَّ، فالتجعيد جاء هنا على سبيل المشاكلة للفظ الأول؛ لوقوعه في صحبته، ومن يتأمل يجد أن هذين المعنيين بينهما ـ أيضا ـ تضاد؛ لأن السبوطة ضد الجعودة، وهذا من باب الطباق؛ إذن يجوز اجتماع المشاكلة مع الطباق.

التدريب الرابع: ما الفرق بين المشاكلة والجناس، وهل يجوز الجمع بينهما؟ مع التمثيل.

***

الدرس الخامس

التورية

أهداف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ - يحدد المقصود بالتورية.

٢ - يوازن بين أقسام التورية.

٣- يعلل لعدم ورود التورية فى القرآن.

٤ - يبين القاسم المشترك بين التورية والاستعارة.

٥- يذكر أسباب كثرة ورود التورية بدءا من الشعر العباسي.

وصف الدرس: يتناول هذا الدرس تعريف التورية، وأقسامها، وأمثلتها، وسر التعبير بها.

شرح الدرس

تعريف التورية:

هي لفظ له معنيان قريب ظاهر، لكنه غير مراد، وبعيد خفي، وهو المراد.

شرط التورية:

يشترط فى التورية أن تكون هناك قرينة تشير إلى أن المعنى المراد هو البعيد.

قيمة التورية البلاغية:

هذا النوع من الألوان البديعية المعنوية التي تكسب الكلام متعة ورونقا، وتقتضي في استخراجها ذكاء وحنكة، كما تتطلب في صنعتها إتقانا ودقة، وقد كَثُرت على ألسنة الشعراء وبخاصة فى العصر العباسي.

من ذلك قول سراج الدين الورّاق:

وَاخَجْلَتِي وَصَحَائِفِي مُسْوَدَّةٌ ❋ وَصَحَائِفُ الْأَبْرَارِ فِي إِشْرَاقِ
وَتَوَقُّفِي لِمُوَبِّخٍ لِي قَائِلٍ ❋ أَكَذَا تَكُونُ صَحَائِفُ الْوَرَّاقِ؟

في البيت الثاني جاءت كلمة «وراق» لها معنيان، الأول: وهو القريب الظاهر (بائع الكتب) ولكنه غير مراد، ويرشح لذلك المعنى كلمة الصحائف، وتكرارها، والمعنى الثاني: هو اسم الشاعر نفسه، وهو المعنى المراد هنا، وقد سُتِرِ هذا المعنى البعيد المراد، وهو اسم الشاعر، وراء المعنى القريب، والقرينة: هي تحدثه عن نفسه، مع إضافة الخجل والتوقف والصحائف إلى نفسه أيضا.

أقسام التورية

للتورية قسمان:

أ ـ مرشحة: وهي التي ذكر معها ما يلائم المعنى القريب.

وهو مثل البيت السابق، ومن هذا النوع ـ أيضا ـ قول ابن نباتة:

أَقُولُ، وَقَدْ شَنُّوا إِلَى الْحَرْبِ غَارَةً ❋ دَعُونِي فَإِنِّي آكُلُ الْعَيْشَ بِالْجُبْنِ

فقد وردت كلمة (الجبن) ولها معنيان: قريب، وهو الطعام المصنوع من اللبن، ويرشح هذا المعنى القريب كلمة (آكلُ) التي تناسبه، وهذا المعنى غير مراد، بل المراد هو المعنى البعيد المتواري خلف هذا المعنى القريب، وهو الجبن الذي يقابل الشجاعة، وإن كان يرشح المعنى البعيد، قوله: شنوا إلى الحرب، وطلبه منهم أن يتركوه حينما شنوها، ومع هذا فهي تورية مرشحة؛ لأن المرشحة: ما ذكر معها ما يناسب المعنى القريب.

ب ـ مجردة: وهي التي لم يذكر معها ما يلائم المعنى القريب، سواء ذكر ما يلائم المعنى البعيد، أم لم يذكر.

من ذلك قول ابن نباتة:

مَنْ مُبْلِغُ الْعُرْبِ عَنْ شِعْرِي، وَدَوْلَتِهِ ❋ أَنَّ ابْنَ عَبَّادٍ بَاقٍ، وَابْنَ زَيْدُونَا
حَبَّرْتُهَا فِيهِ زَهْرَاءُ الْمَعَاطِفِ مِنْ ❋ أَعْلَى وَأَنْفَسِ مَا يُهْدِي الْمُجِيدُونَا
إِذَا رَأَيْتَ قَوَافِيهَا، وَطَلْعَتَهُ ❋ فَقَدْ رَأَتْ مُقْلَتَاكَ الْبَحْرَ وَالنُّونَا

حيث ورد في البيت الأخير كلمتا (البحر والنونا) ولكل منهما معنيان ، فكلمة البحر لها معنى قريب، وهو الماء الغزير الواسع بين شاطئين بعيدين، وهو غير مراد، ولها معنى بعيد وهو البحر العروضي، وهذا المعنى البعيد هو المراد .

وكلمة النون لها معنيان قريب، وهو الحوت، وكلمة البحر من قبله تشير إليه، ولها معنى بعيد وهو حرف الهجاء المعروف، وهو المعنى المراد، وهو يشير إلى نونية ابن زيدون الشاعر المعروف في نونيته: (أضحى التنائي بعيدا عن تدانينا)، وقد رشح للمعنى البعيد ذكر ابن زيدون والقوافي، والتورية مجردة حيث لم يذكر معها ما يلائم المعنى القريب.

* * *

ملخص الدرس

التورية: هي لفظ له معنيان قريب ظاهر، لكنه غير مراد، وبعيد خفي، وهو المراد. ويشترط في التورية أن تكون هناك قرينة تشير إلى أن المعنى المراد هو البعيد.

أقسام التورية:

أ ـ مرشحة: ما ذكر معها ما يلائم المعنى القريب.

ب ـ مجردة: وهي التي لم يذكر معها ما يلائم المعنى القريب، سواء ذكر ما يلائم المعنى البعيد، أم لم يذكر.

* * *

إثراءات

لاحظ أن: التورية كثر ورودها بدءا من الشعر العباسي؛ لأنها تحتاج لثقافة فلسفية ظهرت في هذا العصر، لم يتثقف بها شعراء العصور السابقة.

لاحظ أن: التورية وردت في الشعر كثيرا، ولم ترد في القرآن والسنة على الرأي الراجح.

انتبه إلى أن: الاستعارة تشترك مع التورية في مصطلحين الترشيح والتجرد.

انتبه إلى أن: التورية من المحسنات المعنوية التي تحتاج لتأمل وفطنة في استخراجها.

مفاهيم: الترشيح في الاستعارة له مفهوم مختلف عن الترشيح في التورية.

مفاهيم: التجريد في الاستعارة له مفهوم مختلف عن التجريد في التورية.

❊ ❊ ❊

التدريبات

التدريب الأول: أشر بعلامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة(×) أمام العبارة الخطأ، فيما يأتي:

١- التورية: لفظ له معنيان قريب ظاهر، غير مراد، وبعيد خفي هو المراد. ( )

٢- لابد مع التورية من قرينة تشير إلى أن المراد هو البعيد. ( )

٣- التورية المرشحة: ما ذكر معها ما يلائم المعنى البعيد. ( )

٤- التورية فن من فنون البديع التي تعتمد على المخاتلة[١]. ( )

٥- التورية عمود من أعمدة المحسنات اللفظية. ( )

٦- التورية لا تحتاج لفطنة في إدراكها والوقوف على المراد منها. ( )

إجابة التدريب الأول:

١- (√). ٢- (√). ٣- (×). ٤- (√). ٥- (×). ٦- (×).

التدريب الثاني: بين ما في الأبيات الآتية من تورية

١ـ قال الشاعر:

فَدَيْتُكَ مِنْ مَلِكٍ يُكَاتِبُ عَبْدَهُ ❊ بِأَحْرُفِهِ اللاتِي حَوَتْهَا الْكَوَاكِبُ

مَلَكْتَ بِها رِقِّي فأنْحَلَنِي الْأَسَى ❊ فَهَا أنَا ذَا عَبْدٌ رَقِيقٌ مُكَاتِبُ

٢ـ قال الشاعر مخاطبا صلاح الدين الصفدي:

يَا صَلاحَ الْعُلا صَفَاء وِدَادِي ❊ لا تَرَى عَنْ أَبِي الصَّلاح بَدِيلا

فَدَعِ الْعُتْبَ إِنَّنِي لَسْتُ مِمَّنْ ❊ لَا يُراعُونَ فِي الْأَنَامِ خَلِيلا

٣ـ قال الشاعر:

أَبْيَاتُ شِعْرِكَ كَالْقُصُورِ ❊ وَلا قُصُورَ بِهَا يَعُوقُ

وَمِنَ الْعَجَائِبِ لَفْظُهَا ❊ حُرٌّ، وَمَعْنَاهَا رَقِيقُ

---

(١) المخاتلة: المخادعة.

٤ ـ قال ابن نباتة في من اسمه (عرفات):

أَطنَبُوا فِي عَرَفَات وَغَدَوْا ❊ يَتَعَاطُونَ لَهُ حُسْنَ الصِّفَاتِ
ثُمَّ قَالُوا لِي هَلْ وَافَقْتَنَا؟ ❊ قُلْتُ: عِنْدِي وَقْفَةٌ فِي عَرَفَاتِ

إجابة التدريب الثاني:

١ـ التورية في الشاهد الأول في لفظ (مُكَاتَب) وهو لفظ له معنيان: العبد المكاتب، وهو المعنى القريب غير المراد، والمعنى الثاني، وهو المكتوب إليه، وهو المعنى البعيد المراد، والتورية مرشحة؛ لأنه ذكر معها ما يلائم المعنى القريب، وهو قوله: (عبد) في البيت الأول، و(ملكت بها رقي، وعبد رقيق) في البيت الثاني، فكل ذلك يرشح المعنى القريب، لكنه غير مراد.

٢ـ التورية في الشاهد الثاني في لفظ (خليل) وهو له معنيان: الأول: الصديق الوفي، والثاني: اسم الشاعر، والأول: قريب غير مراد، والثاني: بعيد، وهو المراد، والتورية مرشحة، ذكر معها ما يلائم المعنى القريب، وهو صفاء الود، وكونه ممن لا يحفظون الوفاء لأخلائهم.

٣ـ التورية في الشاهد الثالث في لفظ (رقيق) وهو لفظ له معنيان: الأول: من الرق، والثاني: من الرق والعذوبة، والأول: معنى قريب غير مراد، والثاني: معنى بعيد مراد، والتورية مرشحة، حيث ذكر معها ما يلائم المعنى القريب، وهو كلمة: حر.

٤ـ التورية في الشاهد الرابع في لفظ (عرفات) في البيت الثاني، وهو لفظ له معنيان: الأول: الغلام الجميل، والثاني: الجبل المعروف بمكة، والأول: معنى قريب غير مراد، والثاني: معنى بعيد مراد، والتورية مرشحة، حيث ذكر معها ما يلائم المعنى القريب، وهو إطنابهم في وصف صفات الغلام الجميل (عرفات) في البيت الأول.

التدريب الثالث: عرف التورية، واذكر أقسامها مع التمثيل لما تذكر.

إجابة التدريب الثالث:

التورية عند علماء البلاغة: لفظ له معنيان قريب ظاهر، غير مراد، وبعيد خفي، هو المراد.

وللتورية قسمان : أ ـ مرشحة: وهي التي ذكر معها ما يلائم المعنى القريب.

وهو مثل قول ابن نباتة:

أَقُولُ، وَقَدْ شَنُّوا إِلَى الْحَرْبِ غَارَةً ⁂ دَعُونِي فَإِنِّي آكُلُ الْعَيْشَ بِالْجُبْنِ

فقد وردت كلمة (الجبن) ولها معنيان: قريب، وهو الطعام المصنوع من اللبن، ويرشح هذا المعنى القريب كلمة (آكلُ) التي تناسبه ، وهذا المعنى غير مراد، بل المراد المعنى البعيد المتواري خلف هذا المعنى القريب، وهو الجبن الذي يقابل الشجاعة.

ب ـ مجردة: وهي التي لم يذكر معها ما يلائم المعنى القريب، سواء ذكر ما يلائم المعنى البعيد، أم لم يذكر. من ذلك قول ابن نباتة:

مَنْ مُبْلِغُ الْعُرْبَ عَنْ شِعْرِي، وَدَوْلَتِهِ ⁂ أَنَّ ابْنَ عَبَّادٍ بَاقٍ، وَابْنَ زَيْدُونَا

حَبَّرْتَهَا فِيهِ زَهْرَاءُ الْمَعَاطِفِ مَنْ ⁂ أَعْلَى وَأَنْفَسِ مَا يهْدِي الْمُجِيدُونَا

إِذَا رَأَيْتَ قَوَافِيهَا، وَطَلْعَتَهُ ⁂ فَقَدْ رَأَتْ مُقْلَتَاكَ الْبَحْرَ والنُّونَا

حيث ورد في البيت الأخير كلمتا (البحر والنونا) ولكل منهما معنيان ، فكلمة البحر لها معنى قريب، وهو الماء الغزير الواسع بين شاطئين بعيدين، وهو غير مراد، ولها معنى بعيد وهو البحر العروضي، وهذا المعنى البعيد هو المراد .

وكلمة النون لها معنيان قريب، وهو الحوت، وكلمة البحر من قبله تشير إليه، ولها معنى بعيد، وهو حرف الهجاء المعروف، وهو المعنى المراد، وهو يشير إلى نونية ابن زيدون الشاعر المعروف في نونيته: (أضحى التنائي بعيدا عن تدانينا)، وقد رشح للمعنى البعيد ذكر ابن زيدون والقوافي، والتورية مجردة حيث لم يذكر معها ما يلائم المعنى القريب.

❊❊❊

الدرس السادس

المبالغة

أهداف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يعرف المقصود بالمبالغة.

٢ـ يفرق بين صور المبالغة.

٣ـ يحدد الحالات التى يكون الغلو فيها مقبولا.

وصف الدرس سنتناول في هذا الدرس تعريف المبالغة، والغرض منها، وأنواعها، وتعريف كل نوع ، وأقسام الغلو، وتبيان متى يتحول الغلو إلى مبالغة مقبولة.

شرح الدرس

تعريف المبالغة عند البلاغيين:

أن يدعي الشاعر، أو الناثر لوصف من الأوصاف (أي: معنى من المعاني) بلوغه في الشدة أو الضعف حدا مستحيلا، أو مستبعدا؛ دفعا لتوهم أن هذا الوصف غير متناه في الشدة، أو الضعف.

والمراد بالأمر المستحيل:

الأمر الذي لا يمكن حدوثه مطلقا على أيدي البشر العاديين، والمراد بالأمر المستبعد: الأمر النادر القليل الوقوع.

الغرض من المبالغة:

يلجأ الشاعر أو الناثر للمبالغة ؛ لكي يرفع الظن والتوهم عن المخاطب أن الوصف المدّعى فيه لم يبلغ من الشدة أو الضعف مبلغا كبيرا.

أنواع المبالغة :

تنحصر صور المبالغة في ثلاثة أنواع:

١ـ التبليغ: وهو ما كان الوصف المدعى فيه ممكنا عقلا، وعادة.

مثل قول امرئ القيس في وصف حصانه:

فَعَادَى عِدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ ** دِرَاكًا وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ (١)

يقول: إن هذا الفرس جرى لمسافة طويلة وراء ثور ونعجة فأدركهما، وهو مع تلك السرعة في العدوِ وشدَّةِ الجرْي لم يتساقط منه العرق، فلم يحتج إلى أن يغسله صاحبه بالماء، وهذا الوصف المدعى هنا أمر نادر، ولكنه ممكن عقلا وعادة.

ومثله قول أبي الطيب المتنبي:

وَأَصْرَعُ أَيَّ الْوَحْش قفَّيْتُه بِه ** وأَنزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ (٢)

يقول إنَّ حصانَه قويٌّ جدًّا، وهو يُدْرِك به جميعَ أنواع الصيد الوحشي، فيصْرعُها ويطرَحُها أرضًا، ويظل الفرس مع ذلك في أَوْجِ نشَاطِه وقوَّتِه، محتفِظًا برشَاقتِه وحيَوِيَّتِه التي كان عليها قبل أن يركَبَهُ فارسُه، وهذا أمر ليس ببعيد، بل هو ممكن عقلا وعادة .

٢ـ الإغراق: وهو ما كان الوصف المدعى فيه ممكنا عقلا ، وليس ممكنا عادة.

من ذلك قول عمرو بن الأهتم التغلبي:

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا ** وَنُتْبِعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ مَالا

يصف الشاعر نفسه، وقومه بإكرام الجار حين يكون بينهم، وإن رحل عنهم إلى غيرهم، أرسلوا إليه العطايا كذلك، وإكرام الجار في حالة حلّه، أو ترحاله، هو أمر ممكن عقلا، وإن كان غير ممكن في العادة.

ومثله أيضا قول امرئ القيس:

تنوَّرْتهَا مِن أَذْرِعَاتٍ وَأَهْلُهَا ** بِيَثْرِبَ أَدْنَى دَارِهَا نظَرٌ عَالِ (٣)

(١) عَادَى: جرى جريا مسرعا، عِداءً: من العدْوِ وهو الجري الشديد، الثور: ذكر البقر الوحشي. النعجة: أنثى البقرة الوحشية. دِراكًا: لِحَاقًا. ينضح: يَعْرَق أو يتصبَّب منه العَرَق. يُغْسَل: يُرَشُّ عليه الماءُ بسبب العَرَق.

(٢) أصرع : أغلب. الوحش : الحيوانات البرية المتوحشة في الصحراء. قَفَّيْتُه به: أَتْبَعْتُه.

(٣) تنورتها: أَبْصَرْتُ نارَها. أذرعات: بلد في بلاد الشام. يثرب: المدينة المنورة.

يقول: إنه أبصر نار محبوبته وهو في أذرعات في الشام ، وهي في يثرب في الحجاز ، وهو أمر ممكن عقلا، وإن كان غير ممكن في العادة.

ومثله ـ أيضا ـ قول امرئ القيس:

مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ ❊ مِنَ الذَّرِّ فَوْقَ الإِتْبِ مِنْهَا لأَثَّرا[١]

يصف امرأة برقة جسدها ونعومة جلدها لدرجة أن أي نملة صغيرة لو مرت فوق قميصها لأثرت على جلدها ، وهذا أمر ممكن عقلا ، ولكنه غير ممكن عادة.

ومثله أيضا قول المتنبي:

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولًا أَنَّنِي رَجُلٌ ❊ لَوْلا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرَنِي

يعني: أن جسمه بلغ من الضعف والهزَال مَبْلَغًا كبيرًا جدًّا لو لا كلامه مع مَن يخاطبُه لم يرَه من شدة ضعفه وهزَاله، وهذا أمر ممكن عقلًا ، ولكنه غير ممكن عادةً.

س: ما الفرق بين التبليغ والإغراق؟

ج: التبليغ يكون الوصف المدعى فيه ممكنا عقلا وعادة، أما الإغراق، فالوصف المدعى فيه يكون ممكنا عقلا، وغير ممكن عادة.

٣ـ الغلو: وهو ما كان الوصف المدعى فيه غير ممكن عقلا وعادة.

وينقسم قسمين: غلو غير مقبول، وغلو مقبول.

ومن غير المقبول قول أبي نواس:

وَأَخَفْتَ أَهْلَ الشِّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ ❊ لَتَخَافُكَ النُّطَفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ[٢].

يمدح الشاعر الخليفة، فيقول في الشطر الأول: إن أهل الشرك يخافون من الخليفة، حيث دخل الرعب منه في قلوبهم، واستولى على نفوسهم ، وهذا أمر ممكن عقلا وعادة، ولكنه في بقية البيت أتى بمعنى فيه غلو مردود مرفوض، حيث ادعى أن النطف التي لم تخلق، ولم تر الحياة بعد تخاف ـ أيضا ـ من الممدوح، فالخوف منه تسرب إلى النطف التي لم تخلق فأقلقها، وخوف النطف غير ممكن عقلا، وغير ممكن عادة ؛ لأن شرط الخوف الحياة.

(١) مُحْوِلٌ: الصغير الذي أتى عليه الحول. الذر: النمل. الإتْب: القميص بلا كُمَّين. القاصرات الطرف: المحببات إلى أزواجهن المنَعَّمات العفيفات.

(٢) النُطَف: جمع نطفة وهي منِيُّ الرجل. أهل الشِّرك: أهلُ الكفر.

ومنه ـ أيضا ـ قول محمد بن هانئ الأندلسي يمدح الخليفةَ الفاطمي الحاكم بأمر الله:

مَا شِئْتَ لا مَا شَاءَتِ الأَقْدَارُ *** فَاحْكُمْ فَأَنْتَ الْوَاحِدُ القَهَّارُ

فإن في هذا البيت غلوا مردودا ومرفوضا ؛ لأنه وصل حد الكفر بالله، حيث خلع الشاعر على ممدوحه صفات الألوهية الحقة التي لا تكون إلا للمولى سبحانه وتعالى.

س: متى يكون الغلو مقبولا ؟

ج: يكون الغلو مقبولا في ثلاث حالات:

أ ـ إذا دخل عليه بعض الألفاظ التي تقربه إلى الصحة، وإمكان الوقوع مثل (يكاد)، و(لو)، و(لولا)...إلخ، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور:٣٥]، فإن إضاءة الزيت بنفسه بدون إشعال النار، يعد أمرًا مستحيلا عقلا، وعادة، ولكن الإتيان بالفعل (يكاد) وهو من أفعال المقاربة جعل المعنى يخرج من حد الامتناع إلى إمكان الوقوع، فالذي جعل الغلو مقبولا هو (كاد) التي تدل على القرب، وقرب المحال من الوقوع هو قرب من الصحة.

ومن ذلك قول ابن حمديس الصقلي يصف فرسا:

وَيَكَادُ يَخْرُجُ سُرْعَةً مِنْ ظِلِّهِ *** لَوْ كَانَ يَرْغَبُ فِي فِرَاقِ رَفِيقِ

فإن خروج الفرس عن ظله من شدة سرعته أمرٌ ممتنعٌ عقلًا وعادةً، ولكن الشاعر قرَّبه من الصِّحة، وأدْنَاه من إمكانية الوقوع حين أَدْخلَ الفعل (يكاد) على هذا المعنى.

ب ـ إذا تضمن نوعا من حسن التخييل.

مثل قول المتنبي:

عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عِثْيَرًا *** لَوْ تَبْتَغِي عَنَقًا عَلَيْهِ لأَمْكَنَا

يقول: إن سنابك الخيل من شدة وقعها على الأرض كونت طبقة كثيفة من الغبار أعلاها ، ولو طلب من الخيل أن تسير عليها لتمكنت من ذلك لكثافة هذا الغبار حتى صار مثل الأرض، وهذا أمر غير ممكن عقلا وعادة ، ولكنه لما خيله إلى السامع قربه إلى الصحة والإمكان.

ومثله ـ أيضًا ـ قول القاضي الأرجاني:

يُخَيَّلُ لِي أَنْ سُمِّرَ الشُّهْبُ فِي الدُّجَى *** وَشُدَّتْ بِأَهْدَابِ إِلَيْهِنَّ أَجْفَانِي

حيث تخيل الشاعر أن الشهب قد شدت بمسامير في ظلام الليل، فهي لا تتحرك، ثم شدت أجفانه بأهدابه إلى هذه الشهب، فأجفانه لا تغتمض، ولا تتحرك ـ أيضا ـ، وهذا المعنى أمر ممتنع عقلًا وعادةً، ولكن الشاعر حوَّل الغلوّ المذموم إلى الغلوّ المقبول بسببين: الأول: أنه تضمن تخييلا حسنا، والثاني: تصريحه بلفظ التخيّل الذي يقربه من الصحة.

ج ـ إذا خرج مخرج الهزل والخلاعة والفكاهة.

من ذلك قول الشاعر:

أَسْكَرُ بِالأَمْسِ إِنْ عَزَمْتُ عَلَى الـ ٭٭ شُّرْبِ غَدًا إِنَّ ذَا مِنَ الْعَجَبِ

يقول: إنه يسكر بالأمس إذا عقد النية على شرب الخمر في الغد، وهذا أمر ممتنع عقلًا وعادةً، ولكنه انتقلَ من الغلوّ المذموم إلى الغلو المقبول بسبب أنه ورد في مقام الهزْل والخُلَاعَة والفُكَاهة.

❊ ❊ ❊

ملخص الدرس

المبالغة: هي أن يدعي الشاعر، أو الناثر لوصف ما بلوغه في الضعف، أو الشدة حدا مستحيلا، أو مستبعدا؛ وذلك دفعا لتوهم أنه غير متناه في الشدة، أو الضعف.

صور المبالغة ثلاثة:

١ـ التبليغ: وهو ما كان الوصف المدعى فيه ممكنا عقلا،وعادة.

٢ـ الإغراق: وهو ما كان الوصف المدعى فيه ممكنا عقلا غير ممكن عادة.

٣ـ الغلو: وهو ما كان الوصف المدعى فيه غير ممكن عقلا، ولاعادة.

يكون الغلو مقبولا في ثلاث حالات:

أ ـ إذا دخل عليه ما يقربه إلى الصحة وإمكان الوقوع مثل: لفظ «يكاد، لو، لولا ... إلخ».

ب ـ إذا تضمن نوعا من حسن التخييل.

ج ـ إذا خرج مخرج الهزل والخلاعة والفكاهة.

إثراءات

لاحظ أن: المبالغة على قسمين مبالغة ممجوجة مرذولة، ومبالغة مستحبة مقبولة.

لاحظ أن: المبالغة المرذولة تتمثل في الغلو غير المقبول الذي يتجاوز فيه الشاعر حدوده عن الذات الإلهية، وكل ما يتصل بالعقيدة الإسلامية.

انتبه إلى أن: التبليغ والإغراق يعدان من صور المبالغة المقبولة، أما الغلو، فهو من صور المبالغة المرذولة المردودة.

انتبه إلى أن: الغلو المرذول قد يتحول لغلو مقبول إذا قربه الشاعر من الصحة، أو ضمنه تخييلا حسنا، أو أخرجه مخرج الهزل والخلاعة.

مفاهيم: المبالغة المقصودة هنا هي من أنواع المحسنات المعنوية لا اللفظية.

مفاهيم: المبالغة من المصطلحات الدائرة في كتب البلاغة بمعان مختلفة في علومها الثلاثة على حسب طبيعة كل علم ترد فيه.

❊ ❊ ❊

التدريبات

التدريب الأول: أشر بعلامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة(×) أمام العبارة الخطأ، فيما يأتي:

١- المبالغة من المحسنات المعنوية واللفظية. ( )

٢- المبالغة لها مفهوم واسع، ولكنها هنا لها معنى محدد. ( )

٣- المبالغة من أعمدة علم المعاني والبيان والبديع. ( )

٤- التبليغ : وهو ما كان الوصف المدعى فيه ممكنا عقلا، وعادة. ( )

٥- الغلو: وهو ما كان الوصف المدعى فيه ممكنا عقلا، لاعادة. ( )

٦- الإغراق: وهو ما كان الوصف المدعى فيه غير ممكن عقلا غير ممكن عادة ( )

٧- يكون الغلو مقبولا إذا لم يتضمن نوعا من حسن التخييل. ( )

٨- يكون الغلو مقبولا إذا دخل عليه ما يقربه على الصحة. ( )

إجابة التدريب الأول

١- (×). ٢- (√). ٣- (×). ٤- (√).

٥- (×). ٦- (×). ٧- (×). ٨- (√).

التدريب الثاني: وضح ما في الشعر الآتي من غلو، وبين المقبول منه، وغير المقبول:

١ـ قال الشاعر:

عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عِثْيَرًا ⁂ لَوْ تَبْتَغِي عَنَقًا عَلَيْهِ لَأَمْكَنَا

٢ـ قال الشاعر:

وَكَفْكَفْتُ دَمْعًا لَوْ أَسَلْتُ شُئُونَهُ ⁂ عَلَى الْأَرْضِ مَا شَكَّ امْرُؤٌ أَنَّه الْبَحْرُ

٣ـ قال الشاعر:

لَطِيفَةُ مَجْرَى الرُوحِ لَوْ أَنَّهَا مَشَتْ ⁂ عَلَى سَارِيَاتِ الدَّهْرِ مَا آداهُ الْحَمْلُ

٤ـ قال الشاعر:

الطِّيبُ أَنْـتَ إِذَا أَصَابَكَ طِيبُـــه ** وَالْمَاءُ أَنْتَ إِذَا اغْتَسَـلْتَ الْغَاسِـلُ

إجابة التدريب الثاني

١ـ يصف المتنبي الخيول بالقوة، وأن مقدم حوافرها أثار غبار الأرض، فتطاير فوقها، وتكاثر، واشتد تكاثفه، وكأنه صنع جسرا لو أرادت تلك الخيول أن تعبر فوقه مسرعة لصنعت، وكل ذلك مستحيل عقلا، وعادة، ولكن الذي جعله مقبولا هو ذلك التخيل الذي يدعى فيه كثرة الغبار في الجو، كثرة توهم الرائي أنه الطريق الممهد، وأن الخيل تستطيع السير فوقه مسرعة.

٢ـ يقول الشاعر معبرا عن شدة حزنه وأنه يكفكف دموعه عن انسيالها، وأن هذه الدموع من كثرتها لو أسيلت على الأرض، لتلاطمت أمواجها، وما شك أحد أنها البحر، وذلك غير ممكن عقلا، ولاعادة، ولكن وجود(لو) جعله مقبولا.

٣ـ يقول الشاعر : إن جسمها رق ولطف، حتى لو أنها مشت على ولد النمل ما أثقله حملها، وهذا أمر غير ممكن عقلا ولا عادة، ولكن دخول (لو) جعله مقبولا.

٤ـ يقول الشاعر: أنت طِيبٌ للطيب إذا أصابَك، وأنت تَغْسِلُ الماء إذا غسلت به، وهذا أمر غير ممكن عقلا، ولا عادة، ولم يذكر الشاعر ما يجعله مقبولا، فهو من الغلو المذموم غير المقبول.

التدريب الثالث: بين الفرق بين: التبليغ، والإغراق، والغلو مع التمثيل.

التدريب الرابع : بَيِّنْ متى يتحول الغلو المرذول إلى مقبول مع التمثيل.

إجابة التدريب الرابع:

يتحول الغلو المرذول إلى مقبول في ثلاث حالات:

١ـ إذا دخل عليه بعض الألفاظ التي تقربه إلى الصحة، وإمكان الوقوع مثل (يكاد)، و(لو)، و(لولا) إلخ، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور من: ٣٥]، فإن إضاءة الزيت بنفسه بدون إشعال النار يعد أمرًا مستحيلا عقلا، وعادة، ولكن الإتيان بالفعل (يكاد) وهو من أفعال المقاربة جعل المعنى يخرج من حد الامتناع إلى إمكان الوقوع.

٢ـ إذا تضمن نوعا من حسن التخييل مثل قول القاضي الأرجاني:

يُخَيَّلُ لِي أنْ سُمِّرَ الشُّهْبُ فِي الدُّجى ⁂ وَشُـدَّتْ بِأَهْـدَابٍ إِلَيْهِـنَّ أَجْفَانِي

حيث تخيل الشاعر أن الشهب قد شدت بمسامير في ظلام الليل، فهي لا تتحرك، ثم شدت أجفانه بأهدابه إلى هذه الشهب، فأجفانه لاتغتمض، ولاتتحرك أيضا، وهذا المعنى أمر ممتنع عقلًا وعادةً، ولكن الشاعر حوَّل الغلوَّ المذموم إلى الغلوّ المقبول بسببين: الأول: أنه تضمن تخييلا حسنا، والثاني : تصريحه بلفظ التخيّل الذي يقربه من الصحة.

٣ـ إذا خرج مخرج الهزل والخلاعة والفكاهة.

من ذلك قول الشاعر:

أَسْـكَرُ بِالأَمْسِ إِنْ عَزَمْتُ عَلَى الـ ⁂ شُّرْبِ غَـدًا إِنَّ ذَا مِـنَ الْعَجَـبِ

يقول: إنه يسكر بالأمس إذا عقد النية على شرب الخمر في الغد ، وهذا أمر ممتنع عقلًا وعادةً، ولكنه انتقلَ من الغلوّ المذموم إلى الغلو المقبول، بسبب أنه ورد في مقام الهزْل والخُلَاعَة والفُكَاهة.

❊ ❊ ❊

الدرس السابع

حسن التعليل

أهداف الدرس:

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ـ يعرف حسن التعليل.

٢ـ يوازن بين صور حسن التعليل.

٣ـ يأتى بأمثلة لأقسام الوصف الثابت.

٤ـ يأتى بأمثلة لأقسام الوصف غير الثابت.

وصف الدرس : يتناول هذا الدرس مفهوم حسن التعليل، وصوره المختلفة، ووجه بلاغته .

شرح الدرس

تعريف حسن التعليل عند البلاغيين: هو أن يدعي الشاعر، أو الناثر لوصف ما علة مناسبة له غير حقيقية، فيها اعتبارات لطيفة يزيد بها المعنى المراد دقة وجمالا .

صور حسن التعليل

اعلموا ـ أبنائي الطلاب والطالبات ـ أن هذا الوصف الذي تُدَّعَى له العلة يأتي على صورتين:

الأولى: أن يكون الوصف ثابتا ، والمقصود بيان علته.

الثانية: أن يكون الوصف غير ثابت ، والمراد إثباته.

أولا : الوصف الثابت

من يتأمل مليا في أمثلة الوصف الثابت الآتية، يلحظ أن هذا الوصف الثابت ينقسم قسمين:

أ ـ وصفٌ ثابتٌ لا يظهر له في العادة علة.

مثل قول أبي هلال العسكري:

زَعَـمَ الْبَنَفْسِـجُ أَنَّـه كَعِـذَارِهِ ❊ حُسـنًا فَسَـلُّوا مِـنْ قَفَاهُ لِسَـانَهُ

فزهرة البنفسج تتميز بوجود نبتة زائدة خلفها، وخروجُ ورقةِ البنفسجِ إلى الخلفِ لا علَّة له في العادة، لكن الشاعر ادَّعى أنَّ علَّته هي عقاب وتأديب وقع على زهرة البنفسج حين زعم أن حسنه كحسن المحبوب، فعاقبوه بأن انتزعوا لسانه من قفاه، وكل هذا لا شك على سبيل التخييل.

ومثل قول المتنبي يمدح «هارون بن عبد العزيز»:

لَمْ تَحْكِ نَائِلَكَ السَّحَابُ وإِنَّما ❊ حُمَّـتْ بِـهِ فَصَبِيبُهَـا الرُّحَضَـاءُ[1].

يقول المتنبي مخاطبا ممدوحه: إن السحاب لا يشابهك في العطاء، وإنه يئس أن يكون مثلك في عطائك، فليست كثرة أمطاره؛ لمحاولته مشابهتك، وإنما أصابته الحمى حين شهد عطاياك، فمطره هو الرحضاء (عرق الحمى) ليأسه من المشابهة.

ونزول المطر (ليس له في العادة علة محددة)[2]، وقد حاول الشاعر أن يستخرج لنا علة مناسبة غير حقيقية، وهي أن المطر النازل من السحاب هو عرق الحمى الذي أصاب السحاب من شدة حسده للممدوح وغيرته منه، وهذه العلة المدعاة فيها لطف وجمال.

ومثل قول أبي تمام :

لاتُنْكِري عَطَلَ الكريمِ مِنَ الغِنَى ❊ فَالسَّيلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي[3]

حيث استخرج أبو تمام علة مناسبة غير حقيقية لظاهرة فقر الكرماء بهذه الصورة القياسية، فالسيل لا يستقر، ولا يقيم في المكان العالي كالجبال، وكذلك الكريم في اتصافه بعلو القدر، يشبه المكان العالي، فلا يستقر لديه المال، وهذه العلة غير الحقيقية التي استخرجها أبو تمام بذلك القياس فيها لطف وجمال.

ب ـ وصف ثابت له علَّة لكنها علة غير المذكورة في الكلام.

فالأديب في هذا القسم يستبعد صراحةً أو ضمنًا هذه العلَّة المعروفة، ويأتي بعلَّةٍ أدبيّةٍ طريفةٍ مُسْتَملَحة تناسب الغرض الذي يقصد إليه.

(١) الصَّبيبُ: ما ينصبُّ من ماءٍ وغيره. الرُّحَضَاءُ: الْعَرَقُ الكثير، والْعَرَقُ النازل إثْرَ الْـحُمَّى.

(٢) لا شك أن لنزول المطر علة علمية معروفة ، ولكنها غير ملحوظة على حسب العادة عند الناس.

(٣) عَطَلَ الكريم مِنَ الغِنَى، أي: خُلوّ الكريم من الغنى، يقال: عَطِلَ يَعْطَلُ عَطَلاً، إذا خلا.

مثل قول المتنبي من قصيدة يمدح بها بَدْرَ بن عمّار:

مَـا بِـهِ قَتْـلُ أَعَادِيـهِ وَلَكِـنْ ** يَتَّقِي إِخْلاَفَ مَا تَرْجُو الذِّئَابُ

فقتلُ الملوكِ أعداءَهم في العادةِ له علة ظاهرة، وهي إرَادَةُ هلاكِهِم ودفع مضارِّهم عنْ أنفسِهِم، حتى يصفوَ لهم ملكهُم من منازعتِهِم، ولكن المتنبي رفض هذا الوصف الثابت ذي العلة الظاهرة، وقال: ليس بالممدوح غيظ أو خوف أوجب قتل أعاديه ليشفي غيظه،أو يريح نفسه من ترقبهم، ولكن الذي دفعه إلى قتلهم هو خوفه من أن يخلف ما ترجوه الذئاب من أكل لحومهم حينما يقتلهم، والصفة المعللة هي قتل الأعادي، والعلة الظاهرة للقتل هي دفع المضرة، ولكن الشاعر أتى بعلة أخرى، وهي أن طبيعة الكرم ملازمة له، فالعلة الباعثة للقتل حبه لصدق رجاء الآملين، ومنهم الذئاب التي عودها إطعام لحوم الأعداء، فهو يتقي بالقتل إخلاف رجائها فيه، لقد بالَغَ، فتخيَّلَ، فادَّعَى هذِه الدَّعْوى، لَكنَّهَا تشتَمِلُ عَلَى فكرةٍ جميلةٍ لا يلتقطها إلاَّ ذو حس مرهف وفطنة ولماحية.

ثانيا : الوصف غير الثابت

من ينعم النظر بدقة في أمثلة الوصف غير الثابت الآتية يلحظ كذلك أن هذا الوصف غير الثابت ينقسم قسمين:

أ ـ وصف غير ثابت يكون ممكن الوقوع.

مثل قول مسلم بن الوليد:

يَا وَاشِـيًا حَسُـنَتْ فِينَا إِسَـاءَتُهُ ** نَجَّى حِذَارُكَ إِنْسَـانِي مِنَ الْغَرَقِ(١)

فالوصف الذي ليس ثابتا هنا هو استحسان وشاية الواشي، فهذا الوصف مقطوع بنفيه، ولكنه وصف ممكن، ولما خالف الشاعر الناس في ادعائه الوقوع، ساق تعليلا يقتضي وقوعه في زعمه، ولو لم يقع، وهو أن حذاره من الواشي جَعَلَه يتّقِي مَكْرَهُ وكَيْده، فَحَمَى بِذلِكَ إنسانَ عَيْنِه مِن الغرَقِ في الدَّمْع، الذي تُسبِّبُه غَفْلَتُه وعَدَمُ حَذَرِه من مَكْرِهِ وَكَيْدِهِ لو أنَّه لم يطَّلع على وِشاياته، ويَعْرِفْ عداوته له، فنجاة إنسان عينه من الغرق علة لاستحسان إساءة الواشي غير مطابقة للواقع.

ب ـ وصف غير ثابت ، ليس ممكن الوقوع.

---

(١) الواشي: الساعي بين الناس بالكلام المفسد للعلاقات الطيبة. إنساني: إنسان العين وهو سوادها، والمراد حبة العين.

ومنه قول الشاعر مادحا:

لَوْ لَمْ تَكُنْ نِيَّةُ الْـجَوْزَاءِ خِدْمَتَهُ ※ لَـمَـا رَأَيْـتَ عَلَيْهـا عِقْـدَ مُنْتَطِقِ [١]

يقول الشاعر: إن الجوزاء لو لم تكن عازمة على خدمة الممدوح لما رأيت عليها نطاقا شدت به وسطها، فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ممكنة الوقوع قصد إثباتها له ؛ لأن النية بمعنى العزم، وذلك يكون فيمن له إدراك ، والجوزاء لا إدراك لها، والعلة المناسبة كونها منتطقة (أي: شادة النطاق في وسطها) ، فالانتطاق دليل على كون الجوزاء عازمة على خدمة الممدوح. وهو ادعاءٌ لا أصل له، وهو غير ممكن في الواقع، لكنّه لطيف مُسْتَمْلَح.

※ ※ ※

ملخص الدرس

حسن التعليل : هو أن يدعي الشاعر، أو الناثر لوصف ما علة مناسبة له غير حقيقية، إلا أن فيها اعتبارات لطيفة وجميلة.

وهذا الوصف نوعان: وصف ثابت، ووصف غير ثابت

١ـ الوصف الثابت، له صورتان :

أـ قد تظهر له علة غير العلة المدعاة المذكورة.

ب ـ وقد لا تظهر له في العادة علة.

٢ـ الوصف غير الثابت وله صورتان:

أ ـ قد يكون ممكنا.

ب ـ وقد يكون غير ممكن.

※ ※ ※

(١) الانتطاق: شدُّ الوسَطِ بالمِنْطَقَة. والمِنْطَقَةُ ما يُشَدُّ به الوسط كالحزام وغيره .الجوزاء: بُرْجٌ من بروج السّماء يوجد حولها كواكب تُشْبهُ المنطقة، شَبَّهها الشاعر بالْعِقْدِ المنظوم من اللّؤلؤ.

إثراءات

لاحـــظ أن: حسن التعليل من الألوان البديعية التي تحتاج في استخراجها إلى رهافة حس، وفطنة ولماحية في استخراج السبب المؤثر المقنع.

انتبه إلى أن: حسن التعليل كما يحتاج من الشاعر للطف ورهافة حس في التقاط العلة المدعاة، يحتاج من المخاطب كذلك إلى تلطف في استخراجه .

مفـــاهيم: حسن التعليل من الفنون التي تقيس مقدرة الشاعر أو الناثر على ابتكار المعاني.

❋ ❋ ❋

التدريبات

التدريب الأول: أشر بعلامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة(×) أمام العبارة الخطأ، فيما يأتي:

١- حسن التعليل: هو أن يدعي الشاعر أو الناثر لوصف ما علة مناسبة له حقيقية ليست فيها اعتبارات جميلة. (   )

٢- حسن التعليل يقيس قدرة الشعراء على مدى الابتكار . (   )

٣- حسن التعليل من أعمدة علم المعاني والبيان. (   )

٤- حسن التعليل ورد في القرآن الكريم. (   )

٥- حسن التعليل له صور ممكنة وغير ممكنة. (   )

٦- حسن التعليل من الفنون الخلابة التي تدل على المقدرة. (   )

٧- حسن التعليل من أركان البديع المعنوي. (   )

٨- حسن التعليل كثر في الشعر العباسي. (   )

إجابة التدريب الأول

١- (×). ٢- (√). ٣- (×). ٤- (×).

٥- (√). ٦- (√). ٧- (√). ٨- (√).

التدريب الثاني: وضح ما في الشعر الآتي من صور حسن التعليل، وبين الممكن منه، وغير الممكن:

١ـ قال الشاعر:

بَكَتْ فَقْدَكَ الدُّنْيا قَدِيمًا بِدَمْعِها ⁂ فَكَانَ لَهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ طُوفَانُ

٢ـ قال الشاعر:

لاتُنْكِــرُوا خَفقَــانَ قَلْبــي ⁂ وَالْحَبِيــبُ لَــديَّ حَــاضِرُ

مَــــا الْقَــلْـــبُ إِلَّا دَارُهُ ⁂ ضُرِبَــتْ لَــهُ فِيهــا الْبَشَــائِرُ

٣ـ وقال المعرّي في الرّثاء:

وَمـا كُلْفَـةُ البَـدْرِ المُنـيرِ قَدِيمَةً ❊ ولكِنَّهَـا فِي وَجْهِـهِ أَثَـرُ اللَّطْـمِ

٤ـ وقال أبو تمّام:

رُبىً شَفَعَتْ رِيحُ الصَّبَا لِرِيَاضِهَا ❊ إِلَى المُزْنِ حَتَّى جادَها وَهْوَ هَامِعُ

كَأَنَّ السَّحابَ الْغُرَّ غَيَّبْنَ تَحْتَهَا ❊ حَبِيبًـا فَـمَا تَرْقَـا لَهُـنَّ مَدَامِـعُ

٥ـ وقال ابن الرومي في المدح:

أَمَّا ذُكَاءُ فَلَمْ تَصْفَرَّ إِذْ جَنَحَتْ ❊ طَبْعًا وَلَكِنْ تَعَدَّاكُمْ مِنَ الخَجَلِ

ذُكَاءُ: اسم من أسماء الشمس. إذ جَنحت: أي إذْ جنحت للمغيب. تعَدَّاكم: أي: تتَعَدّاكم بمعنى تتجاوزكم

٦ـ وقال أحد الشعراء:

سَبَقَتْ إِلَيْكَ مِنَ الْحَدَائِقِ وَرْدَةٌ ❊ وأَتَتْـكَ قَبْـلَ أَوَانِهَـا تَطْفِيـلاً

طَمِعَتْ بِلَثْمِكَ إِذْ رَأَتْكَ فَجَمَّعَتْ ❊ فَمَهَـا إِلَيْـكَ كَطَالِـبٍ تَقْبِيـلاً

فهو يدّعي أن زِرّ الورد الذي لم يكتمل تفتُّحه قد جَمَّعَ فَمَه طالباً التقبيل.

٧ ـ قال الشاعر:

تَجَاسَرَ عُودُ اللَّهْوِ يُشْبِهُ صَوْتَها ❊ فَمِنْ أَجْلِ هَذَا أَصْبَحَ الْعُودُ يُضْرَبُ

إجابة التدريب الثاني

١ـ في البيت الأول يقول الشاعر: إن هذا الطوفان الذي فتح الله له أبواب السماء، وفجر له الأرض عيونا جاء شديدا الانهمار؛ ليهلك به الخارجين على دعوة نوح عليه السلام، وقد جعل الشاعر لهذا الطوفان علة أخرى غير المذكورة تناسب موضوع قصيدة الرثاء، حيث جعل الطوفان دموعا قديمة للدنيا، بكت بها مقدما فقد ذلك العزيز، وهو أمر غير ممكن، وفي هذا إلى جانب حسن التعليل غلو.

٢ـ في البيت الثاني يقول الشاعر: إن خفقانَ القلب ودقاته أمر طبعي لكل حي، ولكن الشاعر ذكر لخفقان قلبه – والحبيب حاضر عنده – علة أخرى، وهي أن هذه الدقات دقات البشائر بحضور

الحبيب؛ لأن قلب الشاعر داره، وحق الدار التي عاد إليها صاحبها أن تدق له بشائر الفرح، وهذا أمر غير ممكن.

٣ـ في البيت الثالث يقصد الشاعر: أن الحزن على المرثي شمل كثيرا من مظاهر الكون، فهو لذلك يدّعى أن كلفة البدر (وهي ما يظهر على وجهه من كُدرة) ليست ناشئة عن سبب طبعي، وإنما هي حادثة من أثر اللطم على فراق المرثي، وهذا أمر غير ممكن.

٤ـ في البيت الرابع يرى الشاعر: أن سقوط المطر ليس هو نتيجة للأمر المعروف، بل ذاك راجع إلى بكاء السحاب على حبيب لها دُفِنَ تحتها، فهي تبكي حزنا ولوعة عليه ، وهذا أمر فيه حسن تعليل لسقوط المطر وهو غير ممكن .

٥ـ في البيت الخامس يخاطب الشاعر ممدوحه مبينا له السر الحقيقي في اصفرار ذُكَاءَ – وهي اسم من أسماء الشمس – عند غروبها حيث ادعى أن اصفرار الشمس عند المغيب قد حصل بسبب أنها خجلت من مفارقة وجه الممدوح ، فهي تتجاوزه خَجْلَى منه، وبذلك يستبعد الشاعر السبب الطبعى مع دوامه كلَّ مساء عند المغيب.

٦ـ في البيت السادس يوضح الشاعر أن العلة في أن زِرَّ الورد الذي لم يكتمل تفتُّحه قد جَمَّعَ فَمَه طالبا التقبيل، ليس هو العلة الحقيقية بل إن زر الورد فعل ذلك حين رأى ممدوحه، فطمع بلثمه إذ رآه، فجمع فمه طالبا تقبيله فرحا به لدخوله عليه في البستان وهذا أمر متخيل غير ممكن ؛ لأن العلة المذكورة ليست العلة الحقيقية وراء هذه الصورة التي يكون عليها زر الورد قبل أن يكتمل تفتحه.

٧ـ في البيت السابع يذكر الشاعر علة أخرى غير العلة التي يضرب من أجلها العود عند الغناء، وهي أن هذا العود تجاسر ذات مرة أن يقلد صوت المحبوبة ، لكنه لم يوفق فمن ثم صار يضرب تأديبا له على تجاسره.

التدريب الثالث : عرف حسن التعليل ، واذكر صوره التي يأتي عليها مع التمثيل.

* * *

الدرس الثامن
تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه

أهداف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ - يفرق بين ضربي تأكيد المدح بما يشبه الذم.

٢ - يأتي بأمثلة لضربي تأكيد المدح بما يشبه الذم.

٣- يفرق بين ضربي تأكيد الذم بما يشبه المدح.

٤ - يأتي بأمثلة لضربي تأكيد الذم بما يشبه المدح.

وصف الدرس: سنتناول في هذا الدرس صور تأكيد المدح بما يشبه الذم ، وصور تأكيد الذم بما يشبه المدح، وسر جماله.

أولا: تأكيد المدح بما يشبه الذم

وهذا النوع ضربان :

أـ أن يستثنى من صفة ذم منفية، صفةُ مدح على تقدير دخولها فيها.

كقول النابغة الذبياني:

وَلا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ** بِهِـنَّ فُلُولٌ مِـنْ قِـرَاعِ الْكَتَائِبِ[١]

أي: إن كان تكسُّر حَدِّ سيوفهم من مقارعة الجيوش عيبا؛ فلا عيب فيهم غير ذلك، ومن المعلوم أن ذلك ليس بعيب، بل هو من المناقب، فَذِكره على أنّه هو العيب الوحيد لهم يؤكّد الثناء عليهم أبلغ تأكيد؛ لأنه يتضمَّن مدحًا لهم بالشجاعة والإقدام.

ومن ذلك قول ابن الرومي يمدح:

لَيْسَ بِـهِ عَيْبٌ سِـوَى أَنَّـهُ ** لا تَـقَـعُ الْـعَـيْنُ عَـلَى مِثْلِهِ

---

(١) فُلُول: جَمْعُ فل : وهو ثَلْمٌ يُصِيبُ حدَّ السّيف من الضرب الشَّدِيدِ به. مِنْ قراع الكتائب: القِرَاع: التقاتل ضربًا بالسّيوف والرماح. الكتائب: الجيوش المحاربة.

ومنه قول صفي الدّين الحلّي:

لاَ عَيْبَ فِيهِمْ سِوَى أَنَّ النَّزِيلَ بِهِمْ ❊ يَسْلُو عَنِ الأَهْلِ والأَوْطَانِ والحُشَمِ[(١)]

وَسرُّ الجمال في هذا اللون البديعي أن تأكيد المدح فيه جاء من وجهين: أحدهما: أنه كدعوى الشيء ببينة، والثاني: أن الأصل في الاستثناء أن يكون متصلا، فإذا نطق المتكلم بإلا أو نحوها توهم السامع قبل أن ينطق بما بعدها أن ما يأتي بعدها مُخْرَجٌ مما قبلها، فيكون شيء من صفة الذم ثابتا، فإذا أتت بعدها صفة مدح على خلاف التوقع تأكد المدح؛ لكونه مدحا على مدح، وفي ذلك نوع من الخلابة والبراعة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾[الواقعة:٢٥، ٢٦]. فهذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم؛ لأن السلام ليس من جنس اللغو والتأثيم، فهو مدح لهم بإفشاء السلام، وهذا كقول القائل: لا ذنب لي إلا محبتك» .

ومن ذلك ـ أيضا ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[البروج:٨]، وهو تأكيد المدح بما يشبه الذم، كأنه يقول : ليس لهم جريمة إلا إيمانهم بالله، وهذا من أعظم المفاخر والمآثر.

ب ـ أن يثبت لشيء صفةُ مدح، ويؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى.

كقول النابغة الجعدي مادحا:

فَتَـى كَمُلَـتْ أَخْلاقُـهُ غـيْرَ أَنَّـهُ ❊ جَـوَادٌ فَـمَا يُبْقـي مِـنَ المَـالِ بَاقِيَـا

فقد أثبت له صفة هي كمال الأوصاف، وقد أتى بعد إثبات تلك الصفة بأداة استثناء (غير) جاءت بعدها صفة أخرى من جنس الصفة السابقة.

ومنه قول النبي ﷺ: «أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَب، بَيْدَ أَنِّي من قُرَيشٍ»، فكونُه من قريش يؤكّد أنّه صلوات الله عليه أفصح العرب.

ملحوظة: اعلم أن الاستدراك في هذا الباب يجري مجرى الاستثناء، كما في قول بديع الزمان الهمذاني يمدح «خلف بن أحمد السجستاني»:

هُـوَ الْبَـدْرُ إلاَ أَنَّـهُ البَحْـرُ زاخِـرًا ❊ سِـوَى أَنَّـه الضِّرْغـامُ لكنَّـهُ الوَبْـلُ[(٢)] .

(١) حَشَمُ الرَّجُل: خاصَّتُه الّذين يغضبون لغضبه ، ويرضون لرضاه ، ويدخل فيهم الأهل والعبيد والجِيرَة.
(٢) زاخر: ممتلئ طَامٍ. الضرغام: الأسد. الوَبْل: المطر الشديد.

فقد أكدّ المدح بأسلوب يُوهِمُ عند البدء به أنّه يريد أن يذكر له عيبا بعد أن شبّهه بالبدر، وقوله (لكنه الوبل) وضعت (لكن) هنا موضع (إلا) فأكدت المدح بما يشبه الذم.

ثانيا: تأكيد الذم بما يشبه المدح

وهو أيضا ضربان:

أ ـ أن يستثنى من صفة مدح منفية صفة ذم على تقدير دخولها فيها .

نحو: (فلان لاخير فيه إلا أنه يتصدق بما يسرق)، وكقولك: «فلان لا خير فيه إلا أنه يسيء إلى من يحسن إليه».

ونحو: (لا فضل للقوم إلا أنهم لا يعرفون للجار حقه).

ب ـ أن يثبت لشيء صفة ذم، ثم يؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى.

نحو: (فلان حسود إلا أنه نمام)، وكقولك: فلان فاسق إلا أنه جاهل ونحو: (الجاهل عدو نفسه إلا أنه صديق السفهاء).

وقول الشاعر:

هُـوَ الْكَلْـبُ إلا أَنَّ فِيــهِ مَلَالَـةً ❊ وَسُـوءَ مُرَاعَـاةٍ وَمَـا ذَاكَ فِي الْكَلبِ

❊ ❊ ❊

ملخص الدرس

أولاً : تأكيد المدح بما يشبه الذم: ضربان :

أ ـ أن يستثنى من صفة ذم منفية، صفةُ مدح على تقدير دخولها فيها.

ب ـ أن يثبت لشيء صفةُ مدح، ويؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى مستثناة من مثلها.

ثانيًا: تأكيد الذم بما يشبه المدح: ضربان :

أ ـ أن يستثنى من صفة مدح منفية صفة ذم على تقدير دخولها فيها.

ب ـ أن يثبت لشيء صفة ذم، ثم يؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى.

* * *

إثراءات

لاحـــظ أن : هذا اللون البديعي جاء في القرآن والسنة والشعر العربي.

انتبه إلى أن : هذ اللون يعد من المحسنات المعنوية الخلابة التي تستميل السامع، وتجذب انتباهه لتثبيت المعنى في نفسه، وتمكينه في فؤاده.

مفـــاهيم: تأكيد المدح بما يشبه الذم أكثر ورودا في الكلام العربي من تأكيد الذم بما يشبه المدح.

* * *

التدريبات

التدريب الأول: أشر بعلامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة(×) أمام العبارة الخاطئة، فيما يأتي:

١- تأكيد المدح بما يشبه الذم يعتمد على الخيال في إبرازه. ( )

٢- تأكيد المدح بما يشبه الذم من المحسنات الخلابة التى تستميل السامع. ( )

٣- تأكيد المدح بما يشبه الذم من أعمدة علم البديع. ( )

٤- تأكيد المدح بما يشبه الذم ورد في القرآن الكريم. ( )

٥- تأكيد الذم بما يشبه المدح له صورة واحدة. ( )

٦- تأكيد الذم بما يشبه المدح صنو لا يفترق عن تأكيد المدح بما يشبه الذم. ( )

٧- تأكيد المدح بما يشبه الذم من أركان البديع المعنوي. ( )

٨- تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه ورد في الشعر الجاهلي. ( )

٩- من صور تأكيد المدح بما يشبه الذم أن يستثنى من صفة مدح منفية صفة ذم على تقدير دخولها فيها. ( )

١٠- من صور تأكيد المدح بما يشبه الذم أن يثبت لشيء صفةُ مدح، ويؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى. ( )

إجابة التدريب الأول

١- (×). ٢- (√). ٣- (√). ٤- (√). ٥- (×).

٦- (×). ٧- (√). ٨- (√). ٩- (×). ١٠- (√).

التدريب الثاني: وضح اللون البديعي، وبين نوعه فيما يأتي :

١ـ قال الشاعر:

وَلا عَيْـبَ فِيـهِ غَـيْرَ أَنِّي قَصَدْتُـه ** فَأَنْسَـتْنِي الْأَيَّـامُ أَهْـلًا وَمَوْطِنَـا

٢ـ قال رسول الله ﷺ: «أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بَيْدَ أَنِّي مِنْ قُرَيْشٍ».

٣ـ قال تعالى: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾[الأعراف:١٢٦].

إجابة التدريب الثاني

١ـ في البيت الأول تأكيد المدح بما يشبه الذم، فقد نفى الشاعر عن نفسه صفة ذم عامة بنفي جميع العيوب، وذلك مدح، ثم استثنى من هذه الصفة المذمومة المنفية صفة مدح بتقدير دخولها فيها، وملحظ هذا التأكيد أنه يشبه دعوى أقيم عليها البرهان.

٢ـ في قوله ﷺ وصف له بكمال الفصاحة، (أنا أفصح العرب) وهذا مدح، ثم يذكر بعده لفظ (بيد) وهو يفيد الاستثناء، فيظن السامع أنه صلوات الله عليه سيذكر بعده أمرا غير محبوب، ولكن سرعان ما زال هذا الظن، إذ ورد بعد الأداة صفة مدح أخرى، فالحديث من أضرب تأكيد المدح بما يشبه الذم.

٣ـ أنت ترى القول الكريم قد أورد مستثنى فيه معنى المدح، والمعنى: لاعيب فينا إلا الإيمان، ففيه صفة ذم منفية، واستثناء لصفة مدح من ذلك الذم المنفي.

التدريب الثالث: ضع خطًّا تحت الإجابة المناسبة فيما يأتي:

١ـ قال الشاعر:

تُعَدُّ ذُنُوبِي عِنْدَ قَوْمٍ كَثِيرَةٌ ❊ وَلاذَنْبَ لِي إِلَّا الْعُلا وَالْفَضَائِلِ

في البيت (تأكيد للمدح بما يشبه الذم ـ حسن تعليل ـ المبالغة)

٢ـ قال الشاعر:

وُجُوهٌ كَأَزْهَارِ الرِّيَاضِ نَضَارَةً ❊ وَلَكِنَّهَا يَوْمَ الْهِيَاجِ صُخُورُ

في البيت (تأكيد للذم بما يشبه المدح ـ تأكيد للمدح بما يشبه الذم ـ التورية)

٣ـ قال الشاعر:

لَئِيمُ الطِّبَاعِ سِوَى أَنَّهُ ❊ جَبَانٌ يَهُونُ عَلَيْهِ الْهَوَانُ

في البيت (المشاكلة ـ تأكيد للمدح بما يشبه الذم ـ تأكيد للذم بما يشبه المدح)

٤ ـ قال الشاعر:

خَلا مِنَ الْفَضْلِ غَيْرَ أَنِّي ❊ أَرَاهُ فِي الْحُمْقِ لايُجَارَى

في البيت (مراعاة النظير ـ تأكيد للذم بما يشبه المدح ـ تأكيد للمدح بما يشبه الذم)

الوحدة الرابعة

المحسنات اللفظية

أنواع المحسنات اللفظية

أهداف الوحدة

بعد الانتهاء من هذه الوحدة ينبغى أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١- يعرف الجناس ويحدد أنواعه مع التمثيل.

٢- يفرق بين الجناس التام، والجناس غير التام.

٣- يأتي بأمثلة لصور الجناس التام.

٤- يعرف السجع ويأتى بأمثلة له.

٥- يستخرج من أمثلة مقدمة له جناس تام، جناس غير تام، سجع.

❊ ❊ ❊

الدرس الأول

الجناس التام ووجه حسنه

أهداف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ – يعرف الجناس مع التمثيل.

٢ – يعدد أنواع الجناس.

٣– يأتي بأمثلة لصور الجناس التام.

٤ – أن يستخرج من أمثلة مقدمة له صور الجناس التام.

وصف الدرس: يتناول هذا الدرس تعريف الجناس، وبيان نوعيه، وتعريف الجناس التام وصورتيه، ومفهوم كل صورة ، وأسرار حسنه وبلاغته.

شرح الدرس

تعريف الجناس: الجناس عند البلاغيين هو: تشابه اللفظين في النطق، واختلافهما في المعنى.

أنواع الجناس

الجناس نوعان: ١ـ جناس تام . ٢ـ جناس غير تام.

أولًا: الجناس التام

تعريفه: هو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أشياء:

١ـ في نوع الحروف، ٢ـ وعددها،

٣ـ وهيئاتها من حركات وسكنات، ٤ـ وترتيبها، مع اختلاف المعنى.

مثل قوله تعالى : ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖ﴾[الروم:٥٥]، فلفظة الساعة الأولى تتفق مع لفظة الساعة الثانية في أربعة أمور: في عدد الحروف، فحروفها أربعة، وفي نوع

الحروف، حيث تكونت كل كلمة من السين والألف والعين والتاء المربوطة، وفي هيئات الحروف، فالسين مفتوحة والألف ساكنة، والعين مفتوحة، والحرف الأخير لا ننظر إليه؛ لأن الحركة التي تظهر عليه هي علامة الإعراب التي تتغير حسب موقعه في الجملة، وفي ترتيب الحروف حيث بدأت كل لفظة بالسين أولا ، ثم الألف، ثم العين ثم التاء المربوطة.

ومن هنا سمي جناسا تاما ؛ لأن التوافق تم في هذه الأمور الأربعة كلها.

صور الجناس التام:

للجناس التام صورتان: ١ـ الجناس التام المماثل. ٢ـ الجناس التام المستوفى.

أولًا: الجناس التام المماثل:

تعريفه: هو أن تكون الكلمتان المتجانستان من نوع واحد اسمين أو فعلين أو حرفين.

أ ـ مثال الاسمين قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾[الروم:٥٥]، فالمراد بالساعة الأولى يوم القيامة، والمراد بالساعة الثانية هي المدة الزمنية المعروفة، ونحن نلحظ هنا الاتفاق في نوع الحروف، وعددها، وهيئاتها، وترتيبها، وكونهما اسمين.

ومثله ـ أيضا ـ قوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[النور:٤٣، ٤٤]، فالأبصار الأولى: بمعنى العيون، والثانية: بمعنى العقول، وقد اتفقتا في أربعة أمور، وهما من نوع واحد اسمان.

ومثله قول الشاعر :

عَبَّاسُ عَبَّاسٌ إِذَا احْتَدَمَ الْوَغَى *** وَالْفَضْلُ فَضْلٌ ، وَالرَّبِيعُ رَبِيعُ

فلفظ عباس الأول، والفضل الأول، والربيع الأول كلها أعلام على أشخاص بعينها.

أما لفظ عباس الثاني، فهو من العبوس، ولفظ فضل الثاني، فهو من الزيادة، ولفظ ربيع الثاني من فصل الربيع، وقد اتفقت الكلمات في أمور أربعة، وكلها من نوع واحد أسماء.

ومثل قول أبي سعيد المخزومي:

حَدَقُ الآجَالِ آجَالُ *** وَالْهَوَى لِلْمَرْءِ قَتَّالُ

حيث يصف الشاعر امرأة بسعة العيون، فشبه عيونها الواسعة بعيون بقر الوحش المشهورة على سبيل الاستعارة ، ثم زاد فقال: إنهن يقتلن بسحرهن من ينظر إليهن، فسهام هذه العيون أشد فتكا من السهام الحقيقية.

والشاهد في الجناس التام بين: «آجال، وآجال» وهما من نوع واحد اسمان، والأول: جمع إجل ـ بكسر الهمزة ـ وهو القطيع من بقر الوحش، والثاني: جمع أَجل ـ بفتح الهمزة ـ ، والمراد به الأعمار المنتهية.

ومثله قول الأفوه الأودي:

وَأَقْطَعُ الْهَوْجَلَ مُسْتَأْنِسًا ✻ بِهَوْجَلٍ عَيْرَانَةٍ عَنْتَرِيسِ

فلفظة: الهوجل في هذا الشعر واحدة قد اشتركت في معنيين؛ لأن الأولى: يراد بها الأرض، والثانية: يراد بها الناقة، وهي من الجناس التام المماثل ؛ لأنها من نوع واحد اسمين.

ب ـ مثال الفعلين قول الشاعر:

قَوْمٌ لَوْ أَنَّهُمْ ارْتَاضُوا لَمَا قَرَضُوا ✻ أَوْ أَنَّهُمْ شَعَرُوا بِالنَّقْصِ مَا شَعَرُوا

فلفظ شعروا الأول: فعل بمعنى: أحسوا ، والثاني: فعل ـ أيضا ـ بمعنى: نظموا الشعر.

ج ـ مثال الحرفين: قولنا «قد ينزل المطر شتاء، وقد ينزل المطر صيفا» .

أي: قد ينزل المطر كثيرا في الشتاء، وقد ينزل المطر قليلا في الصيف، فقد الأولى: للتكثير، والثانية: للتقليل، وقد اتفقتا في أربعة أمور، وهما حرفان من نوع واحد.

سبب تسميته: سمي هذا الجناس مماثلا؛ لأن الكلمة الثانية ماثلت الأولى في نوعها من حيث الاسمية أو الفعلية أو الحرفية .

ثانيًا الجناس التام المستوفى:

تعريفه: هو أن تكون الكلمتان المتجانستان من نوعين مختلفين، أي: أن يكون أحدهما اسمًا والآخر فعلاً، أو أحدهما حرفًا، والآخر فعلاً.

مثال الجناس بين الاسم والفعل قول الشاعر:

فَسَمَّيْتُهُ يَحْيَى لِيَحْيَا فَلَمْ يَكُنْ ✻ إِلَى رَدِّ أَمْرِ اللهِ فِيهِ سَبِيلُ
تَيَمَّمْتُ فِيهِ الْفَأْلَ حِينَ رُزِقْتُهُ ✻ وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْفَأْلَ فِيهِ يَفِيلُ

فلفظ يحيى الأول: اسم، والثاني: فعل.

ومنه ـ أيضـًا ـ قول أبي تمام:

مَـا مَـاتَ مِـنْ كَـرَمِ الزَّمَـانِ فَإِنَّـهُ ⁂ يَحْيَـا لَـدَى يَحْيَـى بـنَ عَبْـدِ اللـهِ

فـ (يحيا) الأول: فعل مضارع، و(يحيى) الثاني: اسم علم.

ومثله قول الشاعر :

دَارِهِــمْ مَـا دُمْـتَ بِـدَارِهِــمْ ⁂ وَأَرْضِهِـمْ مَـا دُمْـتَ بَأَرْضِهِـمْ

فلفظة دارهم الأولى: فعل أمر من المداراة، والثانية: اسم بمعنى: منزل، ولفظة أرضهم الأولى: فعل أمر من أرضاه، والثانية: اسم وهي الأرض التي نعيش عليها.

ومنه في القرآن قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ [النجم:١ـ٣]، حيث جانس بين لفظة هوى الأولى: وهي فعل في قوله: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى: ولفظة هوى الثانية: وهي اسم في قوله: «وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى» فالأولى هوى بمعنى: خرّ وسقط، والثانية بمعنى: هوى النفس.

ومثال الجناس بين الفعل والحرف: قولنا: «قاتل فلانٌ على جَوادِه فعلا» حيث جانس الشاعر بين على الأولى وهي حرف، وعلا الثانية وهي فعل من العلو.

قيمة الجناس البلاغية

الجناس لون من ألوان البديع اللفظى، فيه تناسب وتوافق، وهذا تابع من أن اللفظ إذا حُمِلَ على معنى، ثم جاء مرادًا به معنى آخر، كان له أجمل الأثر فى النفس، وفيه ـ أيضا ـ إيقاع صوتي لذيذ يجلب إنصات السامع، ويجعل للمعنى المراد التعبير عنه أثرا لطيفا في النفوس يدفعها دفعا للإقبال عليه، والالتذاذ به.

ويعد الجناس محسنـًا جماليـًا شريطة أن يأتى عفو الخاطر، ويسمح به الطبع من غير تكلف، وإلا شَوَّه العبارة، وأدى إلى الركاكة والتعقيد.

* * *

ملخص الدرس

الجناس: أن يتفق اللفظان في النطق، ويختلفا في المعنى.

أنواع الجناس:

١ـ الجناس التام: وهو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أشياء: نوع الحروف، وعددها، وهيئاتها، وترتيبها مع اختلاف المعنى.

من أنواع الجناس التام:

أ ـ المماثل: وهو ما كان من نوع واحد اسمين، أو فعلين، أو حرفين.

ب ـ المستوفى: وهو ما كان من نوعين فعل، واسم.

والوجه في حسن الجناس: هو حسن الإفادة، مع أن الصورة صورة الإعادة.

❊ ❊ ❊

إثراءات

لاحــــظ أن: الجناس من المحسنات اللفظية التي تعتمد في تأثيرها على الإيقاع الصوتي للألفاظ المتجانسة فتطرب الأذن، وتستميل السمع، فيتمكن المعنى في النفس.

انتبه إلى أن : الجناس التام يشترك فيه اللفظان في أربعة أمور، ويختلفان في المعنى.

مفـــاهيــــم: الجناس التام له قسمان تام مماثل، وتام مستوفٍ.

❊ ❊ ❊

التدريبات

التدريب الأول: أشر بعلامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة(×) أمام العبارة الخطأ، فيما يأتي:

١- الجناس محسن ذاتي لا عرضي. (   )

٢- الجناس محسن معنوي. (   )

٣- الجناس حلية شكلية للكلام. (   )

٤- الجناس التام وغير التام لا يختلفان. (   )

٥- الجناس نوع واحد فقط . (   )

٦- أحسن الجناس ما جاء غير متكلف. (   )

٧- الجناس التام المستوفي يكون بين اسم وفعل. (   )

٨- الجناس التام المماثل يكون بين فعلين. (   )

٩- الجناس التام لم يرد في القرآن والسنة. (   )

إجابة التدريب الأول

١- (√). ٢- (×). ٣- (×). ٤- (×). ٥- (×).

٦- (√). ٧- (√). ٨- (√). ٩- (×).

التدريب الثاني: عرف المصطلحات الآتية، مع التمثيل:

الجناس ـ الجناس المماثل ـ الجناس المستوفى.

التدريب الثالث: اذكر صور الجناس التام المماثل مع التمثيل.

إجابة التدريب الثالث

الجناس التام المماثل: يأتي في الكلام على ثلاث صور لفظية أن يكون بين اسمين أو فعلين أو حرفين.

أ) مثال الاسمين قوله تعالى:﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾[الروم:٥٥]، فالمراد بالساعة الأولى: يوم القيامة، والمراد بالساعة الثانية: هي المدة الزمنية المعروفة.

ب) ومثال الفعلين قول الشاعر:

قَوْمٌ لَـوْ أَنَّهُـمْ ارْتَاضُوا لَمَـا قَرَضُوا ❊ أَوْ أَنَّهُمْ شَـعَرُوا بِالنَّقْصِ مَا شَعَرُوا

فلفظ شعروا الأول: فعل بمعنى: أحسوا، والثاني: فعل ـ أيضا ـ بمعنى: نظموا الشعر.

ج) مثال الحرفين: قولنا «قد ينزل المطر شتاء، وقد ينزل المطر صيفا» أي: قد ينزل المطر كثيرا في الشتاء، وقد ينزل المطر قليلا في الصيف، فقد الأولى: للتكثير، والثانية: للتقليل، وقد اتفقتا في أربعة أمور، وهما حرفان من نوع واحد.

وسمي هذا الجناس مماثلا ؛ لأن الكلمة الثانية ماثلت الأولى في نوعها من حيث الاسمية أو الفعلية أو الحرفية.

❊ ❊ ❊

الدرس الثاني

الجناس غير التام وأنواعه

أهداف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ - يحدد المقصود بالجناس غير التام.

٢ - يوازن بين الجناس التام و الجناس غير التام.

٣ - يأتي بأمثلة لصور الجناس غير التام.

٤ - يوازن بين صور الجناس غير التام.

وصف الدرس : يتناول هذا الدرس، الجناس غير التام، وصوره، ووجوه حسنه.

شرح الدرس

تعريفه:

الجناس غير التام: هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من أربعة أمور في عدد الحروف، أو في نوع الحروف، أو في هيئات الحروف، أو في ترتيب الحروف.

وبناء على ذلك، فإن صور الجناس غير التام تتمثل في أربع صور:

الصورة الأولى:

وهي التي اختلف فيها اللفظان في عدد الحروف بأن يكون أحدهما زائدا عن الآخر، وأطلق البلاغيون على هذه الصورة (الجناس الناقص).

ويشترط أن لا تزيد هذه الزيادة عن حرفين حتى يعد هذا من قبيل الجناس الناقص.

وعلى ذلك فاللفظان المختلفان في عدد الحروف إما أن يكون أحدهما زائدا بحرف واحد في أول الكلمة، أو وسطها، أو آخرها، أو يكون زائدا بحرفين، ولكل حالة من هذه الحالات مصطلح أطلقه علماء البلاغة تمييزا لكل نوع عن غيره.

أولا: الجناس الناقص المختلف في حرف واحد.

للجناس الناقص من هذه الجهة ثلاثة أنواع:

١ـ المردوف: وهو ما اختلفت فيه الكلمتان بزيادة حرف في الأول، مثل: (دوام الحال من المحال)، فكلمة المحال زادت عن كلمة الحال بحرف واحد، وهو الميم الواقع في صدر الكلمة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾[القيامة:٢٩،٣٠] فكلمة المساق زادت عن كلمة الساق بحرف واحد، وهو الميم الواقع في صدر الكلمة.

٢ـ المكتنف: وهو ما اختلفت فيه الكلمتان بزيادة حرف في الوسط مثل: (جِدِّي جهدي)، فكلمة «جهدي» زادت عن كلمة «جدي» بحرف واحد، وهو الهاء الواقع في وسط الكلمة.

ومثله قول امرئ القيس:

وَخَرْقٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفْرٍ مَضِلَّةٍ ** قَطَعْتُ بِسَامٍ سَاهِمِ الْوَجهِ حُسَّانِ

فكلمة (ساهم) زادت على كلمة (سام) بحرف واحد، وهو الهاء في وسط الكلمة، والمعنى: قطعت الصحراء المقفرة على حصان شديد ضامر حسن المنظر.

وقال أعرابي وذكر عُبَّادًا: «ما تراهم إلا في وجه وجيه» فكلمة (وجيه) زادت على كلمة (وجه) بحرف واحد في وسط الكلمة.

٣ـ المطرَّف: وهو ما اختلفت فيه الكلمتان بزيادة حرف في الآخر نحو: (الهوى مطية الهوان)، فكلمة «الهوان» زادت عن كلمة «الهوى» بحرف واحد، وهو النون الواقع في نهاية الكلمة.

ومثله قوله عزّ وجل: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[النحل:٦٩] فكلمة (كُلِي) زادت عن (كُلِّ) بحرف واحد، وهو ياء المخاطبة الواقع في نهاية الكلمة.

ومن ذلك قول أبي تمام:

يَمُدُّونَ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ ** تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ

فكلمة «عواصم» زادت من حيث الصورة عن كلمة «عواص» بحرف واحد، وهو «الميم» الواقع في نهاية الكلمة، وكذلك كلمة «قواضب» زادت من حيث الصورة عن كلمة «قواض» بحرف واحد، وهو «الباء» الواقع في نهاية الكلمة.

ثانيا : الجناس الناقص المختلف في حرفين.

ولهذا الوجه نوع واحد وهو الجناس المذيل ، مثل قول الخنساء:

إِنَّ الْبُـكَاءَ هُـوَ الشِّـفَاءُ ❊ مِـنَ الْـجَوَى بَـيْنَ الْـجَوَانِحِ

فكلمة «الجوانح» زادت عن كلمة «الجوى» بحرفين، هما النون والحاء الواقعان في نهاية الكلمة.

ومثله قول مسكين الدارمي:

وَأَقْطَعُ الْـخَرْقَ بِالْخَرْقَـاءِ لاهِيَةً ❊ إِذَا الْكَوَاكِبُ كَانَتْ فِي الدُّجَى سُرُجَا

فكلمة «الخرقاء» وهي الناقة الشديدة السريعة، زادت عن كلمة «الخرق» بمعنى: الصحراء بحرفين، هما الألف والهمزة الواقعان في نهاية الكلمة.

ومن ذلك قول حيان بن ربيعة الطائي:

لَقَـدْ عَلِـمَ الْقَبَائِـلُ أَنَّ قَوْمِـي ❊ هُـمْ حَـدٌّ إِذَا لُبِـسَ الْـحَدِيدُ

فكلمة «الحديد» بمعنى: الدروع، زادت عن كلمة «الحد» بمعنى: الشدة بحرفين، هما الياء والدال الواقعان في نهاية الكلمة.

وسمي هذا الضرب مذيلا ؛ لأن الاختلاف وقع في ذيل الكلمة .

الصورة الثانية:

وهي التي اختلف فيها اللفظان في نوع الحروف، ويشترط في هذا النوع ـ من الجناس غير التام ـ أن لا يقع الاختلاف في أكثر من حرف، ومعلوم لأبنائنا الطلاب أن حروف اللغة العربية تخرج من مخارج محددة، فهناك حروف شفوية مثل: (الفاء والميم والباء) وحروف تخرج من طرف اللسان مثل: (الذال والثاء)، وحروف حلقية وهي الحروف الستة المجموعة في قولنا: (همز فهاء ثم عين حاء ثم غين خاء)، وهكذا، وعلى ذلك فهناك حروف تكون متقاربة في المخرج، وحروف تكون متباعدة في المخرج، وحينما نظر البلاغيون في نوع الحرفين المختلفين نظروا إليهما من هذه الجهة، أي: من حيث تقارب مخرجيهما أو تباعدهما، وأطلقوا على كل نوع المصطلح البلاغي الذي يميزه عن غيره، وهما على النحو الآتي:

١ـ الجناس المضارع: وهو ما اختلف فيه اللفظان في نوع الحروف، وكان الحرفان متقاربين في المخرج.

وهذا الاختلاف إما أن يكون في أول الكلمة، مثل قول الحريري في إحدى مقاماته: (بيني وبين كني ليل دامس وطريق طامس)، فالاختلاف بين الدال والطاء في أول كل كلمة، وهما متقاربان في المخرج.

ومن ذلك قول الشاعر:

مِـنْ بَحْـرِ شِـعْرِكَ أَغْـتَرِفُ ❁ وَبِفَضْـلِ عِلْمِـكَ أَعْـتَرِفُ

فالاختلاف بين الغين والعين في أول كل كلمة، وهما متقاربان في المخرج فهما حرفان حلقيان.

وإما أن يكون في وسط الكلمة، مثل قول بعضهم: «البرايا أهداف البلايا»، فالاختلاف بين الراء، واللام في وسط كل كلمة، وهما متقاربان في المخرج.

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[الأنعام:٢٦]، فالاختلاف بين الهاء، والهمزة في وسط كل كلمة، وهما متقاربان في المخرج.

وإمَّا أن يكون في آخر الكلمة، نحو قوله ﷺ: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْـخَيْرُ» فالاختلاف بين اللام والراء في آخر كل كلمة، وهما متقاربان في المخرج.

وقال آخر:

مَطَاعِيـنُ فِي الْـهَيْجَـا ❁ مَطَاعِيـمُ فِي الْقِـرى

فالاختلاف واقع في آخر كل كلمة، وهما متقاربان في المخرج.

٢ـ الجناس اللاحق: وهو ما اختلف فيه اللفظان في نوع الحروف، وكان الحرفان متباعدين في المخرج.

وهذا الاختلاف (أ) إما أن يكون في أول الكلمة، مثل قول بعضهم: «رُبَّ وَضِيٍّ غيرِ رَضِيٍّ» أي: رب حسن الوجه، جميل المحيا يروقك بهاؤه، وترضى عنه، ولكن أخلاقه غير مرضية.

فالاختلاف بين الواو والراء وقع في أول كل كلمة، وهما متباعدان في المخرج.

ومنه قول الحريري: «لا أُعْطِي زِمَامِي لِمَنْ يَخْفِرُ ذِمَامِي» أي: لا أعطي مقادتي، ولا أسلم برأي إنسان يكون غير وفي وناقض للعهد، فالاختلاف بين الزاي والذال وقع في أول كل كلمة، وهما متباعدان في المخرج.

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة:١]، فالاختلاف بين الهاء واللام وقع في أول كل كلمة، وهما متباعدان في المخرج، فالهاء من الحلق، واللام من أعلى الحنك .

ومثله قوله تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴾ [النمل:٢٢]، فالاختلاف بين السين والنون وقع في أول كل كلمة، وهما متباعدان في المخرج.

ومثله قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴾ [الشرح:٥]، فالاختلاف بين العين والياء وقع في أول كل كلمة، وهما متباعدان في المخرج.

ومثله ما جاء في الخبر «المؤمنون هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ» فالاختلاف بين الهاء واللام وقع في أول كل كلمة، وهما متباعدان في المخرج، فالهاء من الحلق، واللام من أعلى الحنك.

ومثله قول أبو نواس:

دِيَارُ نَوَارٍ مَا دِيَارُ نَوَارِ *** كَسَوْنَكَ شَجْوًا هُنَّ مِنْهُ عَوَارِ

فالاختلاف بين النون والعين وقع في أول كل كلمة، وهما متباعدان في المخرج .

وكقول ابن المعتز أيضا:

هِيَ الدَّارُ إلا أَنَّهَا مِنْهُمْ قَفْرُ *** وَأَنِّى بِهَا ثَاوٍ وَأَنَّهُمْ سَفْرُ

فالاختلاف بين القاف والسين وقع في أول كل كلمة، وهما متباعدان في المخرج .

(ب) وإمَّا أن يكون في وسط الكلمة، مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ﴾[العاديات:٧، ٨]، فالاختلاف بين الهاء والدال وقع في وسط كل كلمة، وهما متباعدان في المخرج.

ومثله قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٢٠ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ﴾[المرسلات:٢٠ ، ٢١]، فالاختلاف بين الهاء والكاف وقع في وسط كل كلمة، وهما متباعدان في المخرج.

ومثله قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴾ [الضحى: ٩، ١٠]، فالاختلاف بين القاف والنون وقع في وسط كل كلمة، وهما متباعدان في المخرج.

ومثله قوله تعالى: ﴿ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴾ [البلد:١٥، ١٦]، فالاختلاف بين القاف والتاء وقع في وسط كل كلمة، وهما متباعدان في المخرج.

ومثله قول ابن المعتز:

لِلْأَمَــانِي حَدِيــثٌ قَــدْ يُقَـر *** وَيَسُـوءُ الدَّهْـر مَـنْ قَـدْ يُـسَرْ

فالاختلاف بين القاف والسين وقع في وسط كل كلمة، وهما متباعدان في المخرج.

(ج) وإما أن يكون في آخر الكلمة، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾[النساء:٨٣]، فالاختلاف بين الراء والنون وقع في آخر كل كلمة، وهما متباعدان في المخرج.

ومثل قول البحتري:

هَـلْ لِمَـا فَاتَ مِـنْ تَـلاقٍ تَلافٍ *** أَمْ لِشَـاكٍ مِـنَ الصَّبَابَـةِ شَـافِي

فالاختلاف بين القاف والفاء وقع في آخر كل كلمة، وهما متباعدان في المخرج.

ومثله قول ابن مقبل:

يمشينَ مِثْلَ النَّقَا مَالَتْ جَوَانِبُهُ *** يَنْهَالُ حِينًا وَيَنْهَاهُ الثَّرَى حِينَا

فالاختلاف بين اللام والهاء وقع في آخر كل كلمة، وهما متباعدان في المخرج.

ومنه قول الأخنَس بن شهاب:

وَحَامِي لِوَاءٍ قَدْ قَتَلْنَا وَحَامِلٍ *** لِـواءً مَنَعْنَـا وَالسُّـيُوفُ شَـوَارِعُ

فجانس بحامي وحامل، فالاختلاف بين الياء واللام وقع في آخر كل كلمة، وهما متباعدان في المخرج .

الصورة الثالثة:

وهي التى اختلف فيها اللفظان في هيئات الحروف، وأطلق علماء البلاغة على هذه الصورة اسم الجناس المحرَّف:

تمهيد

المراد بهيئات الحروف، أي: ما وضع على حروف الكلمات المتطابقة في الحروفمن حركات وسكنات تميزها عن غيرها، مثل كلمة «مَلَكٌ» فهي مكونة من ثلاثة أحرف، وبإمكاننا عن طريق اختلاف هيئة الحركة والسكون على هذه الحروف أن نحصل منها على ألفاظ متجانسة متفقة في حروفها من حيث الصورة مختلفة في هيئاتها، وما يترتب على ذلك من اختلاف واضح في المعنى فنقول: (مَلَكٌ ـ مَلِكٌ ـ

مِلْكٌ ـ مُلْكٌ ـ مَلَكَ) فاختلاف الحركات والسكنات أدى إلى اختلاف المعاني، وكلها من قبيل الجناس المحرف، وعلى ذلك فالجناس المحرف له أنواع بالنظر إلى اختلاف نوع الحركة على الحرف، أو بالنظر إلى اختلاف الحركة مع السكون.

أنواع الجناس المحرف

١ـ الاختلاف في الحركة فقط مثل قولنا: «جُبَّةُ البُرْدِ جَنَّةُ البَرْد» حيث اختلفا اللفظان في الحركة، فالأول: باؤه مضمومة، والثاني: باؤه مفتوحة.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات ٧٢، ٧٣]، حيث اختلف اللفظان في الحركة، فالأول: الذال فيه مكسورة، وهو اسم فاعل من أنذر، والمراد بهم، الرسل، والثاني، الذال فيه مفتوحة، وهو اسم مفعول من أُنْذِر، والمراد بهم: الأمم المنذرة.

ومثله قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن:٣]، فالجناس في قوله: «وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ»؛ لاختلاف الحركات في الشكل، فالصاد مفتوحة فى الكلمة الأولى، وهى: فعل، وفى الثانية مضمومة وهى: اسم.

٢ـ الاختلاف في الحركة والسكون كقولهم: «الْبِدْعَةُ شَرَكُ الشِّرْك» حيث اختلف اللفظان في الحركة، والسكون، فالأول: الراء فيه مفتوحة، والثاني: الراء فيه ساكنة.

ومثله قول أبي العلاء المعري:

والـحُسْنُ يَظْهَرُ فِي بَيْتَيْنِ رَوْنَقُهُ *** بَيْتٌ مِنَ الشِّعْرِ أَوْ بَيْتٌ مِنَ الشَّعَرِ

حيث اختلف اللفظان في الحركة والسكون، فالأول: العين فيه ساكنة، والمراد به البيت من القصيدة الشعرية، والثاني: العين فيه مفتوحة، والمراد به: المنزل أو الخيمة المصنوعة من شعر الأنعام والأغنام .

الصورة الرابعة:

وهي التى اختلف فيها اللفظان في ترتيب الحروف، وأطلق علماء البلاغة على هذه الصورة اسم جناس القلب، ومعنى الاختلاف في ترتيب الحروف. أن اللفظين المتجانسين حروفهما واحدة من حيث العدد والنوع، ولكن هذه الحروف في كل كلمة مرتبة ترتيبا مختلفا، بحيث يكون كل حروف الكلمة مقلوبة من مكانها، أو يكون بعضها فقط تغير ترتيبه، وعلى ذلك فهذا النوع يأتي على ضربين:

١ـ قلب الكل مثل قولهم: «حُسَامُهُ فَتْحٌ لأوليائه، حَتْفٌ لأعْدَائِه» أي: سيف الممدوح يكمن النصر فيه لأوليائه، ويكمن الهلاك فيه لأعدائه ، وقد اختلف ترتيب كل الحروف في اللفظين المتجانسين.

٢ـ قلب البعض كما جاء في الخبر: «اللهم اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا» حيث اختلف ترتيب بعض الحروف في كل كلمة، وبقي الباقي على حاله.

ومثله قول بعضهم: «رَحِمَ اللهُ امرَأً أَمْسَكَ ما بَيْنَ فَكَّيْهِ وَأَطْلَقَ ما بَيْنَ كَفَّيْه»، حيث اختلف ترتيب بعض الحروف في كل كلمة، وبقي الباقي على حاله.

ومثله قول أبي تمام:

بِيضُ الصَّفَائِحِ لا سُودُ الصَّحَائِفِ في ** مُتُونِهِنَّ جَلاءُ الشَّكِّ والرِّيَبِ

* * *

ملخص الدرس

الجناس غير التام: هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من أمور أربعة ، عدد الحروف، نوع الحروف، هيئة الحروف، ترتيب الحروف.

ولهذا النوع من الجناس صور عديدة ، وقد خص علماء البلاغة كل صورة بمصطلح يخصها يميزها عن غيره

وهذه الصور هي: الجناس الناقص: وهو ما اختلف فيه اللفظان في عدد الحروف.

من أنواع الجناس الناقص :

المردوف: وهو ما اختلفت فيه الكلمتان بزيادة حرف في الأول.

المكتنف: وهو ما اختلفت فيه الكلمتان بزيادة حرف في الوسط.

المطرّف: وهو ما اختلفت فيه الكلمتان بزيادة حرف في الآخر.

الجناس المضارع: وهو ما اختلف ركناه في حرفين لم يتباعدا مخرجا.

الجناس اللاحق: هو أن يختلف طرفا الجناس في حرف من حروفهما، مع عدم التقارب في المخرج بين الحرفين.

الجناس المحرّف: ويكون بالاختلاف في هيئات الحروف.

جناس القلب: ويكون بالاختلاف في ترتيب الحروف.

* * *

إثراءات

لاحظ أن: الجناس غير التام بجميع صوره ورد في القرآن الكريم.

لاحظ أن: الجناس يكون مقبولا إذا جاء غير متكلف، وكان اللفظ فيه تابعا للمعنى المراد.

انتبه إلى أن: الجناس الناقص بجميع أنواعه ورد بكثرة في القرآن والسنة والشعر وكلام العرب النثري.

انتبه إلى أن: أقل الأنواع ورودا في القرآن والسنة بالنسبة لغيره هو الجناس الواقع في هيئات الحروف، وجناس القلب.

مفاهيم: الجناس التام وغير التام وردا في القرآن الكريم في موقع سديد مطابق لمقتضى الحال، وهو من البلاغة في قمة الإعجاز .

❊ ❊ ❊

التدريبات

التدريب الأول: أشر بعلامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة(×) أمام العبارة الخطأ، فيما يأتي:

١- الجناس الناقص له صور كثيرة حسب اختلاف نوع الحروف. ( )

٢- الجناس المطرّف من أنواع الجناس الناقص. ( )

٣- الجناس المضارع ما كان الجناس فيه فعلا مضارعا. ( )

٤- الجناس اللاحق ما ألحق بجناس آخر. ( )

٥- الجناس غير التام لا يختلف عن الجناس التام. ( )

٦- جناس القلب من أنواع الجناس التام ( )

٧- جناس القلب له قسم واحد هو قلب الكل. ( )

٨- الجناس لم يرد في القرآن إلا قليلا جدا. ( )

٩- الجناس بأنواعه المختلفة لم يرد في السنة ( )

١٠- الجناس المتكلف ممجوج ومرذول. ( )

إجابة التدريب الأول

١- (×). ٢- (√). ٣- (×). ٤- (×). ٥- (×).

٦- (×). ٧- (×). ٨- (×). ٩- (×). ١٠- (√).

التدريب الثاني: استخرج الجناس، وبين نوعه فيما يأتي:

١ـ قال الشاعر:

وَغَدَتْ بُطُونُ مِنًى مُنًى مِنْ سَيْبِهِ ** وَغَـدَا حِـرًا مِنْـهُ ظُهُـورُ حِرَاءِ

٢ ـ قال الشاعر:

فَالْأَرْضُ فِي فَرَحٍ، والدَّهْرُ فِي مَرَحٍ ** والنَّـاسُ مَـا بَـيْنَ تَهْلِيـلٍ وَتَكْبِيرِ

٣ ـ وقال الشاعر:

نَسِـيمُ الـرَّوْضِ فِي رِيحٍ شَـمَالٍ ⁂ وَصَوْبُ الْـمُزْنِ فِي رَاحٍ شَمُولِ

٤ ـ قال الشاعر:

فَيَالَكَ مِنْ حَزْمٍ وَعَزْمٍ طَوَاهُمَا ⁂ جَدِيدُ الرَّدَى بَيْنَ الصَّفَا وَالصَّفَائِحِ

٥ ـ قال الشاعر:

فَـلا تَثِقْ بِـوِدَادِ قَبْـلَ مَعْـــرِفَةٍ ⁂ فَالْكُحْل أَشْبَهُ فِي الْعَيْنَين بالْكَحْلِ

إجابة التدريب الثانى

١- في البيت الأول جناس غير تام ووقع في موضعين الأول: بين (مِنًى) و(مُنًى) ونوعه جناس محرف، حيث كان الاختلاف في نوع الحركة .

الثاني : بين (حِرا)، و(حِراء) وهو جناس ناقص مطرف، حيث اختلفت الكلمتان بزيادة حرف في الآخر.

٢- في البيت الثاني جناس مضارع وهو من أنواع الجناس غير التام بين(فرح) و(مرح) حيث اختلف اللفظان في نوع الحروف، وكان الحرفان متقاربين في المخرج.

٣- في البيت الثالث جناس غير تام بين (رِيحٍ شَمَالٍ)، و(رَاحٍ شَمُولِ) ونوعه جناس لاحق حيث وقع الاختلاف بينهما في وسط الكلمة، وهما حرفان متباعدان.

٤ـ في البيت الرابع جناس غير تام ووقع في موضعين الأول : بين (حزم) و(عزم) وهو جناس مضارع، حيث كان الاختلاف بين لفظين في نوع الحروف، وكان الحرفان متقاربين في المخرج.

الثاني : بين (الصفا)، و(الصفائح) وهو جناس ناقص مذيل، حيث اختلفت الكلمتان بزيادة حرفين في الآخر.

٥- في البيت الخامس جناس محرف بين الكحل بضم الكاف من التكحل، والكحل بفتح الكاف، وهو السواد الذي يوجد في العيون، وهو اختلاف في هيئة الحروف.

❋ ❋ ❋

الدرس الثالث

السجع

أهداف الدرس

بنهاية الدرس يتوقع أن يكون الطالب قادرًا على أنْ:

١ – يعرف السجع مع التمثيل.

٢ – يوازن بين أقسام السجع.

٣– يعدد شروط حسن السجع.

٤ – يذكر أنواع السجع من حيث الطول والقصر.

٥ – يناقش قضية ورود السجع فى القرآن الكريم من عدمه.

٦ – يأتى بأمثلة لأقسام السجع فى الشعر.

وصف الدرس: يتناول هذا الدرس مفهوم السجع، وأقسامه، وشروط حسنه.

شرح الدرس

تعريفه:

السَّجْع لغة: مأخوذ من سجَعَت الحمامَةُ أو النَّاقةُ سَجْعًا، إذا رَدَّدَتْ صَوْتَها عَلى طريقةٍ واحدة.

اصطلاحًا: هو اتفاق فاصلتين أو أكثر في الحرف الأخير، وهو في النثر كالقافية في الشعر.

وحتى نفهم هذا التعريف السابق وأقسام السجع التالية لا بد من معرفة المصطلحات الآتية:

١ـ الفقرة: هي قطعة من الكلام مزاوجة لأخرى، وقد تسمى القرينة ـ أيضا ـ ؛ لمقارنَتها لأختها.

٢ـ الفاصلة: هي الكلمة الأخيرة من الفقرة الواحدة.

٣ـ السجعة: هي الجزء الواحد من السجع، وتجمع على سجعات.

ففي قولنا: «الْحُرُّ إِذَا وَعَدَ وَفَى، وإِذَا أعَانَ كَفَى، وإِذَا مَلَكَ عَفَا» كل جملة من الجمل الثلاث المسجوعة يطلق عليها فقرة، والفاصلة هي الكلمة الأخيرة في كل فقرة،وهي «وفى ـ كفى ـ عفا» والسجعة تطلق ـ أيضا ـ على الفقرة الواحدة، فكل جملة يطلق عليها فقرة أو سجعة في علم البديع.

قيمته البلاغية:

السجع أسلوب بديعي يزيد في موسيقية الألفاظ، ويكسبها نغمةً عذبةً يأنسُ لها السمع، وتتأثر بها النفس.

أقسام السجع

تمهيد

نظر علماء البلاغة إلى الفقرات المسجوعة في اللّسان العربي شعرا ونثرا، فوجدوا أن هذه الفقرات ـ من واقع الأمثلة والشواهد التي نظروا إليها ـ ليست على طريقة واحدة في الوزن والقافية، من هنا قسَّمُوا السَّجْع ثلاثة أقسامٍ، ووضعوا لكل قسم اسما اصطلحوا عليه، وهذه الأقسام هي: المطرَّف، والمرصَّع، والمتوازي وإليك تعريف كل قسم مصحوبا بأمثلته.

أ ـ المطرَّف: وهو أن تكون الفاصلتان، وهما الكلمتان الأخيرتان من السجعتين مختلفتين في الوزن متفقتين في القافية، أي : في الحرف الأخير فقط، نحو قوله تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح:١٣، ١٤]، فالفقرة الأولى: انتهت بالفاصلة (وقارا)، والفقرة الثانية المزاوجة لها انتهت بالفاصلة (أطوارا)، ومن ينعم النظر في الفاصلتين: يجد أنهما اتفقتا في الحرف الأخير الراء الممدودة، ولكنهما اختلفتا في وزنهما، فالأولى: على وزن فَعَالا، والثانية: على وزن أفعالا.

ومثله قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ [النبأ:٦،٧]، فالفقرة الأولى: انتهت بالفاصلة مهادا، والفقرة الثانية: المزاوجة لها انتهت بالفاصلة أوتادا، ومن يتأمل في الفاصلتين، يجد أنهما اتفقتا في الحرف الأخير الدال الممدودة، ولكنهما اختلفتا في وزنهما، فالأولى: على وزن فِعالا ، والثانية: على وزن أَفْعَالا.

ب ـ المرصَّع : وهو أن تكون ألفاظ كل فقرة أو أكثرها تتفق مع ما يقابلها من ألفاظ الفقرة الأخرى وزنا وتقفية، كقول الحريري: «فَهُوَ يَطْبَعُ الأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ لَفْظِهْ، ويَقْرَعُ الأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعْظِهْ».

فألفاظ الفقرة الأولى: «يَطْبَعُ الأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ لَفْظِهْ» مثل ألفاظ الفقرة الثانية: «يَقْرَعُ الأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعْظِهْ» وزنا وقافية، فلفظة «يطبع» تتفق مع لفظة «يقرع» وزنا، فهما على وزن يَفْعَل، وتتفق معها ـ أيضا ـ قافية، فالحرف الأخير في كل منهما هو العين، وكذلك لفظة «الأسجاع» تتفق مع لفظة «الأسماع» وزنا وقافية، ولفظة «بجواهر» على وزن بفواعل تتفق مع لفظة «بزواجر» أيضا وزنا وقافية، ولفظة « لفظه» على وزن فَعْلِهِ تتفق مع لفظة «وعظه» وزنا وقافية.

ومثله قول أبي الفضل الهمذاني: «إنَّ بعدَ الكدرِ صفْوًا، وبعدَ المطرِ صحْوًا» فكل لفظة من ألفاظ الفقرة الأولى تتفق مع كل لفظة تقابلها في ألفاظ الفقرة الثانية وزنا وقافية.

ومثله قول أبي الفتح البستي: «ليكن إقدامك توكلا، وإحجامك تأملا»، فالفقرة الأولى ثلاثة ألفاظ، والثانية لفظان، وأكثر ألفاظ الفقرة الأولى، وهو «إقدامك توكلا» يتفق مع ألفاظ الفقرة الثانية «إحجامك تأملا» وزنا وقافية.

ومن هذا النوع في الذكر الحكيم قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾[الغاشية: ٢٥، ٢٦]، فمن يدقق النظر يتيقن أن كل كلمة في الفقرة الأولى تتفق مع كل كلمة في الفقرة الثانية وزنا ، وفي الحرف الأخير كذلك، أمّا كلمة «ثُمَّ» فهي بمنزلة المشترك بين الفقرتين.

ج ـ المتوازي: وهو أن يكون الاتفاق في كل فقرة في الكلمتين الأخيرتين فقط، نحو قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾[الغاشية:١٣، ١٤].

فالاتفاق في ألفاظ الفقرتين جرى في الكلمة الأخيرة فقط في كل منهما، فلفظة «مرفوعة» تتفق مع لفظة «موضوعة» وزنا وقافية، بعكس لفظتي سرر وأكواب، فهما مختلفتان وزنا وتقفية.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴾[المرسلات:١، ٢]، فلفظة «عرفا» تتفق مع لفظة «عصفا» وزنا وقافية، بعكس لفظتي المرسلات والعاصفات فهما مختلفتان وزنا فقط.

ومثل ذلك ما ورد في دعاء النبي ﷺ :«اللهم إني أَدْرَأُ بِكَ فِي نُحُورِهِمْ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شرورهم».

فلفظة «نحورهم» تتفق مع لفظة «شرورهم» وزنا وقافية، بعكس لفظتي أدرأ، وأعوذ فهما مختلفتان وزنا وقافية.

ومثله قول أبي منصور الثعالبي: «الحِقْدُ صَدَأُ الْقُلُوبْ، واللَّجَاجُ سَبَبُ الْحُرُوبْ»، فكلمتا: «القلوب»، و«الحروب» متفقتان في الوزن وفي القافية أي: في الحرف الأخير منهما، بعكس كلمتي

«صَدَأ»، و«سَبَب» فهما مختلفتان في الحرف الأخير، متفقتان في الوزن، وبعكس كلمتي «الحقد» و«اللّجاج» ـ أيضا ـ فهما مختلفتان في الوزن والقافية.

ومثله قول أعرابي لرجُلٍ سأَلَ رجلا لَئيما فلم يعطه: «نَزَلْتَ بِوَادٍ غَيْرِ مَمْطُورْ، وَفِنَاءٍ غَيْرِ مَعْمُورْ، وَرَجُلٍ غَيْرِ مَيْسُورْ، فَأَقْدِمْ بِنَدَمْ، أو ارْتَحِلْ بِعَدَمْ» حيث اتفقت الكلمة الأخيرة ممطور، معمور، ميسور في الفقرات الثلاث وزنا وقافية، كما اتفقت الكلمة الأخير بندم مع الكلمة الأخيرة بعدم في الفقرة الرابعة والخامسة.

الأسجاع مبنية على سكون أواخرها

اعلم ـ عزيزي الطالب ـ أن فواصل كل فقرة مسجوعة موضوعة على أن يكون الحرف الأخير فيها ساكن، وموقوفٌ عليه؛ لأن الغرض أن يزاوجَ بين كل فقرة وما يماثلها، ولا يتم ذلك في كل صورة إلا بالوقف، ألا ترى أنك لو وصلتَ قولهم : «مَا أَبْعَدَ مَا فَاتْ، وَمَا أَقْرَبَ ما هُو آتْ» لم يكن مفرٌّ من إجراء كل من الفاصلتين على ما يقتضيه حكم الإعراب، فتقول: «مَا أَبْعَدَ مَا فَاتَ، وَمَا أَقْرَبَ ما هُو آتٍ»، فيفوت عندئذ الغرض من السجع.

درجات السجع وشروط حسنه

نظر علماء البلاغة في الفقرات المسجوعة من الشواهد، والأمثلة التي طالعوها، فوجدوا أن هذه الفقرات تأتي في الكلام العربي على ثلاث دَرجات:

١ـ الدرجة الأولى: وهي التي تَسَاوَتْ فيها الفقرات، أي: السجعات ، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾(١) [الواقعة:٢٧، ٣٠]، فكل فقرة مسجوعة متساوية في كلماتها مع عدد كلمات الفقرة التي بعدها.

ومثله قول الرسول ـ ﷺ ـ في دعائه المتضمِّنِ الحثَّ على الإِنفاق، والتحذير من الإِمساك: «اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَأَعْطِ مُمْسِكًا تلفًا»، فالفقرتان في الحديث الشريف متساويتان في كلماتهما.

٢ـ الدرجة الثانية: وهي التي طَالَتْ سجْعتُها الثانية، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم:١، ٢]، فالسجعة الثانية هنا أطول من الأولى كما ترى.

(١) مَخْضُود: منزوع الشوك. طَلْح منْضود: الطَّلْحُ: الموز، منضود: مضموم بعضه إلى بعض بتناسق.

٣ـ **الدَّرجة الثالثة**: وهي التي طَالَتْ سجْعتُها الثالثة، مثل قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠: ٣٢]، فالسجعة الثالثة هنا هي الأطول كما ترى.

ومثله قوله تعالى: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [البروج: ٥: ٧]، فالفقرة الثالثة هنا هي الأطول كما ترى.

وليس معنى أن السجع هنا في الدرجة الثانية أو الثالثة أنه أقل في الحسن والجمال من الدرجة الأولى؛ لأن النظر هنا إلى الطول والقصر وليس النظر إلى أيهما أكثر حسنا وجمالا؛ والقرآن الكريم كله على درجة واحدة من الحسن والجمال والكمال والإعجاز، وفواصل الدرجة الثانية والثالثة في الآيات السابقة وقعت في موقعها الملائم لها في الحُسْن، مثل الدرجة الأولى تماما؛ لأن مقتضى الحال اقتضى طول السجعة الثانية أو الثالثة، وهذا ما يجعل السَّجْعَ حسنا؛ لأنَّه يُخْرجه عن النّمطيَّة المتناظرة، فيكونُ أكثر تنبيهًا، وأشد إثارةً لنفس المتذوق للجمال.

وعلى ذلك فللسجع المستحسن أربعة شروط:

١ـ أن لا تكون السجعةُ الثانيةُ أقصرَ بكثير من الأولى؛ لأن السجع إذا استوفى أمده من الفقرة الأولى؛ لطولها، ثم جاءت الثانية أقصرَ منها بكثير فذلك يكون كالشيء المبتور الذي قُطع قَبْل أن يُسْتكْمل مَا كان ينبغي له.

٢ـ أن يكون السجع رصين التركيب ورد عفويا خاليًا من التكلف والتصنع.

٣ـ أن تكون كل فقرة من السجع تدل على معنى مختلف عما دلت عليه الفقرة السابقة عليها، كما مر في جميع الأمثلة السابقة.

وعلى ذلك فقول ابن عباد في وصف جنود مهزومين في الحرب: «طاروا واقين بظهورهم صدورهم وبأصلابهم نحورهم»، ليس من السجع الحسن؛ لتوافق الفقرتين في المعنى من غير فائدة.

٤ـ أن تكون المفرداتُ في كل فقرة رشيقةً، والألفاظ ُفيها خادمَة وتابعة للمعاني.

أنواع السجع من حيث طوله وقصره

السجع من حيث طوله وقصره ثلاثةُ أنواعٍ:

١ـ سجعٌ قصيرٌ، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ١ـ٧]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ [المرسلات: ١، ٢].

٢ـ سَجْعٌ متوسط، ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ [القمر: ١ـ ٣].

٣ـ سَجْعٌ طويل، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤٣ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الأنفال: ٤٣، ٤٤].

هل ورد السجع في القرآن الكريم؟

اختلف العلماء في ذلك على رأيين:

الأول: إنكار السجع مطلقا في القرآن الكريم من هؤلاء الإمام الباقلاني، حيث يقول: «ذهب أصحابنا كلهم إلى نفي السجع من القرآن ...»(١).

الثاني: إجازة السجع مطلقا في القرآن الكريم، ولكن أصحاب هذا الرأي رفضوا إطلاق مصطلح السجع عليه، بل سموه الفواصل، يقول الرماني: «الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، أما الأسجاع، فالمعاني تابعة لها»(٢).

ويقول القزويني: «وقيل: إنه لا يقال في القرآن أسجاع، وإنما يقال: فواصل» (٣).

والرأي الثاني هو الرأي الأوفق، حيث اتفق البلاغيون على تسمية ما ورد في القرآن الكريم من السجع بالفواصل، أخذًا من قوله تعالى: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١]؛ تأدبا مع مقام القرآن الكريم.

وأما اجتناب إطلاق السجع على القرآن الكريم؛ فلأن أصل اللفظ مأخوذ من سجع الطير، فيشرف القرآن الكريم عن أن يستعار لأي أسلوب فيه لفظ هو في أصل وضعه لطائر الحمام إذا هدر وكرر صوته، وأيضا لأجل تشريف القرآن الكريم عن مشاركة غيره في لفظ السجع الذي يقع في كلام الناس، ويكون بعضه حسنا رصينا، وبعضه قبيحا متكلفا، فخص ما ورد في القرآن باسم الفواصل؛ لأنه جاء خاليا من التكلف والتصنع والتعمل، جميل الوقع على الأسماع كأنه حبات در منظومة في سلك واحد.

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني ٥٧ ، وانظر نظم الدرر للبقاعي ٥/ ٢٥٣ .

(٢) النكت في إعجاز القرآن للرماني ١٩ .

(٣) الإيضاح للقزويني ٤٤٤ .

ومن ثمَّ لا تخلو من الفواصل سورةٌ قرآنية وإنْ قَصُرتْ، ففي القرآن الكريم سور كثيرة كلها أو جلها مبنية أواخر كل آية فيها على حرف واحد مما يؤكد على ورود هذا اللون في القرآن الكريم بكثرة واضحة.

هل يرد السجع في الشعر؟

الأصل في السَّجع، أن يكون في الكلام المنثور، لكنَّه قد يأتي داخل فِقَراتِ البيت الشعري فيزيدُه حُسْنًا ورونقا إِذَا كان مستوفيًا شروطه غير وارد على سبيل التكلُّف والتصنع، فإذا ورد متكلفا متصنعا، فهو ممجوج مذموم، مثل قول الشاعر:

وَمَــكَارِمٍ أَوْلَيْتَهَــا مُتَبَرِّعًــا ** وَجَرَائِــمٍ أَلْفَيْتَهَــا مُتَوَرِعًــا

أقسام السجع في الشعر

والسَّجع في الشعر قد يأتي على وجوه السّجع في النثر، إلاَّ أنّه يختصّ بقسميْن لا يوجدان في النثر، هما: التصريع، والتشطير:

١ـ التصريع : وهو أن يجعل الْعَرُوض (وهو آخر المصراع الأوّل من البيت) مقفَّاةً تقفية الضَّرْب (وهو آخر المصراع الثاني من البيت) مثل قول أبي فراس الحمداني :

بِأَطْـرَافِ الْــمُثَقَّفَةِ الْعَــوَالِي ** تَـفَـرَّدْنَـا بِـأَوْسَـاطِ الْـمَعَالِي

وهذا النوع مما استحسن في الشعر، وغلب على أوائل القصائد، مثل قول امرئ القيس:

أَفَاطِـمُ مَهْـلاً بَعْـضَ هَـذَا التَّدَلُّـلِ ** وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي

ومثله قول أبي الطيّب المتنبّي:

مَغَـانِي الشِّـعْبِ طِيبًـا فِي الْمَغَـانِي ** بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِـنَ الـزَّمَـانِ

ومثله قول أبي الطيب أيضـًا:

فنَحنُ فِي جَذَلٍ والرُّومُ فِي وَجَلٍ ** وَالـبَرُّ فِي شُـغُلٍ والبَحـرُ فِي خَجَـلِ

٢ـ التشطير: وهو أن يجعل كل من شطري البيت سجعة مخالفة لأختها، كقول أبي تمام:

تَدْبِـيرُ مُعْتَصِـمٍ، بِاللـهِ مُنْتَقِـمٍ ** للهِ مُرْتَغِـــبٍ، فِي اللهِ مُرْتَقِبِ

فالسَّجْعُ في الشطر الأول على حرف الميم، وفي الشطر الثاني على حرف الباء، والفقرة الأولى متفقة مع الثانية في الوزن والقافية، والفقرة الثالثة متفقة مع الرابعة في الوزن والقافية.

ملخص الدرس

السجع: هو توافق الفاصلتين في النثر في الحرف الأخير.

أقسام السجع : للسجع ثلاثة أقسام:

أ ـ المطرّف: وهو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن، واتفقتا في الحرف الأخير.

ب ـ المرصّع: وهو ما كان في ألفاظ إحدى الفقرتين ـ كلها أو أكثرها ـ مثل ما يقابلها من الفقرة الأخرى وزنا وتقفية.

ج ـ المتوازي: وهو ما كان الاتفاق فيه في الكلمتين الأخيرتين فقط.

وأحسن السجع:

١ـ ما تساوت فقره . ٢ـ ثم ما طالت فقرته الثانية. ٣ـ ثم ما طالت ثالثته.

ومن شروط حسن السجع:

١ـ أن لا تكون السجعةُ الثانيةُ أقصرَ بكثير من الأولى.

٢ـ أن يكون السجع عفويا خاليًا من التكلف والتصنع.

٣ـ أن تكون كل فقرة من السجع تدل على معنى مختلف عما دلت عليه الفقرة السابقة عليها.

٤ـ أن تكون المفرداتُ في كل فقرة رشيقةً، والألفاظ فيها خادمَة وتابعة للمعاني.

السجع من حيث طوله وقصره ثلاثةُ أنواعٍ:

١ـ سجعٌ قصيرٌ. ٢ـ سَجْعُ متوسط . ٣ـ سَجْعٌ طويل.

واختلف العلماء في ورود السجع في القرآن الكريم على رأيين:

الأول: إنكار السجع مطلقا.

الثاني: إجازة السجع مطلقا في القرآن الكريم، ولكن أصحاب هذا الرأي رفضوا إطلاق مصطلح السجع عليه، بل سموه الفواصل، وهذا هو الرأي الأوفق، تأدبا مع مقام

القرآن الكريم. ولتشريف القرآن الكريم عن مشاركة غيره في لفظ السجع الذي يقع في كلام الناس، ويكون بعضه حسنا رصينا، وبعضه قبيحا متكلفا.

والأصل في السَّجع، أن يكون في الكلام المنثور، لكنَّه قد يأتي داخل فِقَراتِ البيت الشعري فيزيدُه حُسْنًا ورونقا إِذَا كان مستوفيًا شروطه.

أقسام السجع في الشعر، للسَّجع في الشعر قسمان: التصريع، والتشطير:

١ـ التصريع: وهو أن يجعل الْعَرُوض (وهو آخر المصراع الأوّل من البيت) مقفَّاةً تقفية الضَّرْب مثل قول أبي الطيّب المتنبّي:

مَغَـانِي الشِّـعْبِ طِيبًـا في المَغَـانِي ** بِمَنْزِلَـةِ الرَّبِيـعِ مِـنَ الزَّمَـانِ

٢ـ التشطير: وهو أن يجعل كل من شطري البيت سجعة مخالفة لأختها كقول أبي تمام:

تَدْبِـيرُ مُعْتَصِمٍ، بِاللـهِ مُنْتَقِمٍ ** للهِ مُرْتَغِبٍ، في اللهِ مُرْتَقِبِ

***

إثراءات

لاحظ أن: السجع لا يحسن إلا إذا جاء عفويا خاليا من التكلف والتعمل رصين التركيب.

لاحظ أن: السجع في النثر ينقسم ثلاثة أقسام: السجع المطرف والمرصع والمتوازي، وفي الشعر له قسمان : الترصيع والتشطير.

انتبه إلى أن: جل علماء البلاغة أطلقوا على السجع في القرآن الكريم فواصل؛ تأدبا مع مقام القرآن، وتشريفا له أن يطلق على أحد أساليبه لفظة موضوعة للطيور.

انتبه إلى أن: القرآن الكريم كثر فيه هذا اللون البديعي ولا تكاد تخلو منه سورة طويلة أو قصيرة .

مفاهيم: السجع يأتي في النثر ويأتي في الشعر، وَلِكُلٍّ أقسام تميزه عن غيره.

مفاهيم: السجع في كلام الناس بعضه جاء عفويا خاليا من التكلف والتعمل، وبعضه جاء قبيحا مرذولا.

***

التدريبات

التدريب الأول: أشر بعلامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة(×) أمام العبارة الخطأ، فيما يأتي:

١- السجع يكره إطلاقه على ما في القرآن عند بعض العلماء. ( )

٢- السجع كله في مرتبة واحدة من الحسن. ( )

٣- السجع نوع واحد فقط . ( )

٤- السجع يقع في الشعر كثيرا، والنثر قليلا. ( )

٥- أحسن السجع ما جاء غير متكلف. ( )

٦- السجع من المحسنات المعنوية. ( )

٧- السجع ورد في القرآن ولم يرد في السنة. ( )

٨- من شروط حسن السجع تكرار فقراته في المعنى. ( )

إجابة التدريب الأول

١- (√). ٢- (×). ٣- (×) . ٤- (×).

٥- (√). ٦- (×). ٧- (×). ٨- (×).

التدريب الثاني: بيِّنِ السجعَ في الأَمثلة الآتية، ووضِّح وجوه حسنه:

١ـ قال رسول الله ﷺ: «رحم الله امرءا قال خيرا فغنم، أو سكت فسلم».

٢ـ قالت الخنساء:

حَمَّــالُ أَلْوِيَــةٍ، هَبَّــاطُ أَوْدِيَــةٍ ⁂ شَـهَّادُ أَنْــدِيَةٍ، لِلْجَيْشِ جَرَّارُ

٣ـ قال الثعالبيُّ : الحِقْدُ صدأُ القلوب، واللَّجاجُ سببُ الحروب.

٤ـ وقال الحريري: «ارتفاعُ الأخطار، باقتحامِ الأَخطار».

٥ـ وقال بعض البلغاء: «الإِنسانُ بآدابه، لا بزيِّهِ وثيابِهِ».

٦ـ وقال أعرابيٌّ لرجل سأَل لئيمًا: «نَزَلْتَ بوادٍ غَيْرِ ممْطورْ، وفناءٍ غَيْرِ معمورْ، ورجُلٍ غير ميْسورْ، فأَقِمْ بنَدَمْ، أَو ارتحلْ بعدمْ».

التدريب الثالث

- عرف السَّجْعَ المطرَّفَ مع التمثيل.
- عرف السَّجْعَ المرصعَ مع التمثيل.
- عرف السَّجْعَ المتوازي مع التمثيل.

إجابة التدريب الثالث

١- السجع المطرَّف: أن تكون الفاصلتان مختلفتين في الوزن متفقتين في القافية، مثل قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح:١٣، ١٤]، فالفقرة الأولى: انتهت بالفاصلة وقارا، والفقرة الثانية: المزاوجة لها انتهت بالفاصلة أطوارا، والفاصلتان اتفقتا في الحرف الأخير الراء الممدودة، ولكنهما اختلفتا في وزنهما، فالأولى: على وزن فَعَالا، والثانية: على وزن أفعالا.

٢- السجع المرصَّع : أن تكون ألفاظ كل فقرة أو أكثرها تتفق مع ما يقابلها من ألفاظ الفقرة الأخرى وزنا وتقفية، كقول الحريري: «فَهُوَ يَطْبَعُ الأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ لَفْظِهْ، ويَقْرَعُ الأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعْظِهْ».

فألفاظ الفقرة الأولى «يَطْبَعُ الأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ لَفْظِهْ» مثل ألفاظ الفقرة الثانية«يَقْرَعُ الأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعْظِهْ» وزنا وقافية.

٣- السجع المتوازي: وهو أن يكون الاتفاق في كل فقرة في الكلمتين الأخيرتين فقط، نحو قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ [الغاشية:١٣، ١٤].

فلفظة «مرفوعة» تتفق مع لفظة «موضوعة» وزنا وقافية، بعكس لفظتي سرر وأكواب، فهما مختلفتان وزنا وتقفية.

التدريب الرابع

- بيِّن آراء العلماء فى السجع فى القرآن الكريم.
- ما أنواع السجع من حيث الطول والقِصَر؟.
- السجع فى الشعر نوعان. اذكرهما، ومثِّل لكل منهما بمثال.
- ما القيمة البلاغية للسجع؟
- لماذا رفض بعض البلاغيين لفظ السجع فى القرآن الكريم وأطلقوا عليه فواصل؟

المصطلحات الواردة في مقرر علم البديع

علم البديع: هو علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنا، وطلاوة، وتكسوه بهاء، ورونقا، بعد مطابقته لمقتضى الحال،ووضوح دلالته على المراد.

الطباق: الجمع بين معنيين متقابلين.

طباق الإيجاب: وهو أن يكون اللفظان المتقابلان فيه معناهما موجب

طباق السلب: وهو أن يكون اللفظان المتقابلان فيه أحدهما أمر، والآخر نهي، أو أحدهما مثبت، والآخر منفي.

المقابلة: هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين (أي: غير متقابلين) أو بمعان متوافقة كذلك، ثم يؤتى بما يقابلهما، أو يقابلها.

مراعاة النظير: هو الجمع بين أمر وما يناسبه أو أمور متناسبة على وجه الاتساق والاتفاق لا على وجه التضاد.

المشاكلة: هي ذكر الشيء بلفظ غيره؛ لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا.

التورية: هي لفظ له معنيان قريب ظاهر، لكنه غير مراد، وبعيد خفي، وهو المراد، ولابد معها من قرينة تشير إلى أن المراد هو البعيد.

التورية المرشحة: ما ذكر معها ما يلائم المعنى القريب.

التورية المجردة: هي التي لم يذكر معها ما يلائم المعنى القريب، سواء ذكر ما يلائم المعنى البعيد، أم لم يذكر.

المبالغة: هي أن يدعي الشاعر، أو الناثر لوصف ما بلوغه في الضعف، أو الشدة حدا مستحيلا، أو مستبعدا؛ وذلك دفعا لتوهم أنه غير متناه في الشدة، أو الضعف.

التبليغ: وهو ما كان الوصف المدعى فيه ممكنا عقلا، وعادة.

الإغراق: وهو ما كان الوصف المدعى فيه ممكنا عقلا غير ممكن عادة.

الغلو: وهو ما كان الوصف المدعى فيه غير ممكن عقلا، ولاعادة.



حسن التعليل: هو أن يدعي الشاعر أو الناثر لوصف ما علة مناسبة له غير حقيقية إلا أن فيها اعتبارات جميلة.

تأكيد المدح بما يشبه الذم: هوأن يستثنى من صفة ذم منفية، صفةُ مدح على تقدير دخولها فيها، أو أن يثبت لشيء صفةُ مدح، ويؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى مستثناة من مثلها.

تأكيد الذم بما يشبه المدح: أن يستثنى من صفة مدح منفية صفة ذم على تقدير دخولها فيها، أو أن يثبت لشيء صفة ذم، ثم يؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى.

الجناس: أن يتفق اللفظان في النطق، ويختلفا في المعنى.

الجناس التام: وهو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أشياء: نوع الحروف، وعددها، وهيئاتها، وترتيبها مع اختلاف المعنى.

الجناس المماثل: وهو ما كان من نوع واحد: اسمين، او فعلين، أو حرفين.

الجناس المستوفى: وهو ما كان من نوعين كفعل، واسم.

الجناس الناقص: وهو ما اختلف فيه اللفظان في عدد الحروف، واختلافها.

الجناس المضارع: وهو ما اختلف ركناه في حرفين لم يتباعدا مخرجا.

الجناس اللاحق: هو أن يختلف طرفا الجناس في حرف من حروفهما، مع عدم التقارب في المخرج بين الحرفين.

الجناس المحرّف: ويكون بالاختلاف في هيئات الحروف.

جناس القلب: ويكون بالاختلاف في ترتيب الحروف.

السجع: هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير، وأفضله ما تساوت فقره.

السجع المطرّف: وهو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن، واتفقتا في الحرف الأخير.

السجع المرصّع: وهو ما كان فيه ألفاظ إحدى الفقرتين ـ كلها أو أكثرها ـ مثل ما يقابلها من الفقرة الأخرى وزنا وتقفية.

السجع المتوازي: وهو ما كان الاتفاق فيه في الكلمتين الأخيرتين فقط.

***

قائمة الموضوعات

تابع قائمة الموضوعات